

عشق رهن الاعتقال

رواية

شمس الحياة



N. A. Elde

عَتَّقْ رَهْنِ الْأَعْتِقَالِ

شَمْسُ الْحَيَاةِ

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر الإلكتروني

<http://book-juice.com>

عشق رهن الإعتقال

المؤلف: شمس الحياة

نشر في: نوفمبر ٢٠١٥

تصميم غلاف: نسمة عاطف

تنسيق داخلي: عصير الكتب للنشر الإلكتروني



إهداء :

أقول أن العشق لا يهدى ؛؛؛

و إن كان بيدي سأهدي كل ما بي :

إلى أبي :

رجلٌ أنار ليا الطريق ، و مهد لي الدرب و رواني الحياة ، علمني من أكون

و كيف أكون **فسلاماً عليك فيما أفنقد و سلاماً عليا فبعدك كلي أفنقد**

إلى زوجي :

رجلٌ ملأ حياتي نبضاً و سكن قلبي عشقاً و أهداني الحياة **أحبُّك**

Sania zayed

المقدمة

“..العشقلحن يُّعزف على أوتار القلب ، لا تملك سوى أن تدمنُ أذنك سماعه ، فلا تهتم كثيراً تلك الأذن إن كان هذا الوتر يتألم من كثرة ملامسة العصا للوتر ، فكل ما تدركه عذوبة اللحن و صدق الإحساس ، كل ما تشعر به هو شغفك لتلك المعزوفة الرائعة على هذا الوتر ، الذي كلما عزف لك كلما تهاوت أحزانك و تسارعت أنفاسك لتسابق دقائقك إلى جنة من أحلامك ؛ فكل ما تستطيع إدراكه في لحظة تنتشي بها أوصالك من رقة العزف على هذا الوتر عذوبته التي تحبيك حتى و إن أدمت العصا الوتر ’

“ إلى متى سيظل اشتياقي إليك رهن الاعتقال ”

مالي أراني الليلة متناثر الأوراق ، مبعثر الأفكار ، شارد الدقات ، أقلب بين صفحات الهوى ، أفتش بدفاتر العشاق ، أفتح المطوي من لفائف الغرام ، لعلني أجدك تسكين حبيبي بين السطور! أبعثر أرفف الزمان و أسافر بمجلدات القدر المصفوفة ، أبحث بأي صفحة من كتبه عن غرقي بعشقتك كتب ! بأي سطر بها هواك قلبي حفر ! أفتش عنك سيدتي و أفتش عن كنز هواك المخبوء قلبي، قلبي التائه بسماء عينيك الغارق ببحور أنفاسك ، ليخط قلبي عشقتك بأحبار دمي و يضرم لهيب اشتياقك بصدري لي زيد ما كان من الغرام لأنفاسك و يشعل ما هو كائن من الهيام لعينيك .

مالي الليلة حبيبي أقف أمام شرفتك أتهيء طيفك يمر أمام ناظري ! أقف من حيث بدأ كل شيء ! أقف حيث سطر أول حرف بقصة هوانا، و لا أعلم إلى أين ستلقي بنا سطور الحكاية ؟ و كيف سيدبر لنا القدر لحظة النهاية ؟ لكن ما شأن قلبي بالنهاية و هو يري بعينيك كل لحظة في عشقه بك بداية ! فكنت ليلتها أقف هنا و بذاك المكان لم أحرك ساكناً ، تلك اللحظة التي رميتني بها بتعويذة عشقتك ، كسحر أسود سرى بين أوردتي و تغلغل بكل ركن بي ، تلك اللحظة التي احتال بها الغرام على قلبي حتى أغواني و قلبي بعشقتك و غلبنى الحب ، توغل بي هواك حتى وصل قلبي فاستعبد نبضي ، احتل عقلي فاستحوذت كل ذرة في روحي ! لكن ليلتها كنت غيري ! و غيري كان يسكنني ! كلي حينها كان يركض بزمن آخر و دنيا أخرى ، كنت قبلك شريد بلا سكن طريد بلا وطن . فقبل هواك كان لدي قواعدتي التي لا أتزحزح عنها ، لم أكن أدرك حينها أن قدرتي سيصدمني بك ! لتكوني أنتِ هي قاعدتي و أنتِ هي شواذها ، لتكوني نقطة الانقلاب على كل معتقداتي ، لتمحي كل مسلماتي و تعيدي ترتيب أفكاري لتخلي لي عقائد جديدة ، خلقت من عينيك ، على يديك اكتشفت أننا لا نُسلم بالحب بل هو من يستبد بنا ، نحن لا نفتش عن بحور الغرام كي نخطو بها ، بل أمواجها هي من تجد طريقها إلي أقدامنا ! قبلك حبيبي لم أومن بالعشق أو أصدق بالغرام ، لم أسلم به و لم أسلم قلبي يوماً للهوى ، فكيف لكي و عشقتك أن تدخليني

الجنة و النار؟ أي امرأة أنتِ لتقتلني أنفاسك و تحييني ! لتمتلك بكفيك الدفاء و الصقيع !! لأرى بعينيك أعاصير الشتاء و زهور الربيع !!

تلك الليلة التي رأيتك بها لم أكن أتخيل أنك ستصيب القلب بسهم عشقك ، الذي رميتني به بأول لحظة التقت عيني و عين لم تراني من كل تلك الدموع التي سكنتها ! و حقاً إن هذا القدر غريب جداً ، لا يمكن لأحد أن يتوقع ماذا يخبئ ؟ أو ما يدبر بين طياته ؟ لكنه يجيد التلاعب بنا !! يتفنن بمغازلة أحلامنا لكن أكثر ما يتقن هو لعبة الاشتهاء .. فتلك لعبته المفضلة ، يعلم جيداً كيف يمسك خيوطها بإحكام ، يعرف كيف يجمع كل أحلامنا و كل ما يوم رغبنا به كل ما نطمح إليه و يضعه بما ليس لنا ! بما لا نمتلك ! لنظل نشتهي ما يصعب الحصول عليه إن لم يكن في بعض الأحيان يستحيل الوصول إليه ، و أنتِ هي لعبة قدرتي التي أحضرها كي يتلاعب بي فيلقي بك أمامي ، و هو يحوطك بقصص من حديد !! لتكوني بين يدي ولا أستطيع اقترابك ، لأظل أشتهيك و أنتِ أمام ناظري ! لو تعلمي كم تلاعب بي قدرتي تلك الليلة فقد فعلت كل شيء حتى لا ألتقيك ، لم أعد تلك الليلة إلا بعد منتصف ليلاً هرباً من لُقياك ، و يا ليتني فلتت بالهرب !

لكن لأكن منصفاً لم أكن أهرب ليلتها منك أنتِ فلم أكن قابلتك بعد، لكن أهرب من لقاؤه هو ! كنت أعلم أنه سيصل ذلك اليوم إلى القاهرة عائد من إنجلترا بعد غياب دام أكثر من عشرة أعوام ، و لم أكن أرغب بلقاؤه ، أنا و كريم منذ الصغر لم نكن يوماً على وفاق ، كان هناك دائماً شعور متبادل بيننا بعدم الارتياح ، رغم أن كل الظروف التي أحاطت بنا كانت لتجعلنا أصدقاء مقربين ، كنا بنفس العمر تقريباً كنت لا أكبره سوى عامين على الأكثر ، كنا جيران نساكن بمنزلة متجاورين و العلاقة بين عائلتين في ذلك الوقت أشبه بعائلة واحدة ، لكن على العكس من ذلك كنا دائماً على خلاف ، كنا دائمي المشاكل و المشاحنات ، اشتدت تلك المشاعر بيننا بعد أن دخلنا عهد الشباب ، بل و زادت كثيراً إلا أن حدثها و علانيتيها هي ما قل ، لكن لم يترك أي منا

فرصة لا يكيد بها للآخر إلا و اغتمها دون تردد ، إلى أن سافر مع والدته و أختيه إلى أمريكا ، للإقامة لدى خاله حتى استقروا هناك ، و انقطعت تلك العلاقة بشكل كبير إلا من بعض المكالمات التليفونية بين والدته و والدتي و عمتي ، فقد كنا مقربات كثيراً ، حتى بعد مرور عشر سنوات من غيابهم عن مصر ، إلى أن قرر قذري التلاعب بي من جديد ، بأن يعود كريم مرة أخرى إلى القاهرة ، يعود إلى فيلتهم التي أصبحت الآن متواضعة جداً بجوار قصرنا ، الذي أخذ جدي في شراء كل ما حوله من أراضي و فيلات ، بعد كل تلك السنوات من الغياب قرر العودة بعد أن تزوجت أختيه بإنجلترا ، و استقرت والدته بأمريكا مع زوجها الجديد ، و خسر كل شيء كما اعتقدت !

قرر هو العودة إلى وطنه ، دائماً نعود إلى حيث البداية ، مهما أخذتك الغربة ، مهما ابتعدت و حققت من نجاحات أو واجهت من عثرات و خفقات في حياتك ، إلا أنك تعود دائماً إلى جذورك إلى نقطة البداية ، مهما حاولنا الابتعاد عن أوطنا و ثرثنا بكرهنا لها و لأحوال باتت عليها ، إلا أننا لا نستطيع اقتلاعها من داخلنا ، يغزونا دوماً الحنين لها كلما ابتعدنا عنها ، إن عشق العربي لوطنه هو إحدى جيناتنا الوراثية التي نولد بها و تسري بأوردتنا ، فمهما حاولنا التنصل من حبنا لها أو إنكاره ، أو حتى الهروب منه و اقتلعه من داخلنا سخطاً عليها و على ما يحدث بها ، و ما لها به ذنب !! فهي بريئة منه و إنما هو ذنب برقاب سكانها !! إلا أننا لا نستطيع التنصل من عربتنا ، و من منا يستطيع اقتلاع جذوره ! فمهما وصلنا إلى نهايات لا يمكن لنا أن نترك بداياتنا ورائنا ، فمن ليس له بداية كيف يكون له يوماً طريق كي يصل لأي نهاية !!!

و مع شخص مثل كريم فهو لم يحقق النجاح الذي ابتغاه يوماً ، لم يكن سوى أحرق أضاع الكثير من أحلامه ، و أضاع الأكثر من ثروته في ملاحقة نزواته ، و ملاحقة أوهام الغربة .

رغم هروب كل منا من الآخر ، رفض كلانا التشبه بالآخر منذ الصغر ، إلا أننا حقيقةً تشابهنا في كثير من الظروف ، ذاق كلانا لي تم و هو صغير ، كل منا أراد كل شيء ، كلانا ليس لديه أدنى استعداد لتنازل عن أي شيء ، حتى و إن كان لا يريده ! كل منا يعشق الفوز و لا يرضي يوماً بالهزيمة ، كلانا عنيد و لا يقبل بمنتصف الحلول ، كلانا يفعل أي شيء حتى يصل إلى ما يريده ، فلا يهم ما هي الوسيلة مادامت ستصل بنا إلى ما نبغي ، كلانا قد يـُـجازف بكل شيء حتى يصل إلى مبتغاه ، فرغم كل شيء نظل بالنهاية متشابهين بالقدر الذي يخيف كل منا من الآخر !

لكن يبقى هناك سؤال واحد إلى أين وصل كلانا ؟ إلى أين وصل قدر كل منا به ؟ وإلى أين أوصلتنا طرقنا المتباعدة ؟ إلى أين أخذنا الطموح بعد كل تلك السنوات ؟

حين عاد كريم اعتقدنا أنه عاد إلى البداية وحيثاً خالي الوفاض لم يبقى لديه شيء ، إلا أنه لم يكن وحيثاً تماماً ! لم يكن خاسر كل شيء كما اعتقدت ! قد يكون خسر الكثير من أمواله ، خسر الكثير و الكثير من أحلامه التي قتلها بخيبة تلو خيبة و فشل يتلوه سقوط ، بسبب غروره و سوء تقديره للأشياء من حوله كما هي عادته دائماً ، لكنه قد عاد خالي اليدين إلا منك أنت ! عاد و هو يمتلك برأي ما لم يمتلكه أحداً حتى أنا! عاد و لديه ما يغنيه الكون ؛ أنت ؛ لكن كعادته هل يعلم قيمة ما يمتلك ؟ هل يعلم قيمة كنز بين يديه !!!!

تحدثوا كثيراً عن زوجته الجديدة ، عن امرأة تزوجها رغماً عنها ، امرأة فعل الكثير حتى يصل إليها ، امرأة بأول لقاء لها به تجراً عليها ، فصفعته على وجهه ، فأقسم أن يتزوجها و فعل ! امرأة أرغمها قدرها زواجه ، تحدثوا كثيراً عنك و عن كونك تختلفين عن غيرك من النساء ، تلك البراءة الساكنة بك و ذلك العند الساكن أحداقك ، عن هذا الكبرياء الذي يملكك و لم يستطع أحداً أن يـُـحطمه ، و لا حتى هو بعدما أجبرك زواجه ! تحدثوا كثيراً و كثيراً عنك ، و لا أكذبك القول لم أهتم و لم يشغل بالي مثقال ذرة حديثهم عنك ، بالنسبة لي هي مجرد ثرثرة يدفنون بها ليالي شتائهم البارد ، عن

ابنة السفير التي نشأت بالخارج ، و أجبرها عمها الزواج بكريم بسبب صفقة خاسرة دخلها العم و تورط بها و كان ثمن خروجه منها هو ؛ أنت ؛ !

حين عدت بعد أن قارب الفجر بزوجه ، معتقداً أنني هربت من حفل العشاء الذي أعده جدي لاستقبالكما ، دخلت إلى غرفة المكتب أراجع بعض الأعمال ، حينها رأيت أن أضواء فيلا كريم لازالت مضاءة من الداخل ، ثم بدأت كل الأضواء تنطفئ واحداً تلو الآخر ، ماعدا تلك الحجرة المقابلة لغرفة المكتب ، لا أعلم لما حينها و بعد أن هممت لمغادرة الغرفة و بالفعل قد أطفئت النور ، قبل أن أغلق الباب خلفي توقفت لحظة ، لا أدري لما أخذني بعض الفضول بالنظر إلى تلك الشرفة ؟ فقد اعتقدت أنني سأراه، فكانت ملجأه المفضل سابقاً ، كلما احتد العراك بين والديه و هو صغير .

فلما لا أخطف منه نظرة سريعة بعد كل تلك السنوات ؟ لما لا أرى بعض من الخيبة تسكنه ؟ حتى إنني لم أعاود إضاءة الغرفة ، فلما !! الأمر لا يستحق هي فقط نظرة واحدة خاطفة لن تحتل الدقيقة و بعدها أغانر إلى فراشي، فكنت حقاً منك ، لكن قدري صدمني بك !

رأيتك و أنت تخطين إلى الشرفة ، رأيتك نجمة تخطو أرضاً ، تهبط من سماء عالية لتشعل كونا من حولها دون أن تهتز أو يرف لها جفن ، هذا الوجه الملائكي هذا الهدوء الساكن أنفاسك ، تلك الهالة التي تعتيك ، ذاك الشموخ الذي يسكنُ محياك ، الكبرياء الأنثوي الذي يُزيدك جمالاً و رونقاً ، كل ما بك كان ساحر ، جمالك الملائكي الهادئ مس قلبي و فتن عقلي تلك اللحظة ، لكنه ليس ما جذبني النظر إليك تلك الليلة ، ليس هذا ما جعلني أتجاهل إرهابي حتى أنني تناسيته تماما ، و جلست على الكرسي المقابل لك لأكثر من ثلاث ساعات متواصلة بالظلام دون أن أشعر بالوقت ، لكن أكثر ما جذبني إليك وأخذ عقلي دون وعي مني ، هي تلك الدموع المتساقطة من نهر عينيك ، تلك النجوم المتلألئة على جبينك ، الهاربة من

سجن جفنيك ! تلك الرقة الكامنة بكل حرف بقصيدتك أجبرت عقلي و قلبي السكون
أمام سحر حضورك الخلاب ، حتى أنني غفوت دون أن أشعر و عيناى معلقتين بكِ
!

“““

بالصباح التالي أفقت من سكرتي ، معتقداً أن ما حدث لي كان حلماً
من فرط إرهاق عقلي ، حين فتحت عيني وجددتى بفراشي فأيقنت أنكِ محض سراب !
أنني غارق بعالم من الخيال و أنكِ لم تكوني هنا حقيقة ، أنني أفرط بكل شيء من
إرهاق العمل و احتساء الخمر فسبحت بحلم في الجنة ، لم يراودني قبلاً و لن يراودني
بعداً ! حتى أنني انتفضت من مخدعي لأنظر إلى تلك الشرفة ، أخبر نفسي أنكِ
لست حقيقة ، فقط وهم و خيال ، فقط حلم راودني ، وهم أيقظ قلبي !

كل ما شغل عقلي حين غادرت فراشي و أنا أمتلاً دهشة و استغراب لحلمي بكِ ، أن
أنفضك عن تفكيرى ، أن أخرج سرايبك عن رأسي كي أعود إلى واقعي ، لكنني حينها
صُدمت بكِ أمامي ، حين وجدتك تجلسين بجوار أمي و جدي بالحديقة توقفت عن
الحراك ، تصلب الدم بعروقي لحظات ، وجدت عقلي يهمس لي (إما أنكِ لم تستيقظ

بعد أو أن واقعك و أحلامك تبادلوا الأدوار !! (يا الهي لم تكن حلم ، لم تكن سراب بل حقيقة أمام عيني ، رأيته ملاكاً يتجسد بشراً ، دُلماً يتجسد لي حياة !!
و أفقت من سكرتي الثانية بكِ لكن تلك المرة على صوت جدي و هو يناديني

: ياسين .. ما بك لما تقف هكذا ؟

فانتبهت له و أدت وجهي عنكِ ، تقدمت أحاول لملمة أنفاسي

: ليس من شيء ، فقط مرهق قليلاً .

فنظرت إليّ أمي و هي تلفت انتباهي إليك ، و هل كنت بحاجة إلى أن أنتشي بكِ أكثر ؟ ...

: هيا ياسين تقدم و ألقى التحية إلى ايما ، أتري تلك الفاتنة هنا هي زوجة كريم صديقك و جارنا ، عادوا من إنجلترا أمس ، ستكون جارتنا ، و أشعر أنها ستكون ابنتي الجديدة .

التفتت نحوك

: هذا هو ياسين ولدي ، من كان يتحدث عنه الجميع أمس ، هو لم يستطع الحضور للترحيب بكما ، لأنه يرهق ذاته بالعمل كثيراً ، أليس كذلك يا ياسين ؟

: بالطبع فما منعني سوى عمل هام ، فأهلاً بكِ ، أنرتِ القاهرة و ما حولها .

و بابتسامة خجلة أسرتني و بصوتك العذب

: شكراً لك ، أعانك الله على أعباء الحياة .

لا أعلم لما تخببت كثيراً حين تلاقى عيني و عينك ؟ حين استقرت رحاك بكفي ، لا أعلم ماذا حدث حين رأيته ؟ و أكثر ما أسرني ، أكثر ما لمس قلبي ؟ هذا الخجل الذي ملأ محياك ، حين طالت النظرة بيننا ، ارتعشت يداك بين يداي ، هذا ما قتلني

لحظتها بأعتابك ، خجلاً زيد أنوثتك و يدُ شعلها رونقاً و أناقة ، خجلاً اشتعلت منه
وجنتيكِ بحمرة فاقت زهرة بربيع مزهر .

حين جلست كنتِ تجلسين أمامي ، حاولت تشتيت انتباهي عنك ، كدت أفقد عقلي
منك و بك ، و كانت تلك المرة الأولى التي تخطفني بها امرأة إلى درجة أريكتي ، و
هذا أخافني أكثر ، حتى عقلي تعجب مني (ماذا حدث لك !!!) التفت إلى جدي
مشئت تفكيري عنك ، و تساءلت عنه

: أين كريم ؟ فلما لا أراه ؟

: بعض الأشياء بهذا الكون لا يمكن أن تتغير ، فالشمس لا تشرق من الغرب ، و
كريم يستحيل أن يستيقظ قبل أن تهدأ الشمس و تهب لمبيتها !

حاولت لملمة نفسي التي زادت غرابة عني بحضرتك

:أحقاً لازالت لديه تلك العادة !

: كما قال حافظ باشا بعض الأشياء لا تتغير مهما طال بها الزمن .

قبل أن أقول شيء نظرت إليك أمي و بصلابتها المعهودة

: حبيبتي أنتِ الآن منا و كما خبرتك سابقاً ستكوني ابنتي و ليس هنا من ألقاب ، و
لتنادي عمي بجدي لأنك من الآن و صاعداً أصبحتِ حفيدته و مسؤولة منه ، أليس
كذلك يا عمي ؟

: هي لا تحتاج أن تقولي لها هذا ؛ اسمعي ما تقوله و لا تغضبيها لأنني سأحميك
من الجميع حتى والديك إن عاد إلى الحياة ، أم هي فسنحتاج نحن الاثنين لمن يحمينا
منها !

قالها جدي بصوت خافت ، ارتسمت بوجهك ابتسامة صافية سحرتني ، رفعت أمي له
حاجبها

: أتعتقد أنني لم أسمعك !

: ماذا ! كنت أخبرها أنني لو قابلتها من ثلاث عقود مضت كنت سأختطفها و أتزوجها .

: تقصد منذ سبع عقود يا عمي !

: لا تستمعي إليها حمقاء .. فهي لا تعرف أن تعد حتى العشرة أنا أصغر منها و ولدها الجالس هذا ، لكنها تعاني فقدان الذاكرة .

انطلقت منك ضحكة طفولية دون قصدًا ، ارتفع صداها بقوة أضحكت جدي و أمي ، أما أنا فضعت بينهما بسحر ضحكة عفوية قتلتني !

و قبل أن أفقد صوابي منك أكثر استأذنت بالمغادرة ، بعد أن هممت للمغادرة توقفت لحظات ، التفت إليك ، حينها وجدتك تنظرين نحوي ، حين تلاقت عيني و عينيك أسبلتهما خجل ، لكن حينها اهتز شيء بداخلي لك لم أكن لحظتها واثقاً تماماً مما حدث لي ! كل ما أعلمه أنني بتُ ليلتها و بسمه عينيك كل ما أرى !

حين استيقظت وجدتي أنقلب على ذاتي ، استيقظت لأجد شخص غيري ! أم أن غيري هذا من كان يعتقني و عينيك تلك اللحظة نزعت قيودي عني و حررتني ! أنتِ حبيبتي خطي الزمني ، خطي الفاصل بين وهم قبلك اعتقدته حياة ، و حلم بكِ أصبحتُ أشتهيه رغبةً في الحياة ، فحياتي بأكملها قبل اجتياحك كانت حياة هادئة حد الموت ، كنت أستيقظ بكل يوم جديد كأنه يوم عشته سابق .

صباح يمتلأ بالصقيع مهما زادت درجة حرارته ، حياة أصبحت روتين لم أعد أراه ممل من كثرة تكراره ، لم أعد أنزعج منه لأنني لا أحييا غيره ، فنحن لا نعرف الاختلاف إلا حين نراه ، حين نري الربيع ندرك ما الذي يعنيه الصقيع ، كيف للأعمى أن يميز ألواناً لم يراها قبلاً ؟ كيف للأصم أن يميز أصوات الطيور و هو لم يسمع صوتاً قبلاً ؟ كيف لمن عاش عمراً يري الأبيض و الأسود أن يرسم قوس

قزح ؟ كل أيامي قبلك كانت بالأبيض و الأسود ، لوحة باردة ليس بها حياة ، لوحة بهتت ألوانها كأنها مر عليها ألف عام ، أصبحت بلا ملامح ، تفتقد لأبسط معاني الحياة .

تلك كانت حياتي التي أحياها مع جدي و والدتي و أختي الصغرى لي لي ، التي لاتزال تدرس بالجامعة الأمريكية ، و زوجتي سحر ابنة عمي التي تزوجتها بعد وفاة زوجتي ، لتكون أماً لابنتي الوحيدة ، و ملاكي الصغير جنا ، و عمتي الوحيدة و زوجها الدكتور شوكت محامي العائلة ، بقصر قديم الطراز يتمسك جدي به على هذا الحال ، يقول أنه ارث عائلته العريقة و لن يغير به شيء ! قدر قدم عمره الذي تعبت السنين من عده ، إلا أنه يمثل تحفة فنية ، تحيطه التماثيل قديمة الطراز ، تظل بحديقته أشجار يتجاوز عمرها عمر جدي ، لكن أصبحت تحيطه الآن مجموعة من الفيلات الصغيرة ، التي يمتلكها جدي أيضا ، يسكنها أعمام الثلاث و أبنائهم و زوجاتهم في محاولة من جدي أن يجمعنا جميعاً حوله للامساك بالأمر دائماً بيده .

توالت الأيام ثقيلة و كل شيء يكاد يكون هادئ ليس له صوت ، إلا قلبي الذي بدأ يتعلق بك يوماً بعد يوم ، صار لا يكف عنك ، صار يُمن الصباح لأنه يبدأ بك يسرق قلبي دقائق بقربك يُحادثك و يسمع شذا صوتك ، يتعطر بزهر أنفاسك ، لكن أكثر ما بدأ يُخيفني هو عقلي !! الذي أصبح لا يتوقف عن التفكير فيك ، حتى أنه بدأ يرغب الاستيقاظ باكراً لأجلك ، فأنت من منْ يعشقون الاستيقاظ باكراً أما أنا فكنت أصحوه مجبراً للعمل ، و يوماً تلو يوم أصبحت فنجان قهوتي الصباحي الذي لا أقوى المضي دونه ، أرتشف عينيك و أتلذذ مذاق همساتك ، أدمن صدري رائحة قهوتي التي تختلط بعطر أنفاسك ، فلم يعد يبدأ يومي دون أن أنتشي بك .

حاولت كثيراً منع نفسي عنك ، عقلي كانُ نبتني بأن هذا لا يجب أن يحدث ، و أنه سيصل بي إلى نهاية مسدودة ، طريق ليس له نهاية حتى إنني لم أكن أرى له بداية ! فقط أقف بكِ بمنتصف اللا مكان ، أقف بكِ بين الوهم و الخيال ، غارق ببحر لا أرى له شطآن ، لكن ما بيدي و سهم عشقك اخترق النبض ، سالت دقاتي بين يدك نهر ، صارت عيناك حدود السماء و الأرض ، فتعويذة هواك التي ألقيتي بها سلبتني القلب و العقل ، أغرقني عشقك كالفيضان ، فماذا أفعل بقلب ليس لي به سلطان !!
عشقتك حبيبتي و قضي الأمر !!!

توالت أيام قلبي بقربك مُسرعة ، بعكس أيام عقلي التي لا تأبى المرور فيراك له ما بعد المستحيل ، حاولت الهروب منك ، منع نفسي عنك ، حاولت تهدئة عقلي الثائر بكِ ، التحكم بذاتي و إبعادها عن عيناك ، لكن لم أستطع إيقاف قلبي ثانية عن النبض بكِ ، لم أستطع منع روعي عن الهذيان بعشقتك ، أنا الذي لم تحرك بي امرأة قبلك ذرة مهما كان حسنها ، اقتلعتني من ذاتي دون أن تحركي ساكناً ، حاولت إخراجك من عقلي قبل قلبي ، لكن كيف لي ابتعادك و أصبح قلبي يدُمنك بكل يوم أكثر فأكثر ! أين له منك المهرب ؟ و أنتِ أمامه ليل نهار تغزوه عينيكِ دون رحمة دون استمهال ، فإن أصبح يومه ارتشف أنفاسك بفنجانه ، و إن أمسى ليله أغمض على عينيكِ أجفانه !

ظل كلي يذوب بكِ دون أمل ، فعشقتك يسري بي في طريق اليأس إلى أن لاح بأفق بحرك شط ! و أصابني سهم الأمل بقربك ! أضاءت نجمة وصالك لي لي المظلم لأصل قمر هو أبعد من كل بعيد !

!!!

كان يوماً شاق على قلبي فلم أراكِ صباحه ! لم أرتشف فنجان عشقي منك ، انتظرت كثيراً لكنك لم تخرجي ككل صباح ! جاءني ليل ساطع قمره ، يفتش شرفتك ليهنأ بلحظات قربك ، كنت مستيقظ بمكتبي ككل ليلة ، أنتظر أن أختلس بعض النظرات منك ، أسرق بقربك لحظات من بعيد أنا و قمر يسكن شرفتك ، فهو مثلي هائماً بك ، انتظرت أن تدخلني لتقري أحد كتبك مثل كل ليلة ، كما عادتكم منذ وطأة قدمك السكنة بجواري إلا أنك لم تخرجي !!!

زاد قلقي و أخذ عقلي يُّحادثني عنك ، عيني تسأل كيف ستنام الليلة دون أن ترتوي منك ؟ حينها فقط أيقنت أنني غرقت ببحر هواك ، آمنت بأن قلبي صار أسير رحي كفيك ، بتُّ لا أستطيع تخطي ليلة في بُعدك ! حين كنت أحاول تهدئة كل ما بي من لوعة سكنت قلبي بغيابك ، فإذا بعيوني تراك تتجولين بالحديقة على غير هدى ؛ ترددت كثيراً قبل أن أحرك ساكناً ، إلا إن قلبي و خطواتي إليك كانت أسرع من تفكيري ، هبطت إلى الحديقة ، حين التقيتك لم يكن ببالي بماذا أتعلل لك عن خروجي بهذا الوقت المتأخر ؟ لكن من كان يهتم فقط أريد أن أرتوي منك ! فبادرتك قائلاً

: مساء الخير ايما . كيف الحال ؟

انتبهت لوجودي ، و بابتسامة هادئة

: مساء الخير ياسين بك . بخير الحمد لله .

حاولت جذب أطراف الحديث بيننا

: ألم يعد كريم حتى الآن ؟

: كلا ليس بعد ، هو لا يعود قبل بزوغ الفجر .

فهزرت رأسي ، فأعلم الإجابة مسبقاً

: صدق جدي حين قال أن هناك أشياء لا تتغير أبداً مهما حدث .

: أعتقد ذلك . لكن لما أنت لازلت مستيقظ إلى الآن ؟

أسعدني كثيراً تغير مجرى الحديث عنه ، كنت أتساءل و نفسي أحقاً لا تلحظين اهتمامي بك ؟ فإن كان لما لا أعتنم تلك الفرصة و أجذبه نحوي !! فلن تأتيني كل يوم

: فقط بعض الأعمال .. أيضاً يفتنك إن تمسينا معا قليلاً ؟

بدا عليك الاندهاش قليلاً و بصوتك الهادئ

: على الإطلاق . أخشى فقط أن أزعجك أو أمنعك عن عملك .

بابتسامة من يريد أن يصرخ لك (أنتِ هي أعمايي و بين يديك حالي أنتِ من انتظرت دهرًا لتجمعي بها تلك اللحظة ، أصرخ من تلك الحمقاء التي تفتعل الغباء أم أنني دون الكون عشقت خرقاء عن الغرام و الهوى صماء؟) تماكنت نفسي منك و أجبتك بهدوء

: على العكس أنتِ لا تمنعي شيء هام !

: كان الله بعونك . فمنذ أتيت و أنا أرى أنك تهلك ذاتك كثيراً بالعمل .

ابتسمت منك كثيراً لحظتها و خاطبني لسان حالي (على الأقل هي ترى) ، أجبتك

: العمل شيء لا ينتهي و جدي شخص كثير المتطلبات .

توقفت عن المشي فجأة ، نظرت إليّ بنظرة مستتكرة ، بابتسامة من قلبك

: يا الهي .. إن جددك شخص رائع ، أعتقد أنك تتجنى عليه !

: إذن أنا من يلعب دور السيء هنا .. جيد أصبحت الشرير !

زادت ابتسامتك الساحرة التي أسرتني و عدت للمشي مجدداً

: أعتقد أنك الشرير .. قليلاً ، جدك شخص طيب و عطوف جداً لا أعتقد أنه مُتطلب إلى هذا الحد !

: ليس لديك فكرة في العمل هو شخص يختلف قليلاً عن هذا الوصف .

: ربما ؛ لكن أحب أن أظل محتفظة بوجهة نظري عن كونه شخص رائع ، و خفيف الظل كثيراً فلا تحاول تغيير تلك الصورة .

: يبدو أن جدي لم يفقد لمستته لقلوب النساء !!

فخرجت منك ضحكة هادئة و ملتِ نحوى بدلالٍ أفقدني صوابي و شاكستني

: أعتقد ذلك .. إنه حقاً بارع .

: حقاً الآن بدأت أحسده !

: لماذا ؟

استرسلت لك بنظرة لا أعلم إلى أي مدى عبرت عن ما بداخلي و أنا أحاول لملمة ذاتي من تلك الضحكة التي سلبت قلبي

: و كيف لا أحسده ! و قد تعلقت به إلى هذا الحد !

هربت منك نظراتك و ارتبك صوتك و حاولت تغيير الحديث

: هو حقاً خفيف الظل ، خاصة حين يجتمع بوالدتك .

جارتك و حاولت تمالك نفسي أو هكذا اعتقدت

: أنت لم تري شيء بعد ، هما دائمي المشاكسات ، لا يمكنهما الكف عن مشاغبة

كلاهما للآخر ، أعتقد أنها طريقتهما في التعبير عن الحب بينهما !

حينها تغيرت نظراتك كأن الحديث عن الحب يملئك حياة

: أعتقد أن هذا رائع ، تلك الألفة و الدفاء هذا النوع من الحب و التعلق بينهما ، إنه
حقا عشق له أناقته .. إنها رائعين .

: هذا جيد هذا يجعلنا جيران غير مزعجين !

: أتمرح ! أنت حقاً تمرح !

: لماذا ؟

أجبتني بصوت متحمس

: لا أعلم كيف أخبرك بها ، لكن وجود عائلتك و ترحابهم الشديد بي ، جدك و والدتك
و أختك و حقيقةً الجميع ، هذا الدفاء الذي شعرت به بينهم رفع الكثير عن قلبي ،
أزال كثيراً من خوف كاد يحطمني .

: خوفك !!

: كما تعلم مكان جديد ، حياة جديدة ، أشياء لم أعودها قبلاً .

: لكن أنت هنا ببلدك ، أنت بموطنك .. فلما الخوف ؟

تغيرت تعابير وجهك كثيراً لحظتها و بإحباط تخلل نبرات صوتك

: حتى داخل مواطننا هناك ما يخيفنا دائماً !

زادت دهشتي منك و نظرت لك بصمت أحاول فهمك

: لما تلك النظرة ؟ لا تتعجب فإذا كان بداخل كلاً منا يسكن ما يخيفه ! فماذا عن

خارجنا ! الخوف جزء من تركيبة البشر .. على ما أعتقد !

: و ما الذي يخيفك أنتِ ايما ؟

فنظرت نحوي لحظات بصمت و كأن الكلام هو من يخاف الخروج منك ، و حاولت إخفاء شيء خلف ابتسامة مصطنعة

: لا شيئاً محدد فأنا لا أقصد شيئاً بعينه ، لكن بداخل كلاً منا غرفته المظلمة التي يخشى اقترابها ، التي يخافها و لا يريد فتح أبوابها
كان بعينيك نظرة لم أفهمها لكنني شعرت خوفهما

: ليس الجميع فلا أعتقد أن لدى تلك الغرفة !

: إذن أنت هو الأول فلكل قاعدة شواذها أو هكذا يقولون ، أعتقد -

ثم صمت لحظة و كأن هناك شيء وقف بين شفقتك فحاولت إخراجه منك

: ماذا ؟ هيا ايما قلبي ماذا تعتقدين ؟

فاعتلتك بسمة عابرة و قلت لي بتردد

: أعتقد أنهم لم يبالغوا بوصفك كثيراً !

: من هم .. و ماذا قالوا تحديداً ؟

سألتك بسعادة تسللت إلى قلبي لأنك أيضا تهتمي و لو قليل ، توقفت عن السير و التفت إليّ و شبكت ذراعك

: أعتقد أن الجميع يتحدث عنك ابتداءً بكل الموجودين هنا ، فمنذ وطأة قدمي القاهرة و أنت أكثر الأسماء تردداً ، و انتهاءً بإخوة كريم ووالدته !

: و هل هذا جيد أم سيء ؟

رفعت حاجبك و تقدمت خطوة ، و بنظرة مشاكسة

هذا يعتمد على ما يُقال عنك ياسين بك !

فابتسمت منك و من تلك المشاغبة التي تزيدك جمالاً و التي لم أكن ألاحظها سابقاً
...

: إذن ...!!!

: ليس شيئاً محدداً ، الكثير عن عقلك و حسن إدارتك للأمر و العمل ، أنك شخص
جدير بالثقة يمكن الاعتماد عليه ، تتحلى بالصبر و لديك نظرة ثاقبة و -

: و .. ماذا أكملني ؟

ترددت كثيراً و نظراتك كانت متوترة لكنك استطردت

: أنك شخص قوي عنيد ، لا يخاف شيء أو أحد ، لا يقبل بالرفض أو الاستسلام ،
شخص يصل إلى ما يريد مهما كلفه الثمن ، مهما كانت الوسيلة فلا مانع إن كانت
ستصل بك إلى غايتك لا يهم أي طريق تسلك مادام بالنهاية ستصل إلى مرادك ، و
تُعد رجل مال و أعمال بالدرجة الأولى ، غير أنك رجل يقسو النساء كثيراً !

لا أنكر أن تلك حقيقتي و أكثر مما قلت ، فلكي تتجو بعالم المال و الصفقات ، لابد
أن تتعلم كيف تُصبح قرشاً حتى لا تبتلع القروش الأخرى ، فهو بحر لا يهتم فيه
أحداً هل يسبح بالطريقة الصحيحة أو الخطأ ، لكن كل ما يهم هو أن تظل طافياً ، لا
تغرق ، مهما تطلب الأمر فلا يهم ! لكن لا أعلم لما كانت تلك المرة الأولى التي أريد
أن أعرف كيف يراني أحداً أو أهتم كيف يراني ، ربما لأنه أنت !

: هذا ما قالوه .. و لكن أتلك هي نفس فكرتك عني ؟ أترينني بنفس الطريقة ؟

: أعتقد أنهم بالغوا ببعض النقاط ... و بخسوك بالبعض الآخر !

: و أي النقاط التي بخسوني بها ، الطيب أم الشرير ؟

ابتسمت بخبث أنثوي لمع بعينيك

: أفضل أن أحتفظ بالإجابة لنفسي ياسين بك !

حينها شعرت كمن سقط وسط اليم ، بالرغم من تلك البراءة التي تملكك الا أنك تظلي بأخر المطاف أنثى ، تظل سيدتي كباقي النساء لغز ليس له حل بحر ليس به شط ، متاهة من دخلها ضاع عقله أو ضل ، تظلي من حكى القرآن عن كيدها ، تظلي تعويذة لعن كل من حاول فك طلاسم سحرها !

ثم توقفت أمامي ، و لازال الخبث الأنثوي يلمع بعينيك

: لكن أكثر ما أثار فضولي بكل ما قيل عنك ، أن والدة كريم كلما أرادت نهره على شيء لا يرضيها ، كانت تقارنه بك !

: بي أنا !!

أجبتني و بنظرة أكثر مني تعجباً

: نعم ، بك أنت !

حينها أتاني فضول بأن أعرف ماذا حكى هو عني لك

: و ماذا قال كريم عني ؟ بما وصفني ؟

ابتسمت ابتسامة لم أفهمها ، فداعبتك متسائلاً

: ماذا ؟ أقال عني أنني دراكولا !! أو شيء من هذا القبيل !!

انطلقت منك ضحكة طفولية أسرتني أوقفنتي مكاني دون حراك ، ضعت أنا بين سحر عينيك و موجة ضحكة أغرقتني ببحور محياك دون أن تحركي ساكناً

: أعتذر منك كثيراً .

: عن ماذا تعتذري ايما ؟

سألتك و أنا أحاول لملمة ذاتي بين شطوط شفتيك

: عن تلك الضحكة حاولت كثيراً تغييرها أو منعها الا أنها تخرج دون قصداً مني .

: على العكس إنها ساحرة ، و أكثر ما يسحر بها عفويتها ، أنها دون قصداً فليست مفتعلة ، و هي حقاً تذكرني بشخصٍ ما .

: أتمنى أنه شخصاً لا يضعك بمواقف محرجة !

اعتلنتي الدهشة من إجابتك ، بادرتني مسرعة

: أتعدى حدودي إن سألتك من ؟

: إنها طفلاتي جناً .

: لقد قابلتها و هي حقاً فتاة رائعة بل أكثر فهي تشبه الملائكة ، حفظ الله لك و رعاها .

: لماذا قلتي هذا ايما ؟

: لأنني حقاً أحببتها جداً ؛ فهي بالفعل طفل رائعة !

: لا أقصد جناً ، بل أقصد ما تحدثت به عن المواقف المحرجة !!

حينها خرجت من بين ضلوعك تتهدده قدر جمالها قدر ما تحمل من ألم ، أجبتي بوجع بين نبراتك رغم محاولتك أن تداريه بابتسامتك المزيفة

: أعتقد أن كريم لا يعجبه الكثير من عفويتي تلك التي تتحدث عنها ، فيقول إنها تجعلني أبدو كطفلة خرقاء ، و هذا يضعه بمواقف محرجة أمام أصدقائه و شركائه بالعمل .

: أحقق !

نظرتِ نحوي و بوجهك نظرة متعجبة ، فبادرتك

: ماذا ؟ تلك حقيقة معروفة عنه هو أحمق ما الجديد بذلك ؟ لكن دعيني أخبركِ سرّاً !

فنظرتِ نحوي باهتمام و بعيوني لامعة و بنظرة مبتسمة مشاغبة

: سرّاً ! كم أحب الأسرار ، ما هو ذلك السر ؟

توقفت و نظرتِ إليك حينها تلالأت النجوم بنهر عينيك و اختلط ضوء القمر بوجهك ، لم أكن أعلم لحظتها أيكما يزيد الآخر جمالاً و بهاء ؟ أيكما يستمد سحره الخلاب من الآخر ؟ لكن للحظة أيقنت أنه يسرق ضيائه من عينيك ، هو من يرتوي سحرًا حين يفتش جبينك أرضاً و يعلن شفتيك سماء ، وجددتي أهيم بقصيدة حسنك أميرتي ، حاولت التمسك ببعض من عقلي الذي ضاع بين يديك

: إن عفويتك و طفولتك تلك أكثر ما يميز أنوثتك عن غيرك من النساء !

فأسبلتِ جفنيك خجلاً و علا صوت أنفاسك فلم أتمالك نفسي و فقدت عقلي

: لكن أعتقد أن هذا يميزك أكثر !

رفعتي عينيكِ نحوي فبدا خجلهما ساحراً و اشتعلت وجنتيك حمرة ، فخرج كلي عن السيطرة !! ملتُ إليك و أنا أرفع بأصابعي عن عينيك خصلة شعرك الهاربة على جبينك ، أحسست بأن كل ما حاولنا تلاشي فلا أرض تحملنا و لا تحدنا سماء ، فلم أستطع عقد لساني أكثر فانفرط مني سيل هواك

: هذا ما أتحدث عنه ايما ، هذا الخجل الساكن كل حرف بقصيدتك ، تلك الملائكية التي تغمر أركانك ، فكل ما بكِ يأسرني حبيبتني !

انفض الدم بعروقك و ارتعشتِ كثيراً ، بدت بعينيك نظرة تتبئني بأن كل ما بكِ توقف عن الحراك ، حتى أنفاسك وقفت بين شهيق و زفير لحظات ، كأن الكون من حولك

سكن عن الدوران ، للحظات غرقت عينيك ببحر عيني ، تاهت أنفاسك بين ضلوعي ، حاولت لملمة ما بقي من عقل غادرك ؛ تراجعت للخلف ، تاهت منك الحروف ، كنت تمسكين بشعرك و أنت تتلعثمين ، عينيك هاربة لا تعلم أين تستقر فقط تتوارى مني

: أعتقد أنه يجب أن أذهب ... فقد تأخر الوقت !

و قبل أن أحرك ساكناً أو أتفوه بشيء آخر ، و لم أكن أعلم كيف فقدت السيطرة على كلي إلى هذا الحد ! فلا أعلم ماذا فعلت بي تلك الليلة حتى تخرجيني عن وعي و تفقدني عقلي ؟ حينها و أنت تحاولي لملمة أنفاسك وذاتك فقدت توازنك و تعثرت قدماك، قبل أن تتهاوي أرضاً أمسكت بك

يا الهي حبيبتي حين سكنتِ صدري و التقت يداي بخصرك ، سكنت أنفاسك بين ضلوعي ، و اقترب نبضك من دقاتي ، غرقت نجوم عينيك ببحري ، آه عشقي حين انحلت زهرة شعرك و تساقط على كتفيك كأوراق الزهور بصباح خريفي ، تسال عطرك من بين سلاسله ليغزو أوردتي ليحتل برقة أنفاسك نبضي و يسلب عقلي ، فحين سكنتِ صدري اهتزت كل عروشي و تزلزلت بي الأعماق ، ليدور قلبي بين رحي كفيك فأصبحت حبيبتي لحظتها مركز كل الأكوان ، زاد اقترابي حتى غرق ثغري بشهدك ، فكيف أمنعه عن شهد سال بين شواطئ ثغرك

كانت لحظات لكني أحسست أنني سكنت الجنة لعقود ، و سافرت لسماء دون حدود أرتحل بين قمر و نجوم ، هي حقاً لم تتخطى بضع اللحظات لكن لقلبي هي أعوام فاقت حتى الأحلام ، غاص ببحار الأشواق عبر بك كل اللذات ، أصبحت بين يديك وحدي أمير العشاق !

بعد اللحظات أفقت من سكرة عشق بيننا نظرتي نحوي كأنك أفقتي من غفلة ، أو عدتي من حلم ، دفعتني بقوة ، ركضتي من أمامي و أنت تتخبطين ، تحاولي الابتعاد

فقط تهريين ، لم تقولي شيئاً لم تتفوهي بحرفٍ فقط تركضين ، و أنا الآخر لم أحرك ساكناً لم أفعل شيئاً لم أركض خلفك ، و لم أمنعك من الهروب فقط توقفت مكاني !!
لعلي كنت لازلت ضائعاً بين سحر عينيك و شهد ثغرك ، لعلي لم أكن أريد سوى أن أظل عالق بحلم واقعي فاق الخيال و الأوهام ، لعلي فقط لم أكن أصدق أنني ارتويت منك و لو للحظات حبيبتني !!

لكني حينها و حين غرق ثغري بثغرك ، حين كنت بين ضلوعي و سكنت دقاتك نبضي ، و رغم أنني من اغتصب منك القبله فأخذت ثغرك حبيبتني عنوة ! إلا أنني أحسست بأنني لست وحدي من غرق بالهوى ! كل ما بك أخبرني بأنني سكنت بحلمك كما سكنت بحلمي ، كان بصدري شيء يُنبئني أنني لست وحدي من مسه جنون الغرام ، كل ما بك كان يناديني ، بعينيك و أنفاسك شيء يجذبني ، شيء همس لقلبي أنني لست وحدي من أُلقي بتعويذة العشق و رمي بسهم الغرام ، و أنك مثلي هائمة بالهوى لكن فقط لم يحن بعد وقتك لتعلمني الاستسلام !!!

“رفقاً بي يا قلبي ... أليس لهذا الاشتياق نهاية ...
لماذا أراني دائماً في البداية ؟ فأصبحتُ أشتاقُ إليك حد
الجنون ... فاض مني الحنين فوصل بابك ... ”

دائمًا تمر أيامي بغيابك قاتله ، منذ تلك الليلة بيننا ، تلك الليلة التي خرج فيها قلبي و عقلي عن السيطرة ، و أنتِ تحاولين ابتعادي تحاولين الهرب من أي لحظة تجمعني بك ، تحرميني رؤيتك أيام و ليالي ، فأطالت الغياب كثيرًا معذبتني ، أحس الشوق إليك يغتالني ، أحسه نار تأتي على كل أرجائي ، لا أعلم لما كل هذا الغياب سيدتي ؟ أتعقدين حقاً أن غيابك عني سيُنسيني عشقك ؟ بالنسبة لي لا يوجد بالكون ما يُنيني حبك ما يُنيني نبضاً سكن قلبي ، حتى و إن غبت دهرًا سأظل على عشقي لك ، سأظل على وعد الهوى و ستظلمين محفورةً داخلي كنقشٌ على حجر ، فلا يمكن إزالته حتى و إن تفتت الحجر يظل محتفظًا بما حفر علي كل قطعة منه ، فما حفر بدم القلب لا يُمحي و لا بانقطاع النبض عنه !

لكنني لم أعد أحتلم غيابك عني حبيبتي ، لم أكن أعلم يوماً أن الفراق مؤلم إلى هذا الحد ، لم أكن أتخيل أنه يوجع القلب ، يسلب العقل و يسرق الأنفاس !! و أقسى من الغياب بالمسافات أن تغيبني عني و أنتِ أمامي !! أن تحاولي منعي إدماني بك ، بغيابك عني تُعمر و كأن كل ما بي يُغادرنني ، كل شيء يأبى الحضور بغيابك ، دفعني غيابك إلى حافة الجنون دفعني إلى الهاوية ! و أكثر ما ثارت له رياح أفكاره هو وقوفي بك بين الشك و اليقين ، أحيانًا كثيرة أحس أنك تُحبينني و غارقة ببحور الهوى مثلي ، و أحيانًا أخرى أشعر أنك لا ترينني و لا تُعربني انتباهًا !

فقداني جنوني إلى لحظة نسيته فيها كل الدواجز بيننا ، و تناسيت فيها قدرًا يحول بيننا ، يضعني بأرضٍ قاحلةٍ و يضكُّ نجمةً بسماءٍ ! و يا ويل قلبي فما أبعد المسافات بين أرضي و سماءك ! لكن جنوني باشتياقك و حنيني إلى جنة عشقك جعلني أراك أقرب من المستحيل ! جعلني أمد يدي لسمائك لأرى نجمك يسبح بكفي ، أراه يسري بين أوردتي و يجري بشراييني !

جننتك مولاتي أعلن لقلبك استسلامي و أعلن لعينيك التحدي ! أتعقدين سيدتي أنك حين تمنعيني رؤيتك تمنعيني اقترابك و تغلقين بوجهي كل الأبواب إليك ، و تشيديني

الأسوار حولك لن أستطيع الوصول إليك ! أتعتقدين أنك كلما زدتِ عنادِ زدتِ في الغرامِ صمود ، و تدثرتِ و عشقكِ شموخاً و كبرياءً أن هذا سيمنعني عنكِ !!!

عفواً صغيرتي فأنتِ بالعشق لازلتِ تخطين ، لازلتِ بمدرسة الهوى تبدئين ، ببحور الغرام تتعلمين ، و بأبجديات الشوق تتلعثمين ، فدعيني أخبركِ عن الهوى و أقرأ لكِ من أبجديات العشاق

إني عشقتُك و لن أرضى عنكِ بديل ، فأنتِ روحي و نبضي و إن وقف بيننا المستحيل ! لن يفارقُنِي حبكِ و إن فارقت الروح البدن ! سأظل أشتهي قلبك مهما طال بي الأمد ، و كلما بنيت لي سداً بألف فأسا هدمته ، كلما أغلقت بوجهي باباً فتحتُ مئةً غيره ، كلما منعنتي حبكِ زدتُ في بحور عشقكِ غرقاً ، و كلما زدتِ في حبي عنادِ زدتُ في غرامك إصرار ، كلما زاد صمودك ضد الأشواق سال فيضان إليك حنين و اشتياق ! شرقي أنا يا سيدتي و الشرقي حين يعشق يفقد عقله ، يفقد روحه ، يفقد دمه ، يفقد وطنه ، و لا يقبل أن يفقد قلب عشقه ، الشرقي حين يغرق ببحور الهوى يمحي تاريخه و يسطر لأجل عشقه تاريخياً جديداً ، و أنتِ يا سيدتي من غرقت بها و لأجلكِ سأمحي تاريخي و أسطر بكِ و لأجلكِ تاريخياً يليق بكِ مليكة عرشي ؛ فتمردي ثوري و حطمي مولاتي ما شئت ، فهذا يزيدك سحراً و جمالاً و يزيني فيك إيمان ، يزيني غرقاً ببحر عينيك ، و يجعل من المستحيل بطريق الوصول إليك سبيلي للجنة ! فآه من تلك العنيدة التي اقتحمت أغواري و قلبت موازين حياتي ! اقتحمت أظلم كهوفي ، و سبحت بين وريدي و شُرَياني ! تمتلك قلبي و تمتلك روحي و تجرى بعروقي جريان الدم بالوريد .

عشقتك حبيبتي لكن عشقي لكي يظل دائماً عشقٌ رهن الاعتقال عشقاً لا أقوى اقترابه و لا أجرؤ ابتعاده، عشقاً يجازيني به زمني ، و لكن أي جزاء يكون عقاب أم ثواب راحة لي أم عذاب ؟ إلى متى سيظل سجيناً لقدر أعطاك لي كي يمنحني بكِ فرصة ثانية للحياة ؟ إلى متى هذا الجحيم فكلي صار سجينك في الغرام ، لم أعد أعلم ماذا

فعلتي بي ؟ فعشقتك بقلبي صار يغزوني مثل الحربِ مثل الإيمان ، لا ينتظر عقلاً و لا يسمع منطق هو فقط يحتلني و يستعمر صدري !!! و كنت أعلم أنني لم أعد أحتمل غيابك ، ولم أعد أحتمل هذا الجحيم الذي ألقاه بعشقتك ، فوجدتُ جنوني هو ما يقودوني إليك فتركته ! فقد أرهق قلبي اشتياقك ، و جُنُّ عقلي من بعادك و عنادك و لم أصل إليك ، فلما لا أترك جزءاً من جنوني بكِ يقودني تلك المرة ؟ لعله يصل بي إلى ما أشتهي !!!

“““

تأخرتِ على موعدك ، و لكنني انتظرتُ كثيراً سابقاً فلما سأتعب الآن !! فهيا صغيرتي فقلبي و عقلي و أشواقي إليك قيد الانتظار !

قررت أن أخطو بسبيلك لأقطع شكي بكِ باليقين ، فقد أرهقني الوقوف بكِ بمنتصف اللامكان فذهبت لزيارة ميس صديقتك ، ميس من أقرب الناس إليك هي ابنة وحيدة لدكتور جامعي يقيم بإنجلترا متزوج من امرأة انجليزية تعرف إليها بعد وفاة زوجته ، أم هي فمطلقة و تعيش بشقة والديها وحيدة ، و كُنْتُ أعلم أنكِ على موعد معها ، بدت عليها دهشة اقتلعتها ، حين فتحت الباب و رأيتي أمامها ، كنت بالسابق أشعر من نظراتها لي أنها تعلم شيء عما حدث بيننا ، لكنني في تلك اللحظة أيقنت أنها تعلم كل شيء ، فقد بدا جلياً على وجهها حين رأيتي ، بنبرة امتلأت دهشة

: ياسين ، عفواً ياسين بك !!

نظرتُ لها و بابتسامة هادئة تملأ وجهي ، و أستند إلى الجدار بيدي

: كيف حالك ميس ؟

و هي على نفس الوتيرة ، و تغمض عينيها و تفتحها لتتأكد أنها استيقظت

: حالي ليس هنا فلم يستيقظ بعد !

: و متى سيستيقظ ؟

فظلت تنظر إليّ و هي لا تحرك ساكناً و تتساءل عينيها (لما أنت هنا؟)

: أترحبين بضيوفك من على الباب ؟ لا أعرف عنك هذا البخل ميس ! أريد فقط أنا

أحدث معك قليلاً ، فأعلم أن لديك موعداً لتسوق !!

فرفعت حاجبيها و زادت دهشتها أكثر عندما علمت أني على علم بموعدها

: حمقاء أنا .. بالطبع تفضل بالدخول ، أعتذر منك بشدة فحين أستيقظ أكون كمن

فقد الذاكرة لبعض الوقت ، و يبدو اليوم أنني سأفقدُها إلى الأبد !

دلفت إلى شقتها ، شقة كبيرة كل ما بها على الطراز الأمريكي من الديكورات و الأثاث

، و بعد أن تقدمت خطوات أشارت إلى الاستقبال الخاص بها

: اعتبر أنك بمنزلك و إن كان أصغر قليلاً !

ثم صمنت لحظة و شبكت أصابعها ، و رفعت حاجبها بمشاكسة

: حقيقةً هو أصغر كثيراً من قصر جدك ، إلا أنه كما يقولون الجود بالموجود ياسين

بك .

و قبل أن أتفوه بكلمة هربت مسرعة ، ثم عادت و توقفت أمامي و بنبرة مترددة و هي تحرك كتفيها

: أنت هنا و أنا لست أحلم ! أعني أنني استيقظت أليس كذلك ؟

: أعتقد ذلك !

: إذن عندما أذهب إلى الحمام الآن لأغسل وجهي بالماء البارد ، أعتقد أنني سأفوق من نومي و عندها سنكتشف أي منا سقط سهواً بحلم الآخر !

جلستُ إلى الأريكة المقابلة لها ، ابتسمت لي

: فُنا لا أحب أن تسقطُ أشياءي في أحلام الآخرين ، و لأن يُسقط أحداً أشياءه بحلمي !

ثم نظرت نحوي و بنظرة تفتعل الجدية ، و تضع إصبعها على جبينها بحركة طفولية

: لكن إن كانت كل الأشياء التي ستسقط من تلك النوعية ! بالتأكيد لا مانع لدي .

وجدتني أضحك منها و علا صوت ضحكتي فبادرتني بعفوية ...

: كنت متأكدة أنك لست فوتوه شوب ، خبرتها “ الحمقاء ” أنك ثري دي و أيضاً عالي الجودة لكنها لم تصدقني

نظرت إليها و قد اعتلتني الدهشة ، إلا أنها أكدت لي أنني لم أكن مخطئاً بظني على الأقل إلى الآن ، لكن حينها انتبهت ميس إلى ما تلفظت به بعفويتها ، عادت و هي تحرك يديها بتخبط و عينيها هرباً ، و بنبرة من يحاول الخروج من مأزق و هي تسير بظهرها للخلف ...

: أنا الحمقاء.. أنا هي من خبرت عنك ، لا تهتم فأنا أعشق الثرثرة مع نفسي ، فنحن
مما منذ الطفولة ، كما تعرف .. فأنت تعرف صحيح ؟
ثم توقفت لحظة

: لكن هذا لا يعني أنني أتحدث عنك مع ذاتي ، فأنا لا أهتم لك .. بلى أهتم لك لكن
ليس هذا النوع من الاهتمام الذي يجعلني أحادث نفسي عنك !
ثم بدأت خطواتها بالتراجع و هي تنظر نحوي ثم أغمضت عينيها
: أمهلني خمس دقائق .. سأجمد عقلي و لساني و أعود ، فقط خمس دقائق !

ركضت من أمامي ، فوجدتني أبتسم من حماقتها كما قالت . بينما كانت تغتسل ميس
أو تتجمد كما قالت كي تستيقظ من حلمها ، أشعلت سيجارة و وقفت أمام النافذة و أنا
أمسكها بيد و يدي الأخرى أضعها بجيبي ، و أنظر لتلك السماء الواسعة التي لم تعد
تتسع لعشقي لكي ، لأجد عقلي شرد بكِ ثانيةً كما هي عادته دائماً مُعذبتني فكلما
غادرني فتشت عنه لأجده يسكن عينيكَ ، فلم أعد أعلم لما أصبحت أرى كل النساء
تشبهكِ ، لكني لا أرى امرأة تماثلكِ ، فلم أجد امرأة تُضاهيكِ و بملائكيتكِ تُجاريكِ ،
يا امرأة تفقدني عقلي بحضورها و غيابها كما أفقدتني قلبي بعشقها !!
وبعد دقائق عادت ميس لتوقظني من سكرتي بكِ ، و يبدو أنها قد أفاقت من سُباتها
....

: ياسين بك .. ماذا تُفضل أن تشرب ؟

: إن كنتِ تجيدين القهوة فسأشربها ملعقة سكر واحدة

اتجهت إلى المطبخ لتُعدّها فجلست إلى الكرسي المجاور لرف الرخام المطل على
الاستقبال ...

: متى سنأتي ايما ؟

حينها توقف كل ما بها عن الحركة و تجمدت بمكانها ، رفعت طرف عيني نحوها و استرسلت كلامي و أنا أكثر هدوء ، و أعبث بإحدى التحف الموضوعة على الرف
....

: أخبرتكِ أنني أعلم أنكِ ذاهبة لتسوق !!

عادت تقلب القهوة ثم وضعتها على النار و هي تنتظر نحوي بتوتر كأنها تراجع كلامها قبل أن تتطرق به...

: لما لا نتحدث بصراحة أكثر ، أعلم أنكِ تعلمي بما يدور بيننا

أفرغت القهوة بالفنجان ثم وضعته أمامي ، و قالت و هي تتلثم

: بينكما !! ماذا بينكما ؟ حقاً لا أفهم عن ماذا تتحدث ؟

: خبرتكِ أنني أريد أن نتحدث بصراحة ، و أنتِ تعلميني منذ زمن أنا رجلاً لا يهوى

لعبة اللف و الدوران فهي تُزعجني ، و لا أعتقد أنكِ ستكونين مُزعجة .. ميس !

: ماذا تريد يا ياسين ؟

: أريدها

: (تريدها) تلك كلمة تحمل ألف معنى فأبي المعاني التي نتحدث عنها هنا ؟

نظرت إليها و لم أجيب بشيء

: أعني تريدها حبيبة و زوجة أم عشيقة ؟

: كل ما أريده أن تكون لي

: إلى هذا الحد تحبها أم فقط ترغبها كغيرها ممن دخلن حياتك ؟

: أعتقدين إن كنت أرغبها كنت سأتي إلى هنا !!!

بادرتي بابتسامة متعجبة

: اعتقدت أنك كما يقولون عنك لا تعلم للغرامِ درب ! لكن يبدو أنك خطوت ببحر الهيام ، تهاني إليك لقد أصبحت هائماً بها !

فابتسمت و ارتشفت من قهوتي و طال نظري بها و طال صمتي و بحلقي سؤال واحد ، قدر ما لا أحتمل صبراً لمعرفة إجابته التي قد أوقن بمعرفتها قدر ما أخشى تلك الإجابات تأتيني كسهم يٌصيبني بمقتل !! و بعد تردد طويل و صمتاً أطول بادرتني هي ، كأن صوت أفكارني قد وصلها و بعين لامعة
: نعم !

برقت عينايا و تنفستُ و نظراتي إليها ترجوها أن تكمل بما يشتهي قلبي
: نعم هي تُحبك .

: فلماذا تفعل هذا بي ؟ لماذا تهرب مني ؟ و تُعاقب قلبي باشتياقها ؟

: اهدأ يا ياسين .. هي لا تُعاقبك لكن هي بوضع لا تحسد عليه أنت تعلم أن وضعها سيء، هي تُحبك مهما كابرت أو حاولت إنكار هذا لكن صدقاً هي أكثر من يتعذب ، يجب أن تكون أكثر من يعلم ذلك .

كنت أعلم أنها محقة لكن ما بيدي ، و كلي يقف ضدي و يثور لغيابك
: هي تُحبك لكن ماذا تريدها أن تفعل ؟ إن كان القدر هو ما يقف بينكما ! فكل شيء يقف في طريقكما .

: لما لا تتفصل عنه وتتهي كل هذا العذاب لنا ؟

: أعتقد أنها لم تحاول الانفصال عنه قبلاً ، حاولت كثيراً حتى قبل أن تظهر أنت بحياتها ، لكن الجميع يعلم أنه أجبرها على الزواج منه ! أعتقد أنه بعد كل ما فعله

ليصل إليها سيتركها ! صدقني هي حاولت كل شيء، لكن كريم ليس الرجل الذي سيُفلتها من قبضته ، هو يعتبرها إحدى أملاكه لن يفرط فيها .

ثم صمتت لحظة و بنظرة مترددة

: خاصة إن كان لك أنت !

كانت تردد لي صوت عقلي الذي حفظته عن ظهر قلب ، لكنني لم أعد أحتمل عشقك سراً أريد أن أجهر بك للكون أجمع

: بت أعلم كم تعشقها و كم هي تعشقك ! لكن وضعك لا يختلف كثيراً عنها ، فالعلاقة التي تجمعك و عائلتك بكريم و عائلته تجعل من الوضع كله يتحول من سيء إلى أسوء ! غير أنك متزوج ، أعتقد أن وضعكما هذا أشبه الآن بقنبلة موقوتة ! إذا انفجرت ستطرح الجميع أرضاً و أنتما ستكونان أول الضحايا، يجب أن تفكر جيداً في ما هو آتي ، وماذا ستفعل ؟

فنهضت من مكاني

: كل ما أعرفه أنني أريدها فلا أرى أو أسمع غيرها، حاولت الابتعاد عنها كثيراً و لم أستطع .

: كنت أريد قول شيء من البداية لكنني ترددت ، لا تتخلي عنها هي تحتاج إليك كثيراً ، فلا تصدق هذا العند الساكن عينيها ، هي فقط تحاول تصنع القوة أمامك حتى تبعدك عنها ، لا تصدق أنها صامدة ضد حبك الحقيقة أنها لازالت صامدة بحبك ، أنتما يبقيا قوية ، و مهما خبرتك غير ذلك فهي تكذب خوفاً عليك ، فهي تخشى عليك كثيراً من كريم إن علم أنكما تكتنان لبعضكما تلك المشاعر ، أنت لا تعلم ماذا سيفعل بكلاكما !

ثم صمتت لحظة فنظرت لها بصمت ، لتقول بصوت خافت ، و هي تهز كتفيها

: حمقاء لا تعلم من أنت ؟ أعتقد أنها تخشى على الشخص الخطأ !

ثم اتجهت نحو سلم الدور العلوي بشقتها لتغير ملابسها ، بعد أن سعدت درجتين من السلم ، عادت و جلست أمامي و هي تنتظر نحوي و هناك شيء تود قوله ، شيء حاولت إخفاءه و لكنه عالق بحلقها ، و بعد أن طال صمتي و صمتها، وكثيراً من تردها

: هناك سؤال يؤرقني و لم أعد أحتمل منعه !

: هاتي ما عندك ميس !

: أنت تحبها .. هذا يعنى أنك ستفعل أي شيء لأجلها ؟

: بالتأكيد .

فوقفت و التفتت إلى النافذة

لذن ستُساعدها كي تُلْت من قبضة كريم ؟

: بالطبع سأفعل

: و هل ستجبرها أن تكون لك ، كما أجبرها كريم أن تصبح زوجته ؟

جاء السؤال صدمة لي جمدت الدم بعروقي و ملأنتي دهشة عُقد منها لساني فوقفت و نظرت إليها

: هي تُحبني ! و أنتِ قتلتني كل شكوكي بهذا، فلما سأجبرها أن تكون لي ؟ إن كان قلبها بالفعل ملكي ؟

نظرت نحوي و بعينيها نظرة تخبرني أن بعقلها شيء محدد تريد الوصول إليه

: أنت تعلم بأن لا أحد يعلم ما سيحدث بالمستقبل ، فإن حدث و ظل القدر يتلاعب بكلاكما ، و كان هناك ما يمنعها عنك ، فهل ستجبرها ؟

تلك اللحظة أيقنت أن هناك ما تخفيه أنتِ و ميس تعرفه ! و هذا هو ما يقف بين عشقي و قلبكِ حبيبتي ، هذا ما يبيكِ سجينة أسوار شيدتها بيديكِ و اعتقلت كل ما بكِ خلفها ، هذا ما يبيكِ مستسلمة له ، و إن كان هناك ما يقف بين قلبي و قلبكِ فسأهدمه

: أحبها.. و سأفعل أي شيء بالكون لأجلها و رغم أنني لا أفهم ما تعنيه ، لكن مستحيل أن أجبرها على شيء لا تريده و خاصة إن كان أنا !

: إذن ستساعدنا لتتال حريتها من كريم ، ثم تتركها تقرر حتى و إن كان القرار ليس بصالحك؟

: ما الذي ترمين إليه ميس ؟ لعلكِ إذا خبرتني ما تحاولين الوصول إليه ؟ سأوفر عليكِ الكثير من الأسئلة ؟

: فقط أجبني ؟

: حسنا بكل الأحوال لن أتخلى عنها ، ليس الآن و ليس بعد ، سأقف إلى جوارها بكل ما أستطيع ، حتى و إن اختارت ألا تكون لي ! مهما كان ما تريده مهما كان ما تبغي ، فلا أهتم كل ما أهتم له هو أن تكون بخير ، فأنا أحبها و كل ما أكرت له سعادتها .

نظرت نحو النافذة ثم التفت إليها

: فالحب ... ألا نكثر بأي شيء سوى أن يكون من نحب بأفضل حال ، أن نرى ابتسامتهم حتى و إن لم تكن تلك الابتسامة لنا فلا يهم! لكن يكفي قلوبنا تراها تشرق فتشرق لها حياتنا، فمن منا احتاج يوماً أن يلمس الشمس كي يشعر بالدفء أو يمسك الهواء كي يشعر بالحياة ، ومن نعشق هم لنا حياة مهما أبعدتنا المسافات !

ثم صمت لحظة و رفعت حاجبي

: لكن هذا لا يعني أنني سأستسلم ، فلن أكف عن محاولة استحواذ كل ما بها لي ،
و لن أتوقف قبل أن أهدم كل ما يقف بيني و بين قلبها ، و يوماً ما و مهما ابتعد هذا
اليوم ستكون لي برغبتها ، فأنا أريدها حبيبتي و ليست سجينتي !!!

أطالت ميس النظر بي و هي صامتة و بوجهها ابتسامة ، و هي تأتلف لتصعد
السلام

: من يقولون أن زمن أساطير العشاق قد ولى أعنقد أنهم لم يلتقوا بك بعد !
صعدت ميس و تركتني بحيرة كادت تقتلني .

؛؛؛

لم أستطع المغادرة فأعلم انك قادمة ، جلست أنتظرك ، بينما صعدت ميس
إلى الدور العلوي بشقتها كي تستعد للخروج معك ، جلست أفكر بكل ما دار بيننا ، و
عقلي يكاد يتوقف من كثرة التفكير بلغزك حبيبتي ما الذي تخفيه ؟ و ظل ذهني شاردا
بك و بهذا الصراع الدائر داخلي المشتعل بين قلبي الذي يشتهي عشقك يشتهي أن
يجهر بحبه لك للعالم أجمع ، و بين عقلي يعرف أنه ي طالب بالمستحيل و يتخطى كل
القواعد و المسلمات ، عقلي يعرف أنه ي أعلن الحرب على كل شيء بعشقه لك ، لكن
ما بيدي فقد عشقتك و قضى الأمر !!

كا عقلي ي غادرنى من شدة عصف رياح الأفكار بي حتى جاء رنين هاتف ميس ،
ليوقف هذا الصراع داخلي و يعلن بداية صراع آخر ، صراع بين أنفاسي و دقاتي
التي تسابقت إلى السحاب ، حين لمحت عيني صورتك على شاشة الهاتف ؛ طلبت

إلى ميس أن تُصر على صعودك أولاً قبل الذهاب إلى التسوق بحجة أنها لم ترتدي ثيابها بعد ، فإن علمتي بوجودي فلم تكوني لتصعدي مهما حدث ، كنتِ ستهريين كعادتكِ حبيبتي . و بالفعل سعدتِ بعد إلحاحها الشديد و حين قرعتِ جرس الباب ، تاه كل ما بي تجمدت كل ذرة بجسدي ، فلا تعلمي كم كنتِ أشتاق إليك ؟

““

دلقتِ إلى الشقة و رحبت بكِ ميس بابتسامة هادئة و نبرة متوترة بعض الشيء
: كيف حالك ايما ؟

فابتسمتِ و أومأت برأسك لها

: الحمد لله ، أعتقد أنني بخير ! كيف حالك أنتِ ؟

: بخير .. لكن لما كل هذا التأخير ؟

: لا شيء إنه فقط الطريق ، فالمرور لدينا يحتاج معجزة كي يتحسن !

ضحكت منكِ و أجابت بنظرة مشاكسة

: سنتركها لكِ فأنتِ هي صاحبة المعجزات الآن ! فأصبح لديكِ الكثير منها !

: ماذا يفترض بي أنا أفهم من هذا ؟

أجابتكِ و قد تعالت ضحكتها

: منذ متى و أنتِ تفهمين حبيبتي ؟

: يكفي أنتِ ، حتى العالم لا يتحمل كلتانا تفهم !

: أمازحك فقط ، و حقا خفت كثيرا ألا تحضري .

فبادرتيها بعفوية و أنتِ تخطين إلى الاستقبال بظهرك ، و تضعين حقيبتك إلى الكرسي

: و لما لا أحضر ! ثم لماذا هذا الإصرار على صعودي و نحن سوف نذهب للتسوق ! و يبدو أنك ارتديت بالفعل ، أم فقط يجب أن أتحمّل كل تلك السلالم صعوداً و هبوطاً ! فصدّقاً لا أعتقد أنني بحاجة لفقدان كل هذا الوزن !
تقدمت نحوك و كنت أصبحتُ أقف خلفك تماماً

: هناك من يريد أن يتحدث معك !

: معي أنا !! من ؟

أمسكت بمرفقيك و أشارت لك بعينيها كي تنظري خلفك ، و بالفعل التفتي لتجديني أمامك مباشرة ؛ لا أستطيع ما حييت أن أنسى تلك النظرة بعينيك فكلك تجمد ، كل ما بك توقف و كأن روحك و عقلك و قلبك و كل ما بك غادرك إلى عالم آخر، و تهامسيت بدهشة اقتلعت منك الحروف و سرقت الكلمات من شفتيك

: يا الهــــي .. ياسيين !!

ابتسمت لك و اقتربت منك أكثر و بصوت خفيض

: تأخرت كثيراً على موعدك ! فلقد انتظرت طويلاً

ظللت على حالك بضع ثواني ، و كلك ينتفض و عيناك معلقة بي لا تتحرك

: ياسيين ... ماذا تفعل هنا ؟

: كما خبرتك صديقتك أريد أن أتحدث معك .

التفتي إليها كأنك اكتشفت وجودها توا ، و بنبرة غاضبة

: كيف لك أن تفعلني هذا ميس ؟

: و ماذا فعلت أنا ؟

فنظرت إليها و لم تتفوهي بكلمة ثم تخطيت كلانا مسرعة إلى الباب ، أسرعته هي من خلفك و هي تحاول إيقافك

: ايما انتظري .. انتظري ..ماذا تفعلين ؟ ايما !!

وقفت مكاني و لم أحرك ساكناً لم ألته ورائك ، فكنت أعلم علم اليقين أن تلك ستكون ردة فعلك معذبتي ، أنك ستهربين مني كعادتك ، لكنني و على غير عادتي لم أكن لأسمح لك تلك المرة بالهروب ، فقد تعبت من هروبك و تعب قلبي من اشتياقك ، تلك المرة أعددت حساباتي لذلك ! فتوجهت إلى الباب و من خلفك ميس تحاول إيقافك ، و عندما فتحتي الباب كانت صدمتك الأكبر

حين وجدت طلعت يقف أمامك ، هو مساعدي و أحد رجالي الذي أعتمد عليه بكل شيء ، و محل ثقتي بأدق أسراري ، فتوقفت و ميس دون حراك للحظات ، ثم التفني نحوي و سألتني بغضب بدأ يتطاير بأحداقك

: من هذا ؟

وردت من خلفك ميس فهي لم تكن تعلم بوجود طلعت

: يا الهي .. ما الذي يحدث هنا ؟ من هذا يا ياسين ؟

فنظرت إليك و بنبرة هادئة أثارت غضبك أكثر

: أخبرتك أريد أن أتحدث معك و سوف نجرى هذا الحوار معاً حبيبتي !

: رغماً عني يا ياسين !! سنتحدث معي دون رغبتني !!

: سنتحدث ايما .. بأي طريقة كانت !

و بنظرة تحدي

: هكذا إن لنرى ، سأذهب يا ياسين و لتمنعي !!

التفتي إلى الباب تهمين بالخروج و قبل أن تحركي ساكناً اجتاحني غضب عارم من تحديكِ لي ، فأخذت أقبض على كفي و صرخت فيكِ بغضب كبير كان انتفضت منه أوصالك

: ايما .. إياك أن تتحديني !!

صمت و أنتِ ترتعشين و بنظرة غاضبة كادت تقتلعكِ فلم تتحداني قبلكِ امرأة!

: لقد اكتفيت فلن تخطو قدمكِ خطوة أخرى قبل أن نتحدث ، أو دون أن أسمح لكِ بها !!

انتفض كل ما بكِ و امتلأت عينيكِ رعباً و عُقد لسانك و تجمد الدم بعروقك ، و لم تتحركي قيد أنملة حتى أكاد أقسم أنكِ لم تكوني تتنفس في تلك اللحظة خوفاً صغيرتي ، اقتربتُ منكِ خطوة فتراجعتِ ثلاث ، و عقدت حاجباي و بنبرة أكثر غضباً

: أقسم بمن رمانى ببحر هوائكِ إن كانت فعلتها امرأة غيركِ لاقتلعت رأسها أما أنتِ ..

صمت لحظة ثم زاد حنقي و الغضب بصوتي

: ستحدث بأي طريقة كانت فحقاً لم أعد أهتم كيف سنفعلها ! إلا أننا سنفعلها و الآن ايما ، فلا تُجبريني فعل شيء سيندم عليه كلانا ، لا تجبريني فعل شيء لا أرغب فعله ، إلا إنني سأفعله إن اضطررتي ، فلا تختبري صبري أكثر من ذلك !

زاد خوفك حتى أنكِ أمسكتِ بيد ميس و بدأت أنفاسك تتسارع حتى اعتقدت أن قلبك سيتوقف أو سيغشى عليكِ و همست لكِ ميس بصوت مسموع لي

: خبرتك سابقاً أنك تخافي الشخص الخطأ ! إن كنت تعتقدين أن كريم عذاب –

ثم رمقتني بنظرة لا تقل خوفاً عنك

: فأهلاً بك في الجحيم

أعلم أنني أخفتك و هذا ما لم أكن أرغب به ، إلا أنني في تلك اللحظة كنت قد اكتفيت من كل هذا العند الساكن بك ، من كل هذا الذي تفعليه بي سواء أكنت تتعمدين ذلك أم لا ، فقد اكتفيت من كبريائك الذي لا يستسلم أبداً ، كنت قد وصلت إلى النقطة التي ثار بها كل شيء داخلي منك ، ثار فيضان يجتاح كل شيء ، و لم يعد بالإمكان إيقافه !

نظرت إلى طلعت و أشرت إليه أن يغلق الباب ، ثم عدتُ إلى الاستقبال فتبعني ميس و هي تجذبك من ذراعك ، فالتفت إليك وأنا صامت أحاول تمالك ثورتي التي أعلم أنها أرعبتك ، لكن ما بيدي و أنت هي من تفقدني عقلي و تدفعني إلى الهاوية بعندها و عشقها !

جلست إلى الكرسي و أشعلت سيجارة و وضعت ساقاً فوق الأخرى و نظرت نحوك ، و أنا أطقق بإصبعي على ركبتني ، و نبرة أكثر تحدياً لثورتك و غضبك

: أنت هي من اختارت أن نجري هذا الحوار بتلك الطريقة و ليس أنا ! أنت هي من تحرمني رؤيتها و تجبرني ابتعادها ، فلم تتركي لي خياراً آخر ، فكلما اقتربت منك ابتعدت عني ، كلما حاولت الحديث معك هربت مني ، فلم يكن أمامي سوى تلك الطريقة !

بدأت تحركين قدمك بتوتر شديد ، و أنت تضعين يدك على فمك ، تحاولين أن تكظمي غضبك ، أمسكت ميس بيدك ، و هي تحاول تهدئتك

: اجلسي ايما ، أرجوك اجلسي واستمعي لما يريد

: ماذا تريدني أن أسمع ؟

: فقط اجلسي من أجلي ؟ ايما اجلسي أرجوكِ لنتهي من هذا

ظللت واقفة على عنادكِ ، تأبي الجلوس أو التحدث

: أعلم أن نهايتي ستكون على يدكِ !

همست بها ميس ، ثم جذبكِ من يدكِ تلك المرة فأجستكِ ، نظرت إليك و هذا
الخوف الذي ملئكِ مني مما جعل قلبي يؤنبني كثيرا ، كيف لي أن أخيفكِ هكذا ؟
فأنتِ هي حبيبتي و عشقي و أنتِ كل ما أرجوه !

انتبهت ميس لصمتي ، فهمت للمغادرة فأمسكت يدها

: إلى أين أنتِ ذاهبة ؟

: سأتي ببعض الأشياء من الأعلى

: ماذا ؟

: بضع دقائق و أعود

فنظرتي إليها بحزم

: كلا لن تذهبي إلى أي مكان

: وجودي غير لائق ، فلتهدئي ، سأقوم ببعض الأعمال سريعا وأعود حبيبتي ، هو
لن يقوم باختطافكِ !

ثم أفلتت يدها منك ، و بعد أن خطت خطوتين ، توقفت ثم التفتت و عينيها متجهة
نحوكِ ، و نظرة مشاكسة ، في محاولة منها لمداعبة كلانا و تهدئة تلك الحدة

: فقط لتذكيركِ حبيبتي ، احرصي ألا تغضبي هرقليز !

فابتسمت من شاكستها ، فرمقتني بنظرة كادت تقتلني ، كأن عينيك تقول لي (أتبتسم حقاً لقد جمدت الدم بعروقي و الآن تبتسم !) فانقلت إلى الكرسي القريب منك فهمت بالوقوف فزادت بسمتي منك و من عنادك

: أريد فقط أن أتحدث معك

: تفضل ماذا تريد ؟

وقفت خلفك و عطر أنفاسك يتسلل بين أوردتي

: من الشخص الذي كان يحادثك أمس بالمطعم ؟

: ماذا ؟

: أعتقد أنك سمعتني جيداً !

التفت نحوي وعقدتي ذراعيك ، و نظرتي بعيني و بنبرة غاضبة

: هل تتهمني بشيء ياسين بك ؟

: من هو ؟ و ماذا كنت تفعلين معه ؟

: كيف لك أن تعرف أين كنت ؟ و ماذا أفعل ؟

نظرت إليك بصمت فوجدتك تتراجعين للخلف ، و عينيك تمتلئ بصدمة أسكتتك ، فوضعتي يدك على فمك و همستي من خلفها بصوت متقطع

: يا الهي .. أنت ... تراقبني !

: فقط أجيّب ايما .. من هو ؟

أجبتني بصوت ثائر ، و نظرة تمتلئ تحدياً

: لا شأن لك .. فليس لك أي حق بالتدخل بحياتي الخاصة !

فثارت منك نفسي ثانيةً ، و همس لي عقلي (يا الهي من تلك المرأة ألا تكف عن عنادها أبداً ، إن قتلتها الآن فهل سيلومني أحداً !!) فأمسكتك من يدك بغضب أحاول تمالكه

: لن أعيد سؤالي مرة أخرى .. من هو ؟

تعلقت نظراتك بعيني ، كنت كالمغيبة ، فضغط على يدك كي أعيدك من صدمتك

: ماذا تفعل ؟ ياسين أجننت .. اترك يدي !

نظرت إليك بغضب و لازلت أضغط يدك ، فأيقنت أنني لن أترك حتى تخبريني ما أريد ، فأجبت بصوت يملئه الألم ، و عينيك معلقة بيدي

: إنه جار قديم لنا ، و قد التقيته صدفة بالمطعم حين كنت أنتظر ميس

: لأكثر من ساعة ، عن ماذا كنتم تتحدثون ؟

: عن كيف سارت الحياة مع كل منا و عن العائلة و العمل —

كنت تتحدثين و كنت أنظر إليك و أنت تتألمين ، و كلما زاد ألمك ، كلما زادت ثورتي ، و زاد غضبي منك ، لماذا تجبريني أن أفعل شيء لا أريده ؟ تجبريني بعنادك أن أظهر لك جانبي السيئ ، فلماذا حبيبتي تقوديني إلى هذا الطريق؟ فحقاً بتُ أخاف يوماً تقتلينني بعنادك هذا أو ستدفعيني أن أقتلك!!

ثم جاءني صوتك متألماً ، و الدموع تكاد تغادر عينيك

: أفلت يدي ، ياسين أرجوك ، إنك تؤلمني !

أفلت يدك ، فأدرتي ظهرك لي

: أعتقد أن الحديث بيننا قد انتهى !

: هو فقط بدأ للتو !

و بنبرة ندم ملاً صدري

: لم أقصد أن أولمك

: عن أي شيء لازلت تريد التحدث ؟ ليس هناك شيء يجمعنا لنتحدث به !

: على العكس فكل شيء يجمعنا ، حتى أن قدرنا يجمعنا —

و قبل أن أكمل حديثي ، قاطعتني ، و أنتِ تهزين رأسك باستتكار

: ياسين .. أرجوك لا تتحدث عن القـ

: أُحِبُّكَ

توقفت دون حراك ، ثم أخذتني تجلسين بهدوء على الكرسي ، كأنك تخشين أن يغشى

عليك أو يختل توازنك ، فأعدتها على مسامعك و أنا أقترب منك أكثر

: أُحِبُّكَ ايما

صمتي لحظات و أنتِ تحاولين لملمة ذاتك ثم انتفضت فجأة و بادرتني

: يكفي ياسين .. لا أريد أن أسمع منك شيء

: بلى .. ستسمعين كل ما أريد

: لن أسمع شيء يجب أن تفهم أنه فقط وهم ، ليس هناك قدر يجمعنا ، ليس هناك

شيء بيننا !

: بلى .. كل شيء يجمعنا ايما أنا أحبك و أنتِ أيضاً تحبينني !

أدرت لي ظهرك ، فالتفت إليك ، خفضت عينيك أرضاً و يديك تمسك بعضهما

: غير صحيح .. أنت مخطئ !

أمسكتك من ذراعيك ، فرفعت عينك نحوي

: على من منا تكذابين ! إن كنتِ تحاولين الكذب عليّ فعينيك التي علمت الآن لما تواربهم عني طوال الوقت تفضحك ، و ان كنتِ تكذابين على نفسك ! فإلي متى ؟

انترعتِ نفسك من بين يداي و استدرتِ للجهة الأخرى

:أنا لا أكذب ، أنتِ حقاً واهم ، أنا أحب زوجي .

و بابتسامة مغتظة منك

: حقاً زوجك !! الذي أرغمك الزواج به ، الذي تبكي كل ليلة وحدك وجعاً منه و أنتِ تنظرين إلى الله و ترجيه أن يخلصك من هذا الزواج !

: ماذا ؟ كيف لك أن تعـ

صمتي لحظات ثم تخطيتِ دهشتك

: أخبرتك أنك واهم ، أنا أحب كريم ، هو زوجي –

تركتك تكملين و دار بعقلي الذي تحاولين فعله أن تجعليني أئس ، تريدان أن أعلن استسلامي ، لكن هيهات لن تتوليه أبداً ، ليس بعد أن تأكدت من ميس أنك تحبينني كما كنت أوقن . تبقى فقط أن تعترفي بها لنفسك قبل قلبي ، و لن أتركك قبل أن تنطقني بها حتى و إن قتلتني بعنادك هذا ، فإن كنتِ تحبين لعبة العناد فقلد أخطأتِ المنافس ، أتعلمين قدر ما يغضبني عنادك إلا إنني عشقت لعبتك تلك ، لأنه حين أكسر عنادك بين أحضانني سيكون لعشقتك مذاقاً خاص فوضعت غضبي جانباً و بدأت أجاريك بلعبتك ، فقاطعتك

: هل أخبرك أحدٌ من قبل أنك لا تجيدين الكذب !

: لا أكذب تلك الحقيقة !

تقدمت بخطواتي إليك و تراجع خطواتك و نظراتك تحاول الهرب مني

: الحقيقة ! أتريدين حقيقة ، حسناً سأخبركِ واحدة !

و لازالت خطواتي تتقدم و خطواتك تتراجع ، حتى اصطدمتِ بالجدار من خلفك ، و كان كلك ينتفض ، فوضعت يداي على الجدار من حولك فسكنت أنفاسك صدري ، و سبحت عينيكِ بشراييني و كل ما بكِ سجين ذراعاي ، فملتُ إليكِ و همستِ بأذنكِ اليمنى

: الحقيقة .. أنني أحبكِ ، أعشق أنفاسكِ التي تسري بأوردتي .

صمت لحظة فوجدتكِ تغمضين عينيكِ ، و صوت أنفاسكِ يعلو صوت همسي ، فملتُ إلى جانبكِ الآخر ، و همستِ بأذنكِ اليسرى

: و أنتِ تعشقينني .. و أكثر من عشقي لكِ . اسألي تلك الليلة بيننا ستُخبركِ !

اهتز كل ما بكِ و كاد يغشى عليكِ ، وتخدرت منك أوصالك ، فأمنت بأنكِ استسلمتِ و انهارتِ دفاعاتكِ أو هكذا اعتقدت ! و حين بدا لي أنكِ لي اقتربت منك لأرتوي عشقاً ، فوجدتكِ تدفعينني بقوة لا أعلم من أين لكِ بها ؟ فابتسمت من تلك العنيدة و من هذا الكبرياء الذي يسكنك ، جلستِ إلى الكرسي و أنتِ تحاولين لملمة ذاتكِ التي هربت إليّ و تركتكِ ، و صحتِ بغضب اجتاحك

: ليست حقيقة بل سراب لا يوجد بيننا سوى الوهم ، وهم لن يتحقق يوماً ، أحلام لن تحققها مهما حاولت ! نحن كمن يحاول الإمساك بالماء أو التعلق بالهواء، نبنى بيتاً فوق السحاب ، أو نغزل ثوباً من الرمال !

نظرت نحوكِ مبتسماً ، و كانت عيناي تمتلئ فرحاً ، حتى انكِ تعجبت كثيراً من سعادتي المفاجأة

: لماذا تلك السعادة على وجهكِ ؟

: يا الهي .. ايما منذ تلك الليلة بيننا ، أخيراً بدأت أحس أننا نقف معاً على نفس الأرض !

: ماذا تعني ؟ لا أفهم شيء ، ماذا تقول !!

ابتسمت أكثر و اقتربت منك

: “ نحن ” !!

فنظرتي لي ، و أنتِ حقا لا تفهمين

: قلت منذ لحظات “ نحن ” فقد جمعتني و إياك معاً بكلمة واحدة ، كما سيأتي يوماً و أجمعني بك في بيت واحد أمام العالم أجمع .

: ياسين —

: هل خبرتك انك حين رأيتني و نطقت باسمي مجرداً “ياسين” كنت سأقبلك !

نظرتي لي و بعينيك دهشة غريبة و وجنتيك تمتلئ خجلاً

: تلك أول مرة تنطقي باسمي مجرداً من الألقاب ، و لم أكن أعلم أنه ساحر إلى هذا الحد ، إلى أن تهاومت به شفتيك ، أتعلمي حمداً لله أن ميس كانت تقف بيننا فكيف لي أن أقبلك ، و أنا أريد اقتلاع هذا العند الساكن رأسك ؟

فأشرت بيديك و بنبرة يائسة

: أرجوك توقف .. لا تفعل هذا بي !!

: لينتني أستطيع أن أفعل أي شيء سوى أن أعشقتك !!

أغضت عينيك ، و أنت ترفعي خصلة هربت من شعرك كي تداعب جبينك

: أرجوك توقف عن وهمك ، فقط توقف !

زدت بقربي منك

: ليس وهم ايما !

فصرختي بوجهي

: بلى إنه وهم ، لا شيء أكثر من وهم !

ثم استدرت

: أنا لا أحبك أنت فقط تتوهم

التفت نحوك و بغضب بدأ يركض بصدري من عنادك

: حقاً إذا كنت أنا واهم ، و أنت لا تحبينني كما تدعين ، سأتوقف عنك و لن تري

وجهي ثانيةً أعدك ، و لكن ليس قبل أن تنظري بعيني و تخبريني انك لا تحبينني !

التفتي إلى النافذة و أنت تمسكين بذراعيك

: قلت لك إنني لا أحبك

التفت إليك و بدأت خطواتي تتقدم إليك

: إذن فليس من الصعب أن تنظري بوجهي ، أن ترفعي عينيك بعيني ، أن تقولي لا

أحبك !!

بدأت خطواتك بالتراجع ، و أنت صامته فبدأت ثورتي تشتعل

: هيا قوليها و أعدك أنك لن تريني مجدداً ، و لا حتى صدفة بأحلامك !

تراجعت و تقدمت ، و نظرت إليك و الغضب يتأجج بصدري من عنادك

: قوليها حبيبتي ، قوليها عشقي ، انظري بعيني و قولي لا أحبك !

زاد صمتك ، فزاد اهتياج رياح حنقي منك

: هيا انظري لي و قوليه ، أنا لا أحبك أنا لا أعشك كما تعشقني !!

همت أن تركضي من أمامي فأمسكت ذراعك

: توقف ياسين أرجوك توقف !!

ضغط ذراعك بغضب ، و لازلت تتراجعين و أتقدم إليك

: قوليه ايما قولي لا أحبك ، قولي أن ما حدث بيننا في الحديقة كان وهم !

أغمضت عينيك و بدأت تسيل الدموع على جبينك

: لا أحبك !

ابتسمت منك بغضب

: انظري لي و قوليه عشقي !

أخذت شهقاتك تتعال ، فدفعتك إلى الحائط خلفك و وضعت يداي على الجدار من حولك ، و خوفا عليك من بركاني الذي ثار فهو جامح كعشقك ضربت الحائط من خلفك بكفي اليمنى بقوة ، فاهتز كل ما بك خوفاً ، و بيدي اليسرى أمسكت بذقنك كي يتسنى لي رؤية عينيك ، و صحت ببركان غضب زلزل كل أرجائك

: قوليه ، انظري بعيني و قولي لا أحبك !

سالت دموعك و أنت تصرخين بوجهي ، و قد أصيبت بنوبة جنون ، و قدماك تتهاوى منك ، و تحركين رأسك

: أحبك .. نعم أحبك .. أحبك !!

أمسكتك قبل أن تسقطي أرضاً ، و احتضنتك و همست لك

: يا الهي .. حبيبتي اعتقدت أنني سأموت قبل أن أسمع شفقتك تتهامس بها !

كان صوتك يمتلئ بالدموع و شهقاتك المتقطعة

: أحببتك دون إرادتي ، لم أختار أن أحبك ، فعلت كل شيء كي أتوقف عن حبك ،
لكن الأسوأ أنني صرت أحبك أكثر !!!

وضعت رأسك على صدري

: توقفي عن البكاء صغيرتي ، فكل دمعة تسيل من عينيك ، هي جمره نار تحرق
صدري

: ياسين لا يمكن لهذا أن يستمر ، لا أستطيع فعل هذا فلم أعد أقوى !!

: حاولت كثيراً أن أتوقف عن عشقك ، لكنني لم أستطع ، بل صرت أدمن كل ما بكِ
صرت لا أرى و لا أسمع و لا أتتفس غيرك ، فما بيدي ؟؟؟؟

زاد بكائك و كلك ينتفض ، و أنتِ تتمسكين بذراعي حينها كانت لى رغبة لم أستطع
منعها بأن أقبلك ، أن أقبل كل ذرة بكِ ، اقتربت منك و بدا لي أنك لي و كم كنتِ
تريديني قدر ما أردتك ، إلا و كعادتك كنتِ الأقوى ، فهمست لي بصوت باكي

: لا تفعل أرجوك !

فوجدتني أقبل كف يدك ، و لا أعلم حتى الآن كيف لكِ أن توقفيني بهمسة من شفاه
اشتيتها كل ليلة بأحلامي ؟ كيف لي أن أروض لكل ما تأمرين ؟ و أنتِ هي التي
ترجو و لا تأمر .. و أنا هو الذي يلبي و هو يأمر ، أنتِ هي التي تتوسل و لا
تطلب .. و أنا الذي يخضع و هو يحكم !! كيف لي أن أطيع منك أي شيء فقط لأن
أنفاسك تهاست به ؟ كيف لي أن أروضى بقبلة من رحي كفك ؟ قبلة قدر ما أطفأت
من نار الحنين بي ، قدر ما أشعلت من بركان الاشتياق للمزيد من أنفاسك معذبتى ،
و أنا الذي لم يرضى يوماً بالقليل ، كيف لأقل قليل منك أن يسعدني و يرضى رجولة
بي لم تستطع امرأة قبلك إرضائها بكل ما قدمت !!

غادرت منزل ميس و عقلي يمتلاً بألف سؤال عن ما هو قادم ، والى أين سيؤدي طريق العشق بنا ؟ بعقلي بصوت يؤكد بأن هناك ما تخفيه شيء لا أعلمه و لكن السعادة التي كانت تغمر صدري لأنك همست لي بعشقتك كانت تكفيني ، فصدري الذي سكنت بين ضلوعه دقائق كاد يغادر جسدي فرحاً ، تلك السعادة كانت كافية لتؤجل كل هذا الصراع الدائر بعقلي .

“ غياب الأجساد قتال ، و غياب الروح كثقل الجبال ؛
فغيبي قدر ما شئت ؛ يفنى الجسد و عشق الروح بقدر
الحنين يزداد ”

تمر أيامي بغيابك كأنها دهرًا أحياها ، كهلاً لا يقوى الحركة ، فحين تغيبني
عني لا يمر الوقت ، و كأن الزمن يأبى الحركة ، يأبى الضي قدماً ، يثور ضد
غيابك .

منذ ذلك اليوم بمنزل ميس و أنتِ تحرميني رؤيتك كما هي عادتكَ معذبتي ، لكن
غيابك يزداد وحشة بكل يوم ، بغيابك لا أشعر أنني أحيا ، فلا يبقيني أنتفس سوى
عينيك و صدى همساتك لي “ أحبك ” يا الهي كم تفتلني من ذاتي كلما تردد
صدها بأذني ، فلا تمر ثانية تفارقي بها عقلي و قلبي ، و اليوم علمت أنكِ سافرتِ
لزيارة خالتك ، أعلم أنكِ تحاولين الهروب تحاولين الابتعاد لكن بما سيجدي!

أثرتي الغياب اعتقدت أنكِ إن ابتعدت عني ، و غبت أنا عن عينيك ، سيتوقف قلبك
عن عشقي ، ستتوقف روحك عن إدماي ، فوهم شفاءك من غرامي كان يلوح لكِ
بالغياب ، الغياب الذي كنت أوقن أنكِ لن تحتلميه ، كنت متأكد أنه سيعتصر دقائقك
مثلما يعتصر أنفاسي ، كنت أوقن بعودتك ، مثلما كنت أوقن بحبك .

لكنني تركتك ترحلين فما بيدي ؟ تركتك ليثور نبضك و تعصاك أنفاسك ، كنت أعلم
أن كل ما بكلي أصبح لي ، أصبح مني ، لا أنكر أن غيابك اعتصر عقلي قبل
نبضي ، و لكنه كان لا يتعدى كونه غياب بالمسافات ، فأصبحت لي الغائب
بالمسافات الحاضر بالتفاصيل ، أنتِ حبيبتني الحاضرة بتفاصيلك الحاضرة بطيفك
الذي يتلاعب بي ليل نهار ، و يراودني بطرقات الخيال الممتلئة بأدق تفاصيلك ،
أصبحت أنا المتيم بكل همسة منك التائه بين حنايا قلبك ، المسافر بتعابير وجهك ،
فتداعبني عيناك حين تضحكين ، و كيف كانت تهتز قدماك حين تتوترين ، حين
يسافر القلم بين أصابعك إن داعبتك فكرة و غازلت عقلك لتكتبيها ، تلك الابتسامة
الطفولية على وجهك حين تتلعثمين ، و رفعت حاجبيك حين تغضبين ، كم جميلة
يديك و هي تداعب شففتك إن سرحت منك أفكارك ، كم تغمرني تفاصيلك معذبتي ،
أصبح طيفك يعبث بي كل ليلة و هو يداعب أحلامي المشتاقة لكل ذرة منك ،

فأصبحت أنا المشتاق إليك الغارق بالحنين الثائر على غيابك ، و أكثر ثورة على اشتياقي إليك ، و أنتِ معذبتي بالغياب قاتلتي بالفراق !!!

كلما غادرني الحنين زاد اشتياقي إليك ، فكيف تجازي حنيني إليك بالغياب ؟ و تعاقبي قلبي بالاشتياق ! و يا ويلي ما أقساه من عقاب !! كخنجر غرز بين الضلوع ، كم هو مؤلم أن تسكني كل ذرة بي ، و أن تشعلي ليلي و تمتلئ أحلامي بك ، و يحتلني الحنين إليك ليسافر بي إلى تفاصيلك كل ليلة لأشتهي بك أوهامي و تشتهيك كل أركاني ، و استيقظ لأجدك تخلصين للغياب و تصادقين الفراق ، لتشعلي به غيرة اشتياقي من غياب أصبح قلبك يستعذبه ، فيثور غضباً من غياب أصبح بقلبك له مكان ، و أنا المشتاق الذي يغار إن مس شعرك الهواء ، و يشتعل نار إن لمس جبينك الماء ، و يغضب حين تلتف حول غصنك الرقيق ملابسك ! فكيف له أن لا يغار غياب سكن قلبك ؟ و استعذب السكنة بروحك !!!

؛؛؛

أحاول تجاوز اشتياقك بإرهاق عقلي بأن أطلق العنان لرياح الأفكار لتحملني بعيداً عنك إلا أنها تعود و تقذفني بشاطئك ، فأغرق ذاتي بدوامات العمل لتصير بي بسبيل غيرك .

بالعمل يمكنني تخطي التفكير بك بالتفكير بما يمكنني السيطرة ، فيمكنني السيطرة على كون بأكمله ، و حين أصل إليك لا يمكنني حتى السيطرة على ذاتي ! اليوم كان غريب بعض الشيء أتى أمجد ابن عمي حامد ، عمي الأوسط إلى مكنتي بالشركة

: كيف الحال ياسين ؟

بادرني بها و هو يدخل إلى مكتبي ، فابتسمت له و أنا أرحب به

: حمداً لله على كل حال ، فأنا بخير

: أعلم أنك مشغول لذلك دعني أدخل إلى صلب الموضوع

فتعجبت كثيراً ، إلا أنني صمت و نظرت له باهتمام فصدمني

: أبي و أعمامي سيعلنون الحرب ضدك اليوم ! فاستعد يا ابن عمي لها ؟

: ماذا حدث ؟ ما الذي فعلته تلك المرة ؟

ابتسم و هو يقطع بإصبعه على المكتب

: حقيقةً أنت لم تفعل ، لكن جدنا هو من فعل ! فلا أحدا منهم راضي عن قرار جدي

بتعيينك مدير للمصنع ! فأنت تعلم من يتحكم بالمصنع سيتحكم بكل شيء !

حينها صعقتني ما فعله جدي ، و كيف له فعلها دون اخباري ، فزادت بسمة أمجد

....

: هذا هو جدي فعلها حتى دون إخبارك ، سيشت عقلي من هذا الرجل

: و هل سيصدق أبوك و أعمامك أنني لا أعلم شيئاً عن ذلك

: ياسين جميعنا يعلم أنك لم تطلبها ، و هم بأول الصف ، لكن لا بد و أن يلوموا أحداً

، و لن يكون غيرك ، فمن غير مدير المصنع الجديد سيصبون غضبهم عليه ، لذلك

احترس من غضبهم

: و أنت هنا لتحذرنني ! و لست غاضب مثل البقية !

فابتسم و هو يهم واقفاً

: جميعاً نعلم أن جدي يحبك و يفضلك علينا ، لا أنكر أنني أغضب أحياناً لأنه
يُحبك أكثر من الجميع ، و لكن حين أفكر بها أجد أنه محق فأنت هو الوحيد الذي لم
يرفع له راية العصيان يوماً ، غير أنك أكثر من يجتهد بالعمل ، بعيداً عن غيرة
الإخوة تلك بيننا، و لنكن صادقين أنت تستحقها غير أن -
صمت ثم وقف قبّالتي

: لا أنكر أنك سيء مثل الجميع لكن على الأقل ليس معنا فأنت تمد يد العون لنا
جميعاً حين نحتاجها و هذا سبب ثقة جدي بك على ما أعتقد ، فأعلم أن جدي لم
يكن ليقبل بمشروعي لولاك ، خبرتني عمتي بأنك مني دُعمني و يحاول اقناعه بأن
يترك لي الفرصة ، حتى أن والدي لم يفعلها ، لذلك فأنا أدين لك بها
فوضعت يدي على كتفه

: كلا أنت لا تدين لي بشيء، أنت تستحق أنت تختار ما تريد فعله و الحياة التي
ترغب بها ، و أعدك أنه سيوافق

فأوماً لي برأسه بابتسامة ، و هم خارجاً ثم توقف عند الباب و نظر نحوي

: إن سألتني رأي فأنت تستحقها أكثر من الجميع ، فانتهبه لنفسك يا ابن عمي

: شكرا لك على التحذير يا ابن عمي ، على الأقل لدي الوقت الكافي لكتابة وصيتي
!

فعلت ضحكته بمشاكسة و هو يدير قفل الباب و يغادر ، فعدت و جلست إلى مكتبي
و أنا لا أعلم هل يجب أن أفرح بما فعله جدي لأجلي ؟ أم أحزن لإعلان أعمامي
الحرب ضدي ، فأعلم أن جدي سيتسبب يوماً بقتلي على أيديهم !

عُدت باكراً ذلك اليوم إلى البيت فكنت أرغب بالحديث مع جدي قبل حضور أعمامي ، لعلي أقنعه بالعدول عن رأيه ، حين التقيت بأمي ببهو القصر ، كانت عابسة و يعتليها الحزن ، حين سألتها خبرتتي أن جنا طفلي الصغيرة امتعت عن الطعام و لم تكفُ عن البكاء منذ الصباح فاليوم نكرى وفاة أمها ، حينها نسيت كل شيء ، و غادر الجميع عقلي و لم يبقى به سوى أميرتي الصغيرة ، هممت إلى الحديقة لأتحدث إليها ، وجدتها تجلس أمام شجرة زهور قد زرعتها أمها بالحديقة حين حملت بها ، اقتربت منها و جلست إلى جوارها

: ما بال أميرتي الصغيرة ؟

فقدت حاجبيها و شبكت ذراعيها بغضب

: لا شيء

: لكن هذا الوجه العابس يقول أن بمولاتي الصغيرة شيء ؟

نظرت نحو شجرة الزهور

: رأيتِ يا أمي هو لا يهتم بي ! كم أرغب أن أتى إليك يا أمي !

اعتلاني الغضب

: الان أنا هو الغاضب ، ألم أخبرك سابقا ألا تتحدثي بتلك الطريقة ؟

صاحت بوجهي

: أنت لا تهتم بي أريد أن أذهب الى أمي ؟

: جنا ، توقف

صرخت بها بوجهها بضيق ، صمنت و أجهشت بالبكاء ، قربتها إليّ

: لما كل هذا ؟ ماذا فعلت كي تقسي على قلبي هكذا ؟ ألا تعلمين أنك حين تتحدثين
بتلك الطريقة هذا يؤلم قلبي ، فأنت هي أهم من بالكون عندي

: أنت تحب سحر أكثر مني !

: غير صحيح أنا لا أحب أحد بالكون قدر ما أحبك

: أنت لا تهتم بي

ملاً الحزن قلبي لغضبها مني

: جنا حبيبتي أعلم أنني منشغل عنك ، لكن هذا لا يعني أنني لا أهتم بك فأنتِ كل
ما لدي ، و لكي تتأكدي من هذا أخبريني كيف لي أن أعوض أميرتي الصغيرة ؟

صمتت و التفتت غاضبة ، فشاكستها و أنا أضمها إلى صدري

: ما رأيك أن نقضي يوم العطلة القادمة معنا

: أنت و أنا فقط

: و سحر ألن تأتي معنا ؟

عقدت ذراعيها

: كلا لا أريدها أريدك أنت فقط ، أريدك لي وحدي

: و هل لي حق الرفض ؟ بالطبع موافق مولاتي

ابتسمت و أشارت لقلبها الصغير

: فلتعدني بذلك !

: لماذا دائماً تطالبيني بوعد ؟

: جدي يقول أنك لا تخلف وعداً مهما كلفك الأمر !

ملأت قلبي سعادة منها فزدت في احتضانها ، و أشرت لقلبي

: أيتها الماكرة الصغيرة ، حسنا أعدك

أخذت تطوقني بيدها الصغيرتين ثم توقفت فجأة و سألتني بما فاجأني

: أبي ... أين ايما ؟

: ايما ؟

: نعم هي ليست هنا و لم تلعب معي منذ أيام !

علاني الحزن و أسكتني لحظات ثم أجبتها

: لا أعلم أين هي ؟

: ان تحدثت إليها أخبرها أنني أشواق إليها و أنني أحبها كثيرا ، و اجعلها تعود فأنا لا

أريدها أن ترحل بعيداً

زادت دهشتي مما قالته ، ثم وجدتها تبكي

: لما هذا البكاء أميرتي المدللة ؟

: لماذا كل من يحبني و أحبه يرحل ؟ فرحلت أُمي و الان ترحل ايما ، و أنت دائماً

منشغل

: أنا هنا و لن أرحل أفهمت و رحيل أمك هو اختبار لنا من الله تحدثنا بهذا الشأن

سابقاً ، أما ايما -

صمت لحظة ثم عدت و نظرت إليها بابتسامة

: أعدك أنها ستعود قريباً ، هي يجب أن تعود !

صدمتني بسؤال أوقف بحلقي الحروف

: هل تحبها يا أبي؟ إن كنت تحبها مثلي فلما لا تتزوجها؟ فأنا أحبها و هي تحبني
و تحنو عليا لما لا تترك سحر و تتزوجها؟

: جنا حبيبتي لا تتفوهي بهذا أمام أحد

: و لما؟ فأنا أحبها -

: جنا لا تتفوهي بهذا أمام أحد هل هذا مفهوم؟ لما لا نجعله سرا بيننا اتفقنا؟

أومات برأسها إيجابا ، فضمنتها إلى صدري ، ثم داعتها

: هل لي الآن أن أحظى بابتسامة و قبلة من أميرتي الصغيرة؟

فزادت باحتضاني

: أحبك يا أبي

: و أنا لا أهتم لغيرك و لا يعنيني بالكون سواك ، تأكدي من هذا

حينها أتت لي لي لتخبرني بأن الحرب دقت أبوابها و حضر أعمامي ، نهضت من
مجلسي و طلبت إليها أن تبقى مع جنا بالحديقة و لا تجعلها تأتي إلى الداخل ، فلا
أريدها أن تسمع أو ترى شيء أكبر من استيعاب عقلها ، أخذت نفساً عميقاً و
استعددت لمجابهة حربي القادمة ، و التي لا أعلم إلى أين ستودي بنا جميعاً؟ حضر
أعمامي الثلاث إلى القصر و جميعا غاضبين كما هو المتوقع ، و كما العادة فعمي
سيد هو قائد الثورة ، دلفت إلى الاستقبال كان جدي يجلس بكرسيه المعتاد ، أشار
نحوي فجلست ، جلس أعمامي حوله و كانت أمي و زوجتي المصون و عمتي و
زوجها الدكتور شوكت محامي العائلة حاضرين ، و بعد لحظات انتفض عمي سيد
من مجلسه بغضب و هو يشير نحوي

: لا أفهم يا أبي كيف تضعه هو بإدارة المصنع و لم تضع أحدنا؟

رفع جدي طرف عينه نحوه و سأله بهدوء

: و من تريد مني أن أضع ؟

: أنا أو حامد أو صلاح كلنا أبنائك و كلنا نستحق أن ندير المصنع !

أجابه جدي بهدوء زاد حنقه

: كلاً منكم لديه أعماله و ما يقوم به ، كل منكم يدير ما يفهم به

زاد غضبه الكظيم الذي تحاول تمالكه

: و هل ياسين يجيد إدارته أكثر من أي منا يا أبي؟ هل يـُجيده أكثر مني ؟

تساءل جدي بغضب بدأ يتسلل إلى صوته

: منذ متى و أنتم تهتمون للمصنع أو لإدارته ؟

فأجاب عمي حامد

: هذا لأنك أنت من يديره يا أبي فمن يجرؤ منا الاقتراب من إدارته بوجودك ! لكن

الآن أنت لن تدير فليكون لأحدنا ، و سيد هو الأكبر فهو الأحق !

فهم واقفاً و صاح بالجميع

: من قال أنني لن أديره ! فأنا من يتحكم بكل شيء ، لا تعتقدون أن أي منكم سينفرد

بشيء بحياتي ، فجميعكم تفعلون ما أشاء و حين أموت افعلوا ما شئتم

هممت واقفاً و قد احتدم الصراع بين الجميع

: جدي أنا لا أريدها لا أريـ

قاطعني بنظرة غاضبة و هو يصيح بي

لا يهمني ما تريده أنت أو ما يريده أي منكم ، لا أحد هنا يريد غيري ، فالجميع هنا طوع أمري و أنت أولهم فلا تجرؤ و تعصاني ! أنت من سيديره ثم ما الجديد فأنت من يديره منذ سنوات !

هم عمي صلاح ليخرج عن صمته

: يا أبي -

أوقفه جدي بحزم و صرخ بوجه الجميع

: انتهى الحديث و لا أريد أحدا هنا ، غادروا جميعاً

هب أعمامي مغادرين و الغضب يملأ صدورهم ، و اتجه هو نحو الحديقة و جلس بجوار جنا و هي تلعب ، فوجدت زوجتي تتقدم نحوي و تقول بحدة

: ارفضها ياسين فأبي محق هو يستحقها أكثر من أي أحد و منك

فنظرت نحوها عمتي بغضب

: ياسين هو زوجك ، هو من يجب أن تدعميه و تقفي إلى جواره !

هزت كتفها بغرورها المعتاد

: و هو أبي و يستحق دعمي أكثر من أي أحد ، ثم إن ياسين ليس لديه خبرة أبي بالإدارة ، فهو أحق من الجميع بأن يجلس مكان جدي

ثم همت خارجة لتتبع أباهما لفيلتهم ، نظر لها زوج عمتي بتعجب

: أفقدت عقلها ؟

فأجبتة بابتسامة ساخرة

: كلا هي فقط ابنة سيد

انقضى ذلك اليوم ، و بعد عدة أيام عدتي فجلستُ بالمكتب في الظلام أرقُبكِ ، رأيتكما تتساجران أعتقد لأنكِ سافرتي دون رغبته ، غير أن لي لي خبرتتي بأنكِ ستسافرين ثانيةً إلى خالتك ، فكان يبدو الغضب جلياً عليه حتى أنه دفعك بقوة إلى الحائط ، ارتطم به رأسك ثم غادر ، ظللتِ جالسةً أرضاً تبكين كان كلي يؤلمني لبكائك ، بعد قليل هدأت نوبة بكائك و هدأ معها كل شيء ، إلا قلبي الذي زاد شوقه إليك و ألمه لأجلك ، و زاد صخب عقلي الذي تلاعبت به كلمات جنا عنكِ في الأيام الماضية و أخذ يُّحدثني شيطاني (و لما لا ؟ لما لا تكوني لي ؟ فبالنهاية هو من أخذكِ عنوة و سوف يأتي يوماً و تهدمي أسوار سجنه ؟ لما لا تكوني أنتِ هي زوجتي التي حلمت أم لطفاتي التي تمنيت ؟ لما لا أظفر بكِ فأنتِ هي كل ما أبغي ؟ إن كنت أستطيع الحصول على كل شيء أريده فلما لا أحصل عليكِ و أنتِ كل ما أبغي ؟) و أخذ يداعبني شيطاني بأحلامي و يدغدغ قلبي بشوقه إليك و ظل يتلاعب بي حتى غفوت على حلماً صار يتوغل بي حتى أصبح كل ما أحاول الوصول إليه و هو أن تكوني لي!!!!

أصبح الاستيقاظ باكراً بغيابك ثقلاً على صدري ، كان للصباح جماله حين كان يبدأ بك ، كان له نكهته حين يأتيني عبيره حاملاً عطر أنفاسك ، كان للصباح سحره حين تخجل الورود أمام محياك ، و تصدح الطيور على همساتك . أما الآن فكل شيء ساكن هادئ ، ليس به حياة ، حتى الصباح عاد أسوء مما كان !! فليس فقط لأنه يأتيني دونك ، بل و يحرمني رؤيتك !! فيحرمني رؤيتك بحلمي ، يحرمني حياة تمتلئ بك و إن كانت وهم و خيال ، فيكفيني أنها معك و بك ، فهي لي حياة و إن كانت حياة بالأحلام !! يكفيني أنها تجمعني بك ، تكونين بها لي وحدي لا يُشاركني بك سوى قلبي ! حتى أنني لم أعد أرغب أن استيقظ من وهمي بك ، لم أعد أرغب بالصباح ، فإن لم يكن سيأتي بك ! إن لم أستيقظ على عينيك فما فائدة الاستيقاظ !!؟

وهذا الصباح كان أثقل من غيره حين فتحت عيني و كنت لازلت بين الصحو و المنام ، حين أتاني صوتها ليخرجني من حياتي بك إلى حياتي معها ، و شتان بينكما !! يقولون أنني رجل يقسو النساء هذا لأنهم لم يقابلوا زوجتي !!!

: ياسين ... ياسين هيا استيقظ

جاءني بها صوتها ليخرجني من حلمي بك ، حاولت فتح جفوني بصعوبة ، و بصوت لم يستيقظ بعد

: أغلقي تلك الستائر لا أريد الاستيقاظ الآن !

جاعني صوتها غاضب

: استيقظ يا ياسين ... استيقظ لتجد حلاً مع ابنتك !

: ليس الآن حبيبتي فأنا متعب ، و لازلت أريد أن أنام نتحدث حين استيقظ

: إذا توقفت عن السهر طوال الليل بفيلاً توفيق لن تكون متعب ، و سنتحدث الآن !

حينها اعتقد أنني استيقظت ، فتحت عيني و أنا أحاول الاعتدال

: لماذا لا نكسر ليوم واحد قاعدة حياتنا اليومية و لا نتشاجر فقط اليوم ، أعتقد أن

هدنة ليوم واحد لن تكون نهاية العالم ، فحَقاً لا أرغب ببرنامجنا الصباحي !

نظرت نحوي عاقدت حاجبيها و شبكت ذراعيها و تلك النظرة تملئ محياها

: أنا هو من يلعب دور الشرير بحياتك ، و أنت هو المسكين ، أنت هو الضحية ، و

أنا هي سبب كل معاناتك في الحياة !!

تتهدت منها ، و حاولت تغيير مجرى الحديث ، فحَقاً لا أريد أن أخوض بحديث هو

مسلسل حياتي معها منذ تزوجنا ، و لم يعد الكلام به يُجدي نفعاً

: ماذا حدث ؟ ماذا فعلت ابنتي ؟

ظلت على حالها و الغضب ينتفض بأحداقها ، الا أنها تماشت معي و غيرت مجرى

الحديث

: ماذا فعلت ! الأفضل أن تسأل ماذا لم تفعل ؟

: ماذا فعلت ؟

: هي فقط غير مهذبة و لا تستمع لأحد ، و لا تكترث لشيء عنيدة و تحتاج إلى

إعادة تربيتها ، إنها تتحداني !!

أخذت نفساً عميقاً و أنا أرفع عني الغطاء لنهوض من الفراش ، و اعتدلت بجلستي و نظرت نحوها و هي لازالت تُعدد لي مساوئ طفلة لم تتخطى السادسة من عمرها ، فنهضت من السرير و وقفت أمامها صامتاً فزاد غضبها

: ياسين أعتقد أنني أتحدث إليك !

فأجبتها بضيق أحاول تمالكه ، و أنا أَلف يدي حول كتفيها

: سحر حبيبتي ، هي طفلة لا تفهم أي شيء من هذا ، و هي بالتأكيد لا تتعمد إثارة غضبك ، و لا حتى تفهم معنى كلمة تحدي !
فزاد غضبها أكثر ، و أزاحت يداي عنها

: و ماذا ستقول غير ذلك فهي ابنتك ، و لابد أن تدافع عنها ، أتعلم أنت بالأساس من جعلها هكذا !

: و كيف جعلتها ؟

: أنت دائماً تدللها و تنفذ لها كل رغباتها ، أنت من يجعلها تتحداني !

حاولت أن أمتص غضبها الذي حقاً كثيراً لا أفهمه فهي ابنتي و ليست زوجتي كي تغار منها !!

: حبيبتي هي ليست سوى طفلة ، و أنا مشغول عنها طوال الوقت ، و من وقت لآخر أحاول تعويض ذلك لها ، ثم إنها طفلتي الوحيدة ، و لم ترى يوماً والدتها ، فإن لم أكن لأدللها فمن سأدلل !! أعدك حين تأتيني لي بطلق جميل يشبه والدته سأدله دون الكون

: لا تغير الموضوع ، و جد حلاً مع ابنتك

: حبيبتي فقط لا تقارني عقلك بعقلها !

فالتفتت نحوي و الغضب يكاد يخرج من أذواقها ، و بصوت حانق

: ماذا ؟ من تلك لأضع عقلي بعقلها ؟

فصرخت بوجهها و أنا أمسكها من ذراعها بغضب

: سحر .. أنتِ تتحدثين عن ابنتي ، لا تتسي ذلك ، و لن أسمح لأحد مهما كان و

أي كان أن يتفوه بشيء لا يرضيني عنها ، أفهمت ؟

و بصوت ناعم يحاول تهدئة الوضع ، وبعد أن أفلتت ذراعها من يدي ، وضعت يدها اليسرى فوق كتفي ، و بيدها اليمنى تداعب شعري برقة لا أعهدا الا إن كانت تريد شيئاً

: لم أقصد حبيبي ، فقط أقصد أنك تقف بصفها دائماً ، ياسين أنت من يقويها على الجميع ، فأصبحت لا تحترم أحد و لا تستمع لأحد ، حبيبي لا تتسى هي بنت و ليست ولد ، و لا بد أن تربي تربية تليق بمن تكون و من تكون عائلتها و من يكون والدها ، و هذا ما أحاول فعله ، لكن ابنتك مشاكسة و أنت تعلم ذلك و دائماً تحتمي بك ، وهذا بالطبع ليس جيداً بكل الأحوال ، لا بد أن تعاقب من وقت لآخر ، إن أخطأت بالطبع .

فاقتربت منها إلى إن اصطدمت بخزانة الملابس خلفها ، و التفتت يدي حول خصرها ، قبلتها بعنقها فاستكانت لي فهمست بهدوء بأذنها

: تلك هي المشكلة حبيبي أنها ابنتي !!

: لا أفهم ماذا تقصد يا ياسين ؟

فرفعت يديها إلى الأعلى ، و شبكتهما بيدي للخزانة خلفها ، و اقتربت منها فبدا لها أنني سأقبلها لمست ثغرها لكنني لم أقبلها ، و همست لها

: أنتِ تفهمين ، فأنتِ دائماً تعاملينها على أنها ابنتي ! و لم تحاولي و لو لمرة واحدة أن تعاملينها على أنها ابنتك ! لم تحاولي لمرة و لا على سبيل التغيير أن تعاملينها بعطف و حنان أم لها ، و ليست زوجة أبيها !!

: حبيبي أنا —

فأسكتها بإصبعي على فمها ، و أنا أداعب عنقها بفمي

: و حقيقة أنتِ لم تحزري بعد ؟ أنا ليس فقط أدعمها ! و أقف بصفها دائماً ، بل و سأحميها من أي أحد! و ليس منك أنتِ فقط ، بل الجميع !

: ياسين .. حبيبي —

: هي ابنتي و إذا اقترب منها أحداً سأقتلع رأسه ، حتى و إن كان أنتِ حبيبي !

ثم رحت أتحسس بأصابعي فمها ، و أخذت أمررها بوجهها حتى عنقها ، ثم أمسكت عنقها بيدي و ضغطت بقوة كدت أخذ بها روحها ، و أمسكت هي بيدي تحاول إبعادها عنها ، و نظرات الرعب الدامعة من الألم تملأ عينها

: حتى أنني لن أتردد لحظة واحدة بأن أقتلع هذا العنق الجميل إن اقتربت من ابنتي ، هل أنا واضح بما فيه الكفاية لكِ زوجتي الحبيبة ؟

أماءت برأسها و الدموع تتساقط من عينها ألماً ، فتركتها أخذت تتحسس عنقها بوجع

: فهمت بما فيه الكفاية فلن أقرب ملكتك الصغيرة ، أهذا يرضيك يا مولاي ؟؟

: لست متأكداً !! لما لا تغلقي تلك الستائر و تأتي إلى السرير !!!

فنزرت نحوي و هي تريد أن تقتلع رأسي ، فزدت في إشعالها سخطاً

: هيا أغلقها و تعالي إلى السرير ، لأرى إن كان هذا كافي ، أم أن هناك شيء آخر
يمكن أن تقدميه لمولاك كي يرضى عنك !!!

وبنظرة تشتعل ناراً ، كادت تخترقني حتى الأعماق ، و تلقي بي في الجحيم

: جدي يريدك الآن .

قالتها و همت لمغادرة الغرفة التي تمننت لو هدمتها فوق رأسي ؛ اتجهت إلى النافذة و
أنا أمعن النظر إلى شرفتك الخاوية ، و شرد عقلي بينك أنت هي قدر قلبي و بينها
هي زوجتي و قدر حياتي فكلتكما أقداري بالحياة ، فأنا أوّمن بأن الأشخاص من
حولنا هم أقدار لنا ، أقدار كُتبت علينا حتى قبل أن نأتي إلى تلك الدنيا ، كما أنني
أوّمن بأنهم أقدار للجزاء ، فمنهم من هم عقاب لنا ، و منهم من خُلق ثواب لنا ، و
منهم من يدخل حياتنا كي نتعلم منه درساً بحياتنا مهما اختلفت تلك الدروس بين
الايجابية و السلبية ، الا أنهم يظلوا أقدار و ككل أقدارنا بالحياة لا مفر من أي منهم
فلا مهرب و لا مكان للاختباء .

و أنا رجل يحترم أقداره كثيراً حتى و إن كانت تقف ضده ، فلا يجب أن تستهين بقوة
خصمك مهما كانت ، و يجب أن تعطيه احترامه الذي يستحقه ، حينها فقط تستطيع
تخطيه ، حتى أنه يمكنك هزيمته و التغلب عليه !

و زوجتي قدري ، قدري المحتوم الذي مهما حاولت تجاهله يظل مسار إجباري ، يظل
طريق باتجاه واحد ، غرفة لها باب واحد باب للدخول فقط ليس هناك خروج !

دائماً تتهمني بخيانتها ، حتى و إن لم أفعل ، كعادة كل النساء يتهمون الرجال
بالخيانة ، و أنهم لا يكتفون بامرأة واحدة ، و هذا نوعاً ما لا يوجد به أي إنصاف أو
عدل ، ليس فقط لأنه إجماع بأن الكل سيء، بل حتى مع القلة أو الكثرة ليس هناك
خيانة من أجل الخيانة ، فكما يقول القانون لا جريمة دون دافع ، ف وراء كل جريمة
سبب ، فلا يوجد رد فعل دون وجود الفعل !!

فهن دائماً يتهموننا بالخيانة لكنهم لم يسألوا يوماً لماذا؟ لماذا يخون الرجل؟ لماذا لا يكتفي بامرأة واحدة؟ أعتقد أن المرأة إن اكتفت هي بذاتها لاكتفي بها رجلها، إن توقفت عن إثارة عقله بمشاكل و ظنون و افتراضات لا حدود لها، و اكتفت بإثارة قلبه بحبها، إثارة نبضه بذكاء عشقها باحتوائه كأم تحتوى طفلها سيكتفي بها دون الكون، إن توقفت فقط عن كونها مجرد زوجة و كانت له أم و أخت عشيقة حبيبة و طفلة سيكتفي، إن توقفت عن لعب دور القاضي و الجلاذ، دور الحكيم الناصح الذي لا يخطئ، و تقبلته بكل ما فيه من أخطاء و عيوب سيكتفي! و هي علاقة تبادلية فكما هي للرجل هي أيضاً للمرأة، فكلاهما يتبادل الأدوار، و كلاهما يبحث عن الاكتفاء! فلا يرغب الرجل بالخيانة لمجرد الخيانة، فمن سيبحث عن رشفة ماء إن كان لديه نهراً، و من سيبحث عن رحيق زهرة مسروقة إن كان لديه بستان!

وكلاً منا لديه ما ينقصه دائماً، فلا يمتلك أحداً كل شيء، و جميعنا يحييا بما ينقصه من ذاته و ما ينقصه من غيره، تلك هي الحياة الا إن الأهم من النقص هو الاحتياج.

فالأسوأ من الاحساس بالنقص هو الشعور بالاحتياج، فالإنسان يحتمل أن يحييا بشيء ينقصه، لكنه لا يحتمل أن يحييا بشيء يحتاجه، فالاحتياج أشد ألماً يعتصر العقل و يُسلسل الرغبة، فدائماً الاحتياج هو الدافع الأول وراء كل شيء بالكون إن كان جيداً أو سيئاً، حين يسرق الناس هذا لأنهم يحتاجون المال، و حين يشعلون الحروب هم أيضاً يحتاجون أن يفرضوا سيطرتهم يحتاجون أن يبسطوا هيمنتهم، حتى عند القتل فإنهم يعتقدون أنهم يشبعون حاجة بداخلهم إلى الانتقام أو القصاص، و حين يعمرن الأرض فاحتياجهم للحياة بها، الاختراعات هي دائماً لحاجة إما أن تكون ملحة للجميع أو لصاحبها، لكن يظل كل شيء بالنهاية يعتمد على الاحتياج. فمهما اختلفنا أو اتفقنا الا إن الاحتياج يبقى شعور متعدد، متناقض، جامع و مختلف من شخص لآخر إلا أنه يظل شعور ملح و مسيطر، يحركنا من الداخل

يقودنا و يحفزنا باتجاه ما نبغي ، حين يجتاحك الشعور بالاحتياج لشيء ما فإنه يستعمرك ، يملك من قلبك و عقلك و يسيطر على روحك ، يملكك بالرغبة في الوصول إلى هذا الشيء دون غيره ، و كلاً منا له قدرته على تحمل الصمود بوجه احتياجاته ، حين نأتي للخيانة فإن الشخص لا يهوي ببئر الخيانة إلا حين تجتاحه تلك الرغبة بالاحتياج سواء كان للرجل أو المرأة ، فهما على حد سواء و بالنهاية بالنسبة للرجل تكون النتيجة واحدة يظل هناك احتياج فيظل واحدة لا تكفي

؛؛؛

كم أصبح هذا الصباح أسوء ، فحقاً بتُ أحتاج بعد كل هذا الصراع إلى حمام دافئ كي يعيد بعضاً من التوازن . أنهيت حمامي و ارتديت ثيابي ، هبطت إلى الحديقة للإفطار مع جدي ، و لا أعلم لماذا كان بصدري أمل يداعبني بأن هذا اليوم قد يأتيني بك !! لكنه كان فقط وهمي ، سراب من فرط لوعة اشتياقي إليك ليس أكثر !

وقفت أمام الطاولة التي يجلس إليها جدي ، و كان يجلس إلي الطاولة عمتي و أمي و حينها شرد عقلي بك ، حين نظرت إلى الكرسي الذي كنت تجلسين به إلى جوار جدي ، كان فارغاً لم يجلس إليه أحداً ، كأنه هو الآخر يأبى أن يجلس إليه غيرك ، يبدو أنه مثلي يظل يعزف على وتر اللقاء ، لازال يرتقب عودتك كما يرتقبها كل ما بي ، أفقت من شرودي بك على صوت جدي

: استيقظت متأخراً اليوم يبدو أن ليلتك كانت أطول من المعتاد !!

: و هل هناك ليلاً قصير !

: هل أخبرتك قبلاً أن الليل هو وطن الغربة ، الليل هو وطن عقول و قلوب ليس لها وطن !

رفعت حاجبي و أنا أهم للجلوس بجانبه....

: أعتقد أنك نسيت أن تخبرني ذلك !

فاعتدل بمجلسه و ببسمته الهادئة

: دعني أخبرك قصة قديمة لكنها ستعجبك .. كان هناك صياد معروف عنه أنه صياد ماهر ، و أنه أشطر سباح و غواص بزمانه ، كان يتحاكى به الجميع فلا يوجد من يعرف البحر مثله ، كان يسكن بمنزل يمتد في البحر ، كان يعتقد في نفسه أنه يحفظ البحر عن ظهر قلب ، يعتقد لأنه تربي منذ صغره به ، و يسكن به أنه يعرف كل شبر به ، و كل سمكة و موجة بالبحر كانت تعرفه ، فكان لا يخشي به شيئاً حتى أعتى أمواجه كان يعرفها و كان يعلم كيف يعبر بها ، حتى جاء يوم أتت موجة هادئة رقيقة بدت ساكنة تحمل نسيم ربيعي لها رائحة الجنة ، أتت تلك الموجة لتسكن شواطئه ، الا أنها لم تكن تسكنه إلا ليلاً ، فكانت تحضر إلى شاطئه ليلاً و ترحل في الفجر ، و يعود البحر كما كان بشروده وهدوئه تارة و بجنونه و أمواجه المغرورة تارة ، و حين يحل الليل و يرمي بظلامه على أكتاف الكون كانت تأتيه موجته ، كانت تداعبه تخطف عينيه بسحرها كانت غير كل الأمواج التي رآها سابقاً ، كان يرى القمر و النجوم يسبحون بداخلها و تتلألأ الأحلام و الحياة بمائها ، لها ضياء لم يراه يوماً و كأنها تشع نوراً من داخلها ، و أخذ يجلس كل ليلة على الشاطئ ينتظرها حتى تأتيه الموجة تداعب شاطئه و تغازل عقله ، و بدأت تتسلل إلى نفسه و ليله بعد ليله تساءل و نفسه لماذا لا يهبط إلى الماء! و يلهو كما يحلو له بتلك الموجة الرقيقة ، تلك التي تبدو كأنها تحمل بين طياتها الجنة ، و التي بدا له أنها تأتي من أجله هو ! بدا و كأنها تختصه دون الكون ، فلماذا لا يسبح بها و يلمس القمر و النجوم داخلها

؟ فهي موجة هادئة ليست عاتية كغيرها ! هي ناعمة و رقيقة و البحر هو بيته و داره
فلما لا يلمسها و لو لمرة واحدة !!

صمت جدي لحظات و حقاً كنت متلهف لمعرفة ماذا حدث ، لكنني كنت متلهف
أكثر إلى ما يرمي إليه ، ما يريد أن يخبرني به من خلف قصته ، و قبل أن أتفوه
بشيء سبقتني إليه عمتي بلهفة فكم تعشق هي و أمي رواياته

: و هل نزل إليها يا أبي ???

التقت نحوي و بنظرته الهادئة الباسمة تلك التي تقرئني دون أن أنبث بحرف

: بالفعل حين أنته تلك الليلة نزل إليها ، نزل أشطر سباح إلى بحره ، نزل إلى موجته
ليسري بها و تجري لألأها بين حناياه ! نزله و هو لم ظأ قدماه البحر ليلاً يوماً !!!

و حين اقترب منها هدأت الموجة أكثر و أكثر و سمعها تتاديه ، دخل إليها و حين
وصل إلى قلب موجته .. خطفت عينه بسحرها و ضيائها و لمس برحاه كل ما تمنها
، لكن حينها و قبل أن يحرك ساكناً و كان لا يزال مسحوراً بما لمس بما تهاست له
به ، و أسرت به فؤاده و أوصاله ، أغلقت الموجة عليه داخلها ، و أخذت تدور و
تدور ، و صار البحر السكن من حوله تائراً غاضباً ، و تلك الهادئة الرقيقة باتت
كفرس جامح لا يستطيع أحداً إيقافه و لا يقدر لحاقه إنس و لا جان ، حملته تلك
البهية الرققة إلى السحاب ثم عادت و طرحته بين المحار ، أخذت تلك الساكنة
الوديعة ترفعه إلى النجوم و تعود و ترميه بين الرمال ، فتارة توصله القمر و تارة تذقه
ملح البحر ، و ظلا على هذا الحال ظلت به و بكل ما به و بكل ما تمنى تدور و
تدور ، حتى جاءه الفجر فحان موعد الرحيل —

صمت لحظات و هو يمعن النظر بي ، ثم عاودت البسمة ملاً جبينه

: ألقت به موجته الساحرة إلى الشاطئ ، رمت به و عادت من جديد ترتحل !! وحين
أفاق وجدها رحلت ، لكن تلك المرة لم ترتحل وحدها ، بل أخذت كل ما به أخذت منه

عقله ، سلبته روحه حتى الفؤاد ، فتركته دون شيء ، أخذ يفتش عن ذاته و عنها لكن دون جدوى لم يجد شيء!

فظل ينتظر الليل حتى يأتيه بها ، وجاءه الليل لكن جاء خالي الوفاض جاء دونها ، جاء ليله فارغ الأيادي !! فلم تأتيه هي و لم يأتيه ما رحل منه معها ! و ظل هكذا أيام و أيام ، يقبع النهار بانتظار الليل ، و حين يأتي الليل يهبط الماء يفتش عنها ، يفتش عن ما ضاع منه برحائها ، عن غربة ألقته فيها !! و ظل يرتحل بين الليالي يفتش عنها يفتش عن عقلاً و قلباً أصبحوا هم و هو بلا وطن ! فسكنوا لأجلها الليل وطن !!

شيء ما بداخلي أنبئني أنه يحادثني ، أن كل حرف خرج منه هو لي ، و عاود النظر نحوي و كأنه يخترقني حتى الأعماق ، و يرتشف قهوته و ببسمته ...

: خبرتك هو وطن الغربة ؛ وطن قلوب و عقول طريفة ضالة دون وطن !!

شردت كثيراً بما رواه جدي ، و بحكايته فأعلم أنه يعني بها شيئاً ، فماذا أراد بتلك الحكاية ماذا يحاول إخباري؟؟ و استطردي لي

: للأسف كلنا نعتقد أننا سباحون ماهرون ، لن تقوى علينا موجة عابرة ببحرٍ هو بيتنا هو لنا وطن ، يجب أن تعرف بأن ليس كل هدوء و سكينه هي حقيقة ما نراه ، فنحن لا نرى من الأشياء إلا خارجها ما تريدنا هي أن نراها و يبقى داخلها عالم آخر ، و الذي يعتقد بأنه يستطيع الوصول إلى أي شيء يريد أو يمتلك ما يبغى ، هو بالحقيقة لم يتعلم من الدنيا شيء بعد! هناك أشياء لا نستطيع امتلاكها مهما كانت رغبتنا بها ! فلا نعلم أننا نغرق الا حين تمتلئ حناجرنا بالماء ، حين تشق أرواحنا صدورنا خروجاً ، حينها نعلم أننا أخطأنا التقدير و أننا نستهن كثيراً بتقدير الأشياء من حولنا ، لكن حين لا ينفع الندم !!!

فزاد غرقي ببحره و ماذا يقصد فهل يعلم شيء عما يدور بداخلي هل يعلم أنني أهواك
! هل يعلم أنك هي موجتي التي سلبتني كل شيء ! و تركتني غريباً بلا وطن !
تركتني طريداً لا أرض لي و لا سكن !!!

يا الهي . و من يعلم ماذا يُبطن جدي ، فلا أحد يمكنه التنبؤ أو معرفة ما يريد ،
الا أنه دائماً يبغى شيئاً فلا يقول كلمة إلا و يريد من ورائها شيئاً ، لكن ماذا يهم الآن
بما يعنيه فقد غرقت قواربي ببحر هواك و غرقت أنا بموجة عشقك و قضي الأمر !!
غادرتا أمي و عمتي الطاولة لترفعا عنها بقايا الطعام ، فوجدتني دون وعي أسأله
....

: هل هناك شيء محدد تريد قوله لي يا جدي !!!!

: كلا ليس من شيء محدد ، هي فقط حكاية ذكرتني بها أنت و ليالك الطويل الذي
يبدو أنه بدأ لتوه و سيزداد غربة !!!

هزرت رأسي و مع كل حرف يردده لي كانت تعتريني الدهشة منه أكثر

: إلى ماذا ترمي تحديداً ؟ فحقاً استسلمت و غرقت أنا ببجورك !

فعلت ضحكته كثيراً

: أنت تستسلم ... تلك هي كذبة ابريل حتى و إن لم يحن بعد! أم عن كونك غارق ..
فتلك حقيقة ، لكن لست أنا موجة ليلك !!

زادت حيرتي أكثر منه ، فاسترسل لي و هو يحرك يديه على غير هدى

: لا تهتم لهذا الرجل العجوز ، يبدو أنني أكثر من فول أمك بالإفطار ، و يبدو أنه
جعل جدك الهرم يهذي فلا تشغل بالك !

هذا هو جدي ، بعد أن رمى ما بجعبته يغير مجرى الحديث ، و يتركك تغرق ببحر لا ترى له شط من الظنون و التخمينات ، فجاريته و هل بيدي شيء آخر ؟

: ألم يمنعك الطبيب عن هذا الطعام ! لما لا تستمع إلى ما يقوله و تكف عنه ؟

: و هل تستمع أنت ؟

فتعجبت كثيراً

: هو لم يمنعي عن شيء !

: و إن منعك فهل ستكف ؟

: إن كان سيضر صحتي ، بالتأكيد سأمتنع عنه !

فأخذ يربت على كتفي

: لا تكن موقناً .. فلا يمتنع أحداً عن شيء يريده ، عن شيء يرغبه حتى إن كان به

هلاكه ، ألم تسمع من قبل بمقولة أن الممنوع هو أكثر المرغوب ، فتلك طبيعتنا خلقنا

الله هكذا نفتش وراء الممنوع و المحظور و حتى المحرم ، حتى أن أول خطايانا هي

العصيان ! و إلا ما أكل آدم التفاحة التي منعها عنه ربه و أخرجته من الجنة ، هذا

هو الإنسان يحلم بما يمنع ، يشتهي المحظور ، فلا يريد سوى الممنوع ، فلا يتوقف

بني آدم عن رفع راية العصيان !

ثم صمت لحظة و نظر بعيني ، و هو يضغط كتفي بقوة

: فكلاً منا لديه تفاحته المحرمة ، التي لا يكف عنها أبداً حتى و إن أخرجته من جنته

، و مهما قيل له فلن يكف و هل بعد نصح ربك نصح !! لكن ماذا نقول تلك هي

الحياة ، و هؤلاء هم أبناء آدم !!!

حينها دفعت كرسي للخلف ، و هممت للوقوف ، فقد بدأت أفقد صوابي من الغاز
جدي و ملت إليه مشاكسا إياه

: أعتقد أنه يجب أن تتوقف عن أكل طعامي أمي !!

فرماني هو وسط اليم

: حين تتوقف أنت .. سأتوقف أنا !!!!!!!!!!!!!!!

الآن فقدت صوابي ، و ملأتني الدهشة منه حتى العنان ، فإن كان يعلم بعشقي لك ،
لما لا يقولها و ينتهي الأمر ، لم أعد أفهم شيء، لذلك قررت الخروج من بحر الغازه
....

: أعتقد أنني سأغادر الآن ، فقد تأخرت كثيراً .

سحب كرسيه للخلف و وقف و هو يمسك بيدي

: انتظر قليلاً .. أريدك بموضوع يخص العمل .

حينها حدثني لسان حالي (حمدا لله سنتحدث بشيء أستطيع مجاراته به)

: خير إن شاء الله يا جدي !

هز رأسه لي و هو يشابك يده بذراعي و بدأ يتقدم خطوة

: هو خير بإذن الله .. لما لا تأخذ بيد جدك الهرم لأتكى إليك ، و نتجول بالحديقة و
نحن نتحدث ، فكم أرغب بالتجول وسط تلك الزهور الجميلة .

ابتسمت له و أنا أمسك بذراعه ، بدأنا التجول و بعد لحظات من الصمت سألني

: كيف هي أحوال العمل ؟

: الحمد لله بخير كل شيء يسير حسب ترتيباتك .

: و كيف هي أحوال أعمامك بالعمل معك ؟

صمت لحظات و أنا أعلم مما هو يخشى ، و على الرغم من أن الأحوال بيننا لم تكن جيدة ، الا أنني أحبته بما يريد أن يسمع

: ليس من جديد ، أعتقد أن كلاً منا يحاول الالتزام بمكانه قدر الإمكان .

نظر نحوي و لم يعلق بشيء ، و كأن كلانا لا يرغب بالحديث عن هذا

: ألا زلت تتوي تنفيذ مشروع أمجد ابن عمك الذي يخص السيارات هذا ؟

أجبت بهدوء و أنا أعلم أنه لا يريد هذا المشروع ، فهو عادة لا يريد المجازفة بالجديد ، فشعاره لا تنزل بحراً ليس لك به قارب أو شراع

: تكلمنا بهذا سابقاً يا جدي ، و قد أبلغته موافقتك ، ثم لما لا نترك له مجال التجربة هو يريد هذا المشروع ، فلندعمه و نرى ماذا سيحدث ، غير أن الدراسة المبدئية تؤكد أنه مشروع مريح و سريع العائد و لن يكلفنا الكثير ، غير أنه سيفتح لنا مجالات جديدة .

فهز رأسه لي ، أعلم أنه ليس مقتنع ، لكنه بالنهاية سيقبل

: حسناً كما تريد أنا أثق بحكمك ، و لا ضرر من التوسع الأهم أن يكون مدروس .

: لا تقلق أعتقد أن كل شيء سيكون بخير ، و بالنهاية إن لم تكن الدراسة مرضية لك فلن ننفذ المشروع ، أهذا يكفيك ليطمئن قلبك !

: جيد سنرى ، و ماذا بشأن التوسعات الجديدة للمصنع ؟

هنا تتغير نظرة جدي لكل شيء ، فرغم كثرة مشاريعه و اختلافها بين التجارة و الاستيراد و التصدير ، و مصنعين آخرين إلا أن مصنع الأخشاب هذا يبقى له مكانه

الخاص عنده ، فكان لوالده من قبله ، و لذلك هو يحرص دائماً على الاهتمام به ، و الآن يريد التوسع به

: حسناً .. كل شيء كما طلبت ، سنبدأ ببناء ثلاث عنابر جديدة و تجهيزها .

فتوقف فجأة

: ألم نتفق على خمس عنابر !

: نعم أنت طلبت خمس لكن بالوقت الحالي سنبدأ بثلاث ، ثم يأتي الباقي كمرحلة ثانية لتوسعات ، هذا حتى لا نتعثر نحن ندخل بأكثر من مشروع و توسعات خمس عنابر ستكون مكلفة في الوقت الحالي .

: جيد.. لكن احرص أن لا يقف العمل بتلك التوسعات ، أنت تعلم أن المصنع هو الأهم عندي .

فأومأت له برأسي ، فأنا أعرف جيداً كم هو مهم بالنسبة إليه فهو ارث والده

: أعلم يا جدي .. و إن شاء الله لن يتوقف شيء ، سيسري كل شيء حسب رغبتك .

: هل اتفقت مع المكتب الهندسي الذي سينفذ تلك التوسعات ؟

: لدينا أكثر من عرض لمكاتب هندسية كبيرة ، و عملت على توسعات مشابهة سنختار منها الأفضل .

: إذن فلم تختار بعد ؟

بدأت تتسلل إلى نفسي الدهشة

: كلا ليس بعد لازلنا ندرس العروض المقدمة هي كثيرة ، لكن يهمننا بالأساس التكلفة ومواعيد التسليم .

وقف فجأة ، و مد يده يداعب إحدى زهرات الحديقة

: هناك عرض يهمني أن تضعه على طاولتك .

: أي عرض هذا !

: كريم النجار .

هنا تجمد الدم بعروقي ، و اقتلعتني دهشة أوقفت الحروف بلمي

: كريم !!!!!!!!!!!!!!!

طرق بعصاه الأرض مرتين و هو يقول

: هو يريد أن يعيد فتح مكتب والده الهندسي هنا بالقاهرة ، يقول أنه يريد الاستقرار و العودة للعمل ، و بالفعل بدأ بالتجهيزات و تعاقد مع مجموعة من المستشارين و المهندسين ، و قد ألمح لي بأنه يريد تلك الصفقة حتى ترفع من أسهمه ، يريد أن يضع قدمه بالسوق و هو يحتاج إلى دفعة قوية .

وضعت يدي على ذقني و بنظرة يعلمها جدي

: لكن يا جدي —

و قبل أن أنفوه بشيء ، تنهد جدي و كأنه يعرف ماذا سأقول

: أعلم كل ما تريد قوله عن كونه لا يتحمل مسؤولية شيء ، و عن كونه مستهتراً أعلم كل ما يدور بعقلك .

رفعت له حاجبي و بابتسامة ساخرة

: غير أنه لا علاقة له بالهندسة من الأساس !

: أعلم ، لكن لما لا تضع عرضه بالاعتبار ، هو سيقدم إليك دراسة جدوى ، غير أنه لن ينفذ المشروع هو فقط سيكون المدير للمكتب .

: تقصد مدير لشيء لا يفقه عنه شيء ، ألا ترى أنه يضع قاربه ببحر لا يعلم له شط!!

ابتسم جدي بسخرية و هو يضرب بعصاه الأرض

: و ما الجديد بذلك ، تلك هي قصة حياته الحمقاء ، و لم يعد يهم الآن ، أريدك فقط أن ترى تلك الدراسة ثم تقرر ، و لا تنسى أن والده هو من أشرف على ترميم المصنع سابقاً و كان بمثابة ابن لي ، و رغم أنني لست راضي عن تصرفات كريم ، و لا عن أي من حماقاته ، و لا أفعل هذا لأجله ، بل لأجل والده ، فقط ضع عرضه على الطاولة . هذا كل ما أطلب .

و رمق شرفتك بنظرة لا أعلم إلى أي مدى ارتجف لها نبضي

: غير أن هذا سيبقيه هنا ، فإن فشل هنا كما فشل بالخارج سيعود إلى إنجلترا مرة أخرى ، لكن تلك الصفقة ستبقيه هنا .

ثم صمت لحظات و نظر إليّ

: هذا ما تريده والدته ، فهي تعتقد أننا يمكننا السيطرة على حماقاته هنا ، غير أن إبقائه هنا سيسعد الجميع ألا تعتقد ذلك !!

مع كل حرف من جدي أشعر بالتيه و الغرق ، لكنني حاولت تخطي دهشتي من جملته الأخيرة ، و إضافتها إلى جبال الدهشة من كل ما قاله هذا اليوم ، و شاكسته

: لكن منذ متى و أنت تدخل العلاقات و العواطف بالعمل ، هذا شيء لم أعهده فيك من قبل ! أنت تفصل بين العلاقات و العمل فما الجديد ؟

فرفع عصاه و ضرب بها قدمي بمشاكسة منه فابتسمت

: هي ليست هكذا ، فقط ما المانع أن نعطيه تلك التوسعات ، نحن نستفيد و هو يستفيد ، و تسعد أمه ، و بالنهاية كل شيء سيكون من تحت يدك و لا تخبرني أنك لا تريدها ، أو حتى تحلم بها !!!

زادت بسمتي و رمقته بنظرة مشاكسة ابتسم لها كثيراً ، فأعلم ما يرمي إليه جدي ، بعد كل تلك السنوات كريم يعمل تحت يدي “ اليوم هو يوم سعدي ”....

: دعني أرى ماذا يمكنني أن أفعل بهذا الشأن ؟

: جيد أعلم أنك لن تخذلني ، فأنت لم تخذلني سابقاً ، و أثق أنك لن تخذلني لاحقاً .

: إن شاء الله ... أتمنى أن لا أخذلك يوماً .

: بإذن الله فقط احرص على أن كل شيء يظل بيدك و تظل كل الخيوط بين أصابعك تفهمني بالطبع .

: بالتأكيد يا جدي لا تقلق كل شيء سيكون كما تبغي .

: هذا جيد .

: لقد تأخرت كثيراً على العمل سأذهب الآن . السلام عليكم

فرد إلي السلام و قد بدأت تخطيه للمغادرة

: و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته ، بالتوفيق إن شاء الله .

غادرت الفيلا و أنا حقاً لا أعلم يقيناً ما الذي حدث ، ابتداءً من حكاية جدي التي أغرقتني و أكاد أقسم أنها لي و عنك ، فهل يعلم بما في قلبي لك ؟ يكاد الظن يفتك بعقلي ، هل رأنا تلك الليلة بالحديقة ؟ فهو الآخر غرفته تطل على تلك الناحية منها ، أم أنه فقط يتحدث عامة لا يختصك و أنا بالحديث ، كما قال مجرد ذكرى عن ليل و

حكاية ، حقاً تعبت من كثرة التخمين و أرهق عقلي بألغازه ، أو لا يكفيني إرهافي بك
و منك !!!!!

حتى أنني أصبحت أدعو الله أنه يعلم ما بقلبي لك ، فقد تعبت كثيراً من أن أخبئك
داخلي ، أنه لشعور مؤرق أن تحتفظ بسرّاً لا تقوى كتمانته و لا تجرؤ جهره فيا ليته
يعلم !!!!

و تلك الصفقة التي يريد إعطائها لكريم فهي قصة أخرى ... انطلقت بالسيارة خارجاً
، كاد عقلي يغادرني من كل ما حدث ، خاصة بمسألة الصفقة تلك ، و رغم أنني
أعلم أنه لن ينجح تلك المرة أيضاً ، فهو لم ينجح سابقاً بأي مشروع أو عمل حاول
تففيذه فلما سينجح تلك المرة !! كريم من الأشخاص القلائل الذين يتفنونون بالفشل و
فشله دائماً حتمي ، لأنه يختار أشياء ليس له بها خبرة ، و لا يملك عنها أي خلفيه
أو دراسة ، حتى أنه لم ينهي دراسته بأي من الكليات التي التحق بها سواء بالتجارة أو
نظم المعلومات أو حتى الاقتصاد ، درس بكلا منها بضعة أعوام و تركها جميعاً
بالنهاية ، و حجته الدائمة أنه لم يجد ذاته بأي منها ، فما الجديد لا أعلم لماذا يريد
جدي أن يعطي له تلك التوسعات ؟ جدي يعتقد أنني سأقبل فقط لأجل تاريخنا معاً ،
لأجل أن أتحكم به و يكون هو تحت يدي !! لكن ما لم يعلمه جدي أنني ما كنت
سأقبل بالعمل معه و لا حتى لهذا السبب !!!

فبالعمل لا تترك مشاعر الانتقام أو الغيرة أو الصداقة تحركك ، لأنها إن تحكمت بك
ستفشل دون مبرر . لكن في وضع كهذا سأقبل فبرغم ما أوقنه بفشله ، الا أنني لن
أجازف بفكرة رحيله ، و رحيله يعني رحيلك أنت ، فإن كان إبقاءك قريبة مني
سيتطلب تلك الصفقة ، فسأدفع بها ثمناً لأجلك ، فلن أحتمل أن ترحلي بعيداً عني ،
فقد جنّ عقلي من يومين سافرتي فيهما !! فماذا إن غادرتِ إلى أمد غير معلوم !!
سأفعل أي شيء لإبقائك قريبة مني .

توالت الأيام ثقيلة كما هي عادتها بغيابك حبيبتي ، حتى جاء يوم الاحتفال بيوم ميلاد جدي ، و كعادة العائلة كل عام لابد من أن يقام احتفال كبير بقصر جدي ، يجمع فيه العائلة و المقربين و الأصدقاء و بعض شركاء العمل الهامين بالطبع . كنت قلقاً كثيراً من عدم حضورك ، فلزلت بمنزل خالتك لأكثر من شهر الآن ، سبع و ثلاثين يوماً الآن و أنتِ تحرميني رؤيتك ، حتى اعتقدت أنهم دهران أو ثلاث ! لا أعلم هم فقط كتقل الجبال لكن يبدو أن قدري رق لحالي و قرر بأن يكافئ اشتياقي الذي أدماه غيابك بعد طول انتظار ، بأن يحضرك إلي !

حين عدت للبيت ليلة الاحتفال ، علمت أنك رجعت في الصباح من أجل الحفل ، كنت أوقن أن كريم لن يفوت تلك الفرصة ليتحدث مع جدي عن تلك الصفقة و يقنعه بأن تكون له .

و لو تعلمي كم كنت أطوق شوقاً لرؤيتك ، حتى أن قلبي كان ينتفض حين أخبرتني جناً كم هي سعيدة بعودتك ، و أنك لعبتِ معها بالحديقة هذا اليوم ، و لأن قلبي لم يطيق الانتظار حتى يبدأ الحفل لرؤيتك ، دخلت إلى المكتب و وقفت أمام النافذة و كل ما بي معلق بشرفتك ، أردت أن أراك قبل الحفل ليس فقط لأن كلي لا يحتمل الانتظار ، و لكن خوفاً من ذاتي حين أراك بالحفل أخشى أن يخونني شوقي إليك أمام الجميع و هذا ما حدث !!! و بعد بضع دقائق من الانتظار ، و كل ذرة بي تريد الصراخ باسمك أن تتأديك حتى تخرجي إلى الشرفة ، عبرت من أمامها على عجل ، ثم عدت و توقفت لحظات على بابها و كأنك تبحثين عن شيء ما ، لكن ما يهم فقد رأيته !

و يا ليتك حبيبي تعلمي ماذا حدث لي حين رأيتك ، حتى الدم انتفض بعروقي شوقاً إليك ، و جبال الحنين المتجمد بين عروقي ذابت فيضان حتى وصلت شرفتك ، و بحور اشتياقي إليك صارت جسراً يصل به قلبي لعينيك . لكن أو تدري ما كان الغريب حقاً ! أن بكل مرة كنت أراك فيها كنت كمن يغزل ثوباً من نبضاتي وأشواقي إليك ، و رقة عذوبتك كقصيدة مخملية تزداد جمالاً برقة حروفها و انسياب معانيها ، كقصيدة غزل بقمر العاشقين ، عزف لحن من ليل حزين يأسر مسامع المشتاقين ، أصبحت لي طريقاً يملئه الأمل و يستوطن بجانبه نبض الحياة ، الذي يشع من عينك ليشعل روحاً انطفأت بها كل دقائق الحياة ، و رغم كل هذا الأمل الذي يولد بداخلي كلما تراءيت عينيك ، إلا أنني دائماً كنت أرى تلك النظرة الحزينة التي تتوارى بين همساتك الدافئة ، فمذ اللحظة الأولى التي رأيتك بها و أنت تحاولين فيها إظهار السعادة على وجهك ، و هذا الحزن الذي كان يعطيك تلك الهالة و الغموض الذي يتماشى و سحر عينيك الخاطف لنبضاتي كان يوجعني حبيبي ، و الذي مهما حاولت خنقه كانت تفضحك ابتسامتك الحزينة ، و كثيراً ما تساءلت و نفسي لما هذا الحزن الساكن همساتك الملائكية ؟ أهذا الحزن فقط كونك تزوجت رجلاً لا ترغبيه ! أكل هذا الألم الذي يملئك لأنك أرغمت حياة لم تختارها ؟ أم أن هناك سر آخر لا أعلمه ! و لماذا يحادثني قلبي بأن هناك شيء مفقود ، حتى أن كلامي مع ميس عنك دفعني لأوقن أن هناك شيء آخر ، شيء ما تواريه ! فماذا تخبئين حبيبي خلف أسوار غرفتك المظلمة ؟

؟؟؟

بدأ الحفل و كان كل شيء كما هو مرتب له مُعد ، أقيم الحفل بالحديقة الكبيرة التي تصل بين القصر و فيلات أعمامي ، كم أصرت أمي و عمتي فهن من رتب للحفل ، كان كل شيء يسير بشكل جيد كنت أسيطر على ذاتي أو هكذا اعتقدت ، فقد رأيتك و ارتويت منك قدر الإمكان ، و قد تشاغلتن عن التفكير بك بالترحيب بالضيوف ، فهو لم يكن احتفال بيوم ميلاد كما هو المتعارف عليه ، لكنه كأى حفل عادي حتى أن جدي

يرفض إحضار كعكة عيد الميلاد و الشموع ، و يكتفي بترتيبات حفل عادي ، و قد ذهبت للجلوس مع توفيق و هو أعز صديق لي ، حتى أنني أعتقد أنه صديقي الوحيد الذي أثق به و أجد معه نفسي ، فأرى أنه يشبهني كثيراً بكل شيء ، لدي الكثير من الأصدقاء لكن توفيق الأقرب لي على الإطلاق فأنا أعرفه منذ سنين تعبت من كثرة عدها ، كنا نتحدث حين دخلتي أنتِ إلى الحفل ، و هنا فقدت السيطرة على نفسي تماماً فلم أصمد كثيراً كما اعتقدت !

و كانت تلك مرتي الأولى التي أراك تتألقين فيها بثوب سهرة ، يا الهي ساحرتي خطفت أنظار الجميع دون استثناء حين دلفتِ إلى الحفل ، حتى أن توفيق سألني من تكون تلك الحسنة ؟ أجابه لساني بأنك هي زوجة كريم الثالثة و الجديدة أما قلبي فصرخ تلك من أهيم بها عشقاً و أذوب لها شوقاً .

فقد سحرتي الجميع بجمالك الهادئ البسيط ، فحين رأيتك تخطين إلى الحديقة طار كل ما بي شوقاً إليك ، و علقت عيني و كل ذرة بي بخطواتك ، حتى أنني تأملت كل تفاصيلك كل ذرة بك ، من بادرة ثوبك الذي كان يغطي الأرض من حولك بلونه الأسود ، و هو يلتف بغصنك ، تلك الفراشة الرقيقة بلونها الذهبي التي طرزت لتلتف بجناحيها حول خصرك ، و وشاحه الذهبي المتدلي على أكتافك ليوارى ما ظهر منها ، إلى عقدك المتألي حول عنقك بفراشته الصغيرة النائمة على صدرك ، و قرطاك المتدليين من أذناك ليداعبا أكتافك كلما تحركت ، إلى وجهك الملائكي ، الذي يكاد يكون خالياً من مساحيق التجميل ، إلا البسيط الهادئ من كحل شرقي أسود ارتسمت بها عيناك فزادت سحراً ، و القليل من أحمر شفاه بلونه البني الهادئ لثغرك الفتان ، إلى كل خصلة من خصلات شعرك الملتف كزهرة بريه نائمة تحت أضواء القمر، فكل ما بكِ تلك الليلة زادك جمالاً فوق جمالك ، لم أعلم يوماً أن سحر المرأة و تألقها يكمن ببساطتها و ثقتها باختيارها فغلب حسنك بهاء القمر ، فقد غزلت بكل ما فيك أبجدية جديدة للجمال و الأنوثة معشوقتي ، حتى أن الحسن من حسنك حبيبتي توارى خجلاً !

تقدمت إليك و رحبت بكِ و كريم كما رحبت بالجميع ، ثم تحدثت مع كريم قليلاً و ذكرته بتوفيق فلما يكونا تقابل منذ سنين ، و قدمته إليك أيضاً ، بعدها تركت المكان بحجة أنك ستذهبين إلى جدي لتقدميه إليه التهنئة بعيدة ، حاولت كثيراً أن أواريك عن عيني تلك الليلة ، الا أنني لم أفصح فقد تبعتك عيني عدة مرات ، و بكل مرة كنت تحاولين أن تتجاهلي وجودي ، و أنا الآخر كنت أحاول أن أتجاهلك ، لكنني كنت أتخذ مواقع بعيدة عنك ، حتى يتسنى لي النظر إليك دون أن يلحظ أحد ، لكنني اكتشف لاحقاً أنني لست وحدي من كان يسرق النظر ! أنت أيضاً كنت تسرقين بعض النظرات حين لا أكون أنظر ! كيف عرفت ! أخبرني شخصاً ما !!

ظلت على هذا الحال بعض الوقت ، أحاول الانشغال حتى أنفض عقلي عنك ، لكن دون أمل فلم أرى ليلتها سواك ، و كلما حاولت الاقتراب منك ابتعدت عني ، أو جاء أحداً فلا يتسنى لي الحديث معك .

لو تعلمي كم كان هذا يؤرقني ، حتى أنه بدأ يغير من مزاجي كثيراً ، فقدت الفرحة التي غمرتني لعودتك لرؤيتك ، الا أنني و كجميع بني آدم أطمح للمزيد فيطمح قلبي لكل ما بك ، ليس فقط رؤيتك من بعيد إلى أن رأيت كريم يجلس إلى جوار جدي يحاول الفوز بالصفقة ، فلم يعلم أنني سأعطيها له سلفاً !

لكن ما يهم الآن أنه ليس بجوارك ، و لا يضع عيونه حولك ، لذلك قفزت إلى ذهني فكرة قد تكون مجنونة ، إلا أنها ستمكنني من الاقتراب منك و هذا كل ما أبغي الآن ، أعلم أنها مخاطرة بأن يرانا أحد ، إلا أنني لم أعد أحتمل منع نفسي فتواجدك بالمكان بعد كل هذا الغياب ، و لا أحادثك هو ما لا يحتمل و سيقودني للجنون ، اعتقدت أنني إن رأيتك قبل الحفل هذا سيخمد نار أشواقي إلا أن كل ما بك يـُشعل براكينني فيكفيني حضرة وجودك كي أفقد صوابي .

انتظرت حتى جاءت إليك لي لي ، و حينها ذهبت إليها مدعياً أنني أتساءل عن إذا ما كان أحداً بالقصر خوفاً من أن تصحو جناً فتفرع وحدها ، و حين كنت أتحدث إليها و

أنتِ تحاولين أن توارى عينيكَ عني شاكستها و دفعت يدها التي تمسك بها كأس من العصير نحوك ، فتطايرت منه كثير من القطرات نحو ثوبك ، و ابتلت أطراف وشاحك كثيراً .

أخذت لي لي بالاعتذار و أنها لم تقصد ، حاولتِ تخطي الأمر و أخبرتها بأنك ستذهبين للفيللا لتنظيف ثوبك و تبديل الوشاح بواحد آخر يتناسب معه ، و اقترحت هي عليك أن تذهبي من ممر القصر الجانبي ، فلن يتواجد أحداً به ، حتى لا تعبري من وسط الحديقة و القصر ، أمام هذا الجمع من المدعوين و أنتِ مبتلة و تعودي منه قبل أن يلحظ أحد غيابك و بالفعل غادرت .

حقاً لم أخطئ لذلك ، فقد خططت أنك ستدخلين إلى القصر لتنظفي ثوبك و ليس به إلا القليل من الخدم و أستطيع أن أقرب منك لدقيقة أو دقيقتين ، أما فكرة الممر تلك فلم تخطر ببالي ، و كانت بالنسبة لي استثنائية ، اعتقدت أن لي لي تستحق مكافئة لهذا ، حتى اعتقدت أن قدرتي بدأ هو الآخر يغير نظرتي تجاهي !

بعد دقائق من مغادرتك اتصلت من الحفل ، تواريت بعيداً عن الأنظار و دخلت إلى الممر ، طلبت إلى طلعت أن يكون بالقرب من مدخله تحسباً لأن يدخل أحداً إليه إلا أن هذا مستبعد ، لكن لا مانع من اتخاذ بعض الاحتياطات .

انتظرتك بأول الممر من الداخل بالقرب من بعض الشجيرات المتقاربة ، لم يكن الممر مضاء بالقدر الكافي ، فلا يمر منه أحداً ، و بعد اثنا عشر دقيقة من انتظاري لكِ عدت ، تقدمت بضع خطوات إلى داخل الممر ثم توقفت ، التفت خلفك يبدو أنك شعرت وجود أحداً بالممر ، نظرت خلفك باهتمام تأملت الممر لحظات ، كان يبدو توترك واضحاً و حين لم تري شيئاً عدت و نظرت أمامك كأنه اطمئن قلبك أن لا أحداً هناك ، تحركت خطوتين و قبل أن تخطو قدمك الثالثة توقفت فجأة ، التفت خلفك ثانية و أيضاً لم تري شيء ، لكن تلك المرة ارتسمت بوجهك نظرة مرتعبة ، فعدت و نظرت

أمامك ، و قبل أن تحركي ساكناً تلك المرة كنت أصبحت خلفك مباشرة ، فالتفت فجأة خلفك ، و قبل أن تمعني النظر بمن خلفك صرختِ بخوف شديد

وضعت يدي على فمك قبل أن يعلو صوت صرختك بالمكان دفعتك إلى الحائط خلفك و لازالت يدي على فمك ، أحاول تهدئك ، كنتِ كمن رأى شبحاً ، و بدا خوفك جلياً

: اهدئي ايما لا تخافي هذا أنا .

نظرت نحوي ، كانت عيناك مرتعبة ، و كل ما بك ينتفض ، و لازالت يدي على فمك

: هذا أنا ياسين اهدئي ، سأرفع يدي اتفقنا و لن تصرخي !

فأومأت برأسك إيجاباً ، و أنتِ تحاولين تمالكِ نفسك و حين رفعت يدي أخذتني نفساً عميقاً ، ثم رحّتِ تضربييني ببديك بقوة ، و عينيكِ تمتلئ غيظاً و تصرخين بوجهي

: أيها الأحمق كدت أن توقف قلبي ، كدت أن تصيبيني بسكة قلبية !

وضعت يدي على فمك مرة أخرى

: أسف حبيبتي ، حقاً أسف لم أقصد إخافتك ، اهدئي و لتخفصي صوتك قد يسمعنا أحد!!

حينها انتبهت أين نحن ، و إن سمعنا أحداً أو رأنا معاً بهذا الوقت و هذا المكان لن يكون هذا جيداً على الإطلاق ، فدفعتي يدي و نظراتكِ تمتلئ مني غضباً

: ماذا تفعل يا ياسين ؟

حينها صمت لم أنطق بكلمة ، فكم كنت أشتهي النظر بعينيك ، و أنتِ قريبة مني
وأنتِ بين يدي ، كم كنت أشتهي أنفاسك داخلي فعاودت سؤالي

: أجننت ! ما الذي فعله إن رأنا أحداً الآن إن رأنا كريم فنحـ

: اشتقت إليك .. بالقدر الذي لا أستطيع وصفه أو حتى احتماله !!

صمتي و غرقت عيناك ببحور عيناى ، و أصبح كل ما بك ينتفض بين يدي ،
انتفاضة شوقاً انتفاضة عشقاً و اشتياق و وجدنتي أهمس لك ثانية

: فقط لو تعلمين كم اشتقت إليك إلى همساتك إلى أنفاسك إلى كل ذرة بك !

: ياسين توقف .

: كيف استطعت الابتعاد عني كل هذا الوقت ؟

: ياسين أرجوك اتفقنا أن لا نتمادى بهذا الجنون اتفقنا أن نبتعد ، اتفقنا —

بادرتك مسرعاً و أنا أمسك بيدك

: ماذا ؟ توقفي ايما ، لم نتفق على شيء !

: ماذا ؟ ياسين أنت وعدتني !

فابتسمت لك و رفعت إصبعي بقطعية نحوك

: كلا لم يحدث .. أنا لم أعد بأنني سأبتعد عنك !

: قلت لي —

: قلت أنني أحاول ايما ، قلت أحاول ابتعادك و لا أستطيع ، هذا ما قلته بمنزل ميس

أنني أحاول و أحاول ، أنا أعلم جيداً كل حرف يخرج من فمي .

حاولتِ سحب يدك من يدي ، و أنتِ تتظرين إلى يدك و أنا أمسك بها ، لكنني لم اتركها ...

: أرجوك لا تفعل هذا بي !

: أرجوكِ أنتِ حبيبتي توقفي عن العبث بكل ما فيا .

و بابتسامة ساخرة

: أنا هي من يعبث بك ! فماذا تفعل أنتِ بي إذن ؟

: أنا أحبك ايما أعشقتك أعشق كل ما بكِ —

و قبل أن أكمل ، وضعتِ أناملك على فمي ، حينها ضاع كل ما بي

: توقف ياسين أرجوكِ أنا لم أعد أستطيع التحمل أكثر !

فأمسكت بيديك ، و قبلتِ أناملك ، همست لكِ

: فقط توقفي عن الهروب حبيبتي توقفي عن محاربة كل ما بكِ و من أجل ماذا تفعلي

هذا بي و بكِ ؟

بدأتِ تتلأأ عيناك بالدموع ، و اختنق صوتك كثيراً

: من أجل أن أظل كما أنا ، فلا أستطيع فعل ذلك يا ياسين لا أستطيع !

فوضعت يدك على قلبي ، و عيناك مسافرتين بكل ما فيكِ

: أنا لم أطلب منك شيء حبيبتي ، كل ما أريده و أرغب به هو قلبك ! توقفي عن

البكاء فلو تعلمي أن تلك الدموع تحرق قلبي و تشعل بركان بصدري !

: ماذا تريد مني أن أفعل فلا حيلة لي سواها ، أصبحت كل ما أملك !

: قاتلة أنتِ حبيبتي ترين دموعك ضعفاً و قلة حيلة منك ، و أراها قوة تزلزل كل ما
بي تشعل براكين غضبي لأثور و أحطم كونا لأجلك
فزادت دموعك وارتحلت أصابعي تمسحها عنك

: أحبك ايما أحبك

تلك اللحظة أخذت أقبل وجهك حرفاً حرفاً ، ليرتشف القلب من شهد طارده ليالي
بالطرقات ، فغرق ثغري بين شواطئ ثغرك ، فثمل قلبي من الشوق إليك ، تلك اللمحة
بأنفاسك و أوصالك تنتفض بين ضلوعي ، و رعشة يديك و هي بالكاد تحاول إيقافني
تحاول منعي ، فشهد اللقاء بعد مرارة الغياب كأس يسكر النبض و الأنفاس ، فتهاوت
منك أشواقك و كأنك من العشق أكثر الشوق فثملت حتى غرقت ! فانهارت على
أعتاب ليالي الغياب آخر دفاعاتك .

و لم أفق من سكرتي بك إلا على اهتزاز هاتفني بجيبي ، فقد اتصل بي طلعت
ليخبرني أن جدي يبحث عني . فأفقت من سكرتك بي أبعدت يداي عنك ، و هممت
للمغادرة دون أن تتفوهي كلمة أو حتى تنظري نحوي ، و قبل أن تتقدمي خطوة ، بدا
لي أن هناك صوت أحداً آخر قادم بالمر ، فأمسكت بك من يدك و أوقفتك و قبل
أن تتفوهي حرفاً ، أشرت إليك أن تصمت و حين أطلت برأسي رأيت أحدهم قادم ،
فتوقف كل ما بي عن الحركة ، الآن قضي على كلانا ، فسحبتك من يدك و دفعتك
خلف تلك الشجيرات بهدوء ، و أنا أضع يدي على فمك ، و كان كل ما بك ينتفض
خوفاً من أن يرانا أحداً و لم أكن أفضل منك حالاً ، و همس لي لسان حالي (أين
طلعت أين ذهب هذا الأحمق ؟)

حينها تشبثت بذراعي ، كنت تمسكين بي و كل ما بك ينتفض ضممتك إلى صدري ،
همست بأذنك كل شيء سيكون بخير ، تواريخنا خلف الشجيرات و لأن الممر لم يكن

منيراً بالقدر الكافي ، فإن من دخلوا الممر لم يرونا أو بالمعنى الأدق لم يكونوا
منتبهين ، فكان لديهما ما يشغلهما؟؟

فهما الآخرين كانوا متسللين مثلنا ، كانوا متخفين عن الأنظار ، بالبداية لم أكن أعرف
من دخل إلى الممر ، لكن حين تحدثوا كانت المفاجأة الأكبر لي ...!!!!!!
تحدثت بصوت مرتعش

: أخاف أن يرانا أحد !!!

: ليس مهم أن يرانا أحد المهم أن لا يكون ياسين ! يا الهي إن علم ياسين بما بيننا
سيقتلع رأسي !!

: أنت رجل و تخافه إلى هذا الحد ، فماذا أفعل أنا الفتاة ؟

: حبيبتي أنا لا أخافه لكن الأمر معقد قليلاً ياسين صديقي بالحقيقة هو أقرب صديق
لي إن علم أن شيئاً يدور بيننا دون علمه هذا سيكون سيء ، حقيقةً سيكون سيء جداً
لي لي ، أنت لا تعلمين أخيك مثلي ، هو يعتبرني أخاه لكن هو لن يفهم أنني أحبك
سيعتبرها خيانة له ، و حينها سيقتلع رأسي حرفياً بكل معني لتلك الكلمة ، سترتدين
الأسود قبل الأبيض حبيبتي !

بضحكة هادئة

: توفيق أنا لا أمزح هنا !

نعم تلك كانت صاعقتي فصديقي الأقرب مع أختي ، هل لقدري أن يتلاعب بي أكثر
من ذلك !!!!

فرد لها بصوت جاد

: أتعقدين أنني أمزح حبيبتي !! حمقاء تلك الحقيقة سيقتلني أخيك

: أنا خائفة من أن يوافق جدي على الشخص المتقدم لخطبتي !

فقال بصوت غاضب

: انسي هذا الأمر .. هذا لن يحدث أنتِ لي .

: ماذا سنفعل ؟

: ارفضى فقط ارفضى لن يجبرك ياسين على شيء .

: أعلم .. لكن جدي و أمي أيضاً مرحبة به !

: لا يهم .. إن قال ياسين لا فلا يهم جدك ، أو أمك ، أو حتى إن اجتمعت عائلتك كلها !

: أنا خائفة كثيراً توفيق

: لما لا تدعيني اطلب يدك للزواج الآن !

: ليس الآن توفيق .. سيرفضك جدي حتى قبل أن تكمل ، فلن يقبل جدي بك ، و كل تلك الخلافات بينك و بين أدهم أخيك و الأسوأ أنه سيمنعني عنك .

فاقترب منها و أمسك يدها و ضمها إليه بقوة

: أنتِ لي حبيبتي ، و لن تكوني لغيري أفهمتِ .

ثم مال إليها.. و قبلها وكانت هي الأخرى تبادله القبلة ؛ حينها لا أعلم ما حدث لي فقط كنت أستشيط غضباً ، وكدت أفقد صوابي و أخرج إليهما ، و إن لم تكوني أنتِ هي من معي لفعلتها ، لكنني تمسكت ببعض من عقلي حتى أنك لاحظت غضبي الذي حاولت منعه ، لكنني لم أكن لأحتمل أكثر الا أنك أمسكتِ بذراعي ، فتمالكت نفسي

و لم يتوقف عنها إلا حين تصاعد رنين هاتفه ، و حين أخرج الهاتف من جيبه و رأى اسم المتصل فقد صوابه و ذعر و تخبط كل ما به و غرق بعرقه لماذا؟
لأنني كنت أنا المتصل ! فلم أحتمل أكثر فأخرجت هاتفي و اتصلت به و حين رأى صديقي العزيز اسمي و أختي بين يديه كاد يغشى عليه .
ذهبت هي ثم انتظر هو دقائق و تبعها .

؛؛؛

حينها لم أكن أصدق نفسي و كاد عقلي يغادرني حتى أنني خاطبت نفسي بصوت عالي ...

:أكان حقاً هذا صديق عمري و أختي معاً ؟!!!!!!!!!!!!!!

ثم التفت إليك و ابتسمت بسخرية و أنا انظر إليك

:أهما حقاً ؟ أم أنني أكثر من خمرك الليلة حبيبتني !

:ياسين ماذا حدث ؟ هما يحبان بعضهما فما المشكلة !

فُذرت ضدك كنت أرغب أن انفجر كالبركان بأحد و كنت أنت من أمامي

: هما يخوناني ايما .. هذا ليس حب تلك خيانة لي !

نظرتي نحوي و الدهشة تتراقص بأحداقك

: و من نخون نحن ؟

نظرت إليك و بغضب يملئني

: لا تضعيها بنفس الميزان ايما !

عقدتي حاجبيك و شبكتي ذراعيك

: جيد أخبرني إذن بأي ميزان تريدني أن أضعها ؟

: هما لا يقف بينهما شيء ، لا يمنعهما شيء ، أما نحن فكل شيء ضدنا !

ابتسمتِ بسخرية زادت من غضبي

: كلا منا يرى الأشياء من زاوية مختلفة ، هي مسألة نسبية فالقدر نسبي حتى الخيانة يا ياسين باتت نسبية الآن ، فكلا منا يراها من حيث تقف قدماه !!! فما تراه أنت لا شيء يعيق طريقهما ، هم يرونها قدرا يقف أمامهما و يحول بينهما تمام كما ترى أنت لنا !

حينها ثارت ثورتي ضدك أكثر

: هم خانوني ايما ، أم كريم فلم يكن يوماً صديقي الوحيد ، و لم أكن يوماً أخاه ،

توفيق صديقي الوحيد و هي أختي و كلاهما خائني !!

زاد غضبك و ثورتك أكثر ضدي ، و أنتِ تلوحين بيديك

: هو يحبها و يريد لها يقول أنه سيفعل أي شيء لأجلها ، لما تنكر عليهما ما تفعله

أنت ، لما تحرم عليهما ما تستبيحه لنا ، أو ليس ميزان العشق واحد أم أن ميزانك

غير ميزان الكون ؟ أو ليس بحر الغرام واحد و الجميع به غرقى ؟ أم أن لك الحق

بأن تحبها به و لا يحق لهم سوى الموت فيه ؟ أقله أن ما يقف بينهما أنت فقط ، و

إن أصبحت أوقن أنهما لم يخطئاً بالخوف منك !

حينها انتبهت أنني أفسدت الأمر كله ، حاولت أن أجد شيء أقوله

: ايما ... حبيبتى -

عاودت عقد حاجبيك و ذراعيك و تنتظرين ما سأبرر به ما قولته ، و تلك المرة ملاً

وجهك نظرة غاضبة مني و علا بها كبريائك فوق كل شيء حتى أنا ! و هذا أشعل

ضيق صدري و غضبي ، و كأنك تقولين لي برر ما تريد فلم يعد يهم

: هلا تكفي عن النظر لي بتلك الطريقة ايما !!

: سأكف ياسين سأكف .

ثم التفتي راحلة حتى قبل أن أقول شيء أو أبرر ، و كأنك تعرفين أن ليس لدى ما أقوله ...

: ايما ... ايما ... جيد هل يمكن لتلك الليلة أن تصير أسوء !!!

حاولت ندائك لكنك لم تلتقي حتى و رحلتي غاضبة .

عدت إلى الحفل ، سأل جدي عن سر غيابي فتعللت بأنني كنت أجري تليفوناً هاماً حاولت الهدوء و التعامل مع لي لي و توفيق و كأن شيء لم يكن ، أما أنت فتواريت عني الليل بأكمله ، تلك الليلة حملت بين دقائقها الكثير و الكثير من المفاجآت ، و حملت لي ما لم أكن أتوقعه !

حين انتهى الحفل جلست بحجرة المكتب معلق بشرفتك كعادتي ، أعلم أنك غاضبة و هذا كان يثير جنوني !!

ترفقي بي في الغياب ؛ فكلي يتربص بي لأجلك ؛ نبضي
متحصناً بقلبك ؛ متهللاً مهلاً بغرام عينيك ؛ تشقُّ روحي
بصحاري الشوق نهراً تصل به السبيل إليك ؛ فرفقاً بقلبٍ
اختطفته أنفاسك ؛ و عقلٍ مفقود مني بهواك

عم الهدوء و السكون ليالي كثيرة بعد تلك الليلة الصاخبة ، كل شيء مستقر نسبياً ، عاودت بعقلي كل ما حدث بيننا ، حاولت وضع غضبي من توفيق و لي لي جانباً ، في محاولة لرؤية الأمور كما ترينها أنتِ ، قلبي كان يعلم أنكِ محقة ، فلما أنكر على قلبهما العشق و أنا غارق به ! لكن عقلي كان غاضباً منهما فلم أكن أتوقعها المفاجأة كانت أكبر من احتمالي ، لا أنكر أن نظرتي قد تغيرت باتجاه أشياء كثيرة ، إلا أن قلبي لازال ثابت على عشقك بل و يزيد كل لحظة فيكِ غرام ، و أنتِ أيضاً لازلتِ ثابتة على عنادك ، و لازلتِ غاضبة مني لكنكِ لم تبتعدي تلك المرة على الأقل و هذا جيد ، فلم تحرميني رؤيتكِ ، تتواري كثيراً عني لكن أظل أستطيع رؤيتكِ ، يصعب الاقتراب خاصة مع كل هذا الغضب منك ، لذلك أحاول أن أبحث عن شيء لإرضائك ، أعلم أن غضبك ليس فقط لما حدث بالمرر تلك الليلة العاصفة ، و لكن أيضاً لوضعنا المعقد ، أعلم أنني كنت أحمق تلك الليلة و تفوهت بأشياء أغضبتكِ لكنني كنت غاضب كثيراً منهما حانق على ما فعلوه قد تكوني محقة لكنني لست مخطئ أيضاً !

لكن لا أستحق كل هذا الجفاء ، لا يستحق قلبي الهائم بك أن يجازى بعد كل هذا الغياب و السفر بجفاء عيناكِ ، أبعد الغياب تجازيني بالغياب ؟

؛؛؛

أصبح هذا كثيراً على قلبي احتمالاه ، فلو تعلمي كم قلبي غاضب مني لأنكِ غاضبة ، حتى أنفاسي تؤلمني ، أشعر أنني مؤرق عقلياً و فكرياً فكل ما بي داخل بصراع .

فلدي الكثير من الخلافات مع أعمامي تلك الأيام كالعادة ، خلافات كثيرة تخص العمل و إدارة المصنع و الشركة فهم غاضبون لأن جدي أسند لي إحدى صفقات الشركة الكبرى ، يحاول عمي الأكبر سيد و والد زوجتي المصون افتعال بعض الأزمات التي تخص العمل ، حتى يثبت عدم قدرتي على إدارة أي شيء بمفردي ، غير أن الوقت قد حان لإعلان المكتب الهندسي الذي سيحصل على صفقة توسعات المصنع ، و الذي لم يعلم أحد بعد أنني سوف أسنده إلى كريم و هذا فقط لأجل أن تظلي جواري ، كل شيء لم يكن يسري جيداً بتلك الفترة ، شعرت لأول مرة منذ زمن بعيد بأنني بدأت أفقد زمام الأمور من يدي ، وسط كل تلك الصراعات داخل العمل ، و بالمنزل مع زوجتي من ناحية و العائلة من ناحية ، و الأسوأ بقلبي معكِ أنتِ !

حتى جاء يوم قرر قدري أن يُشعل اللعبة التي هدأت وتيرتها ، و يغازل أحلامي ثانية ، و يعاود التلاعب بي لكن تلك المرة كانت بقوة أكبر !!!!!

كان لدي اجتماع هام بمجلس الإدارة ، كنت منهمك كثيراً أحاول شغل تفكيري عنكِ ، طلبت إلى طلعت ألا يزعجني أحد فلا أحب أن يقاطعني أحداً أثناء وجودي بأي اجتماع ؛ بعد مرور بعض الوقت دخل طلعت إلى غرفة الاجتماعات فصحت بوجهه بغضب

: ألم أخبرك ألا يقاطعني أحداً

: أعتذر ياسين بك لكنه شيء هام لا يحتمل التأجيل

أخبرني بأن هناك ضيف هام يريد مقابلي ، خبرته أن أي من كان فلينتظر حتى ينتهي الاجتماع ، لكنه عاد و همس لي عن من يرغب بمقابلي .

ملأنتي الدهشة حين ردد على مسامعي اسم الضيف ، وقفت مسرعاً ، و طلبت إليهم تأجيل الاجتماع ، خرجت من الغرفة مسرعاً ذهبت إلى مكنتي ، حين فتحت الباب

.....

وجدتك أنتِ ، أنتِ حبيبتي هي من يرغب بمقابلتي ، حين رأيتك أمامي لم أكن لأصدق عيني ، أنتِ هنا أمامي و أنا الذي يشتهي طيفك ، لو تعلمي أن كل ركن من أركانِي اهتز بي حين رددت اسمك على مسامعي ، التي كادت لا تصدق أنك هنا حقاً ، فكيف لي أن أفكر و أنا هو المشتاق لنظرة عابرة منك ! أنا هو المتيم بتفاصيل غيابك قبل حضورك ! أنتِ حقاً هنا حاضرة أمام نبضي و عيني ! أنتِ هنا واقعاً أمام أنفاسي و روعي و لستِ حلماً يراودني أو وهم يشتهي قلبي !!!!

دخلت إلى المكتب و أشرت إلى طلعت أن يقف بالباب حتى لا يدخل أحداً ، و وقفت بضع دقائق ثابت بمكاني ، لا أتحرك و لا أتزحج ، أملاً عيني بكِ و منك ، أكاد لا أصدق ما أراه حتى أنك اندهشت كثيراً من ردة فعل

: ماذا بكِ ؟ لما تقف هكذا ؟ أعتذر عن حضوري دون موعد ، أنا كنت أنتظر حتى تنتهي لكن طلعت هو من أصر على دخولي إلى مكتبك -

: اشتقت إليك كثيراً عشق قلبي !

خجلت عيناكِ و امتلأت وجنتيكِ حمرة أشعلت قلبي أكثر و أكثر

: أعتذر فلم أشأ أن أقاطع عملك ، فقد أتيت دون موعد سابق و أعتذر بشدة عن هذا لك

: تأتيني متى شئت .. و متى تأتي تدخلني إلى مكنتي دون استئذان .

: هذا لطفاً كبيراً منك ياسين بكِ !

حينها وقفت مكاني فحقاً فاجأتني منك ، فرددتها لكِ بدهشة

: بكِ !!!! ماذا يعني هذا ؟

و قبل أن تقولي شيئاً ، عدت و تقدمت إليك خطوات و أنا أشير بيدي

: أعلم أنك لازلت غاضبة مني ، و أعلم كم كنت أحمق ، لكن ألا يكفيك عقاباً لي إلى هذا الحد ! أقسم أنني لم أعني ما قلته

: لست غاضبة منك ، أنت قلت ما تريده و ما تشعر به و انتهى الأمر ، ما من عقاب و أكبر دليل على هذا أنني هنا و أريد أن أطلب منك معروفاً تسديه إليّ !

: لك ما شئتِ حبيبتي ، أي شيء تريديه هو لك !

جلستِ و بدا التوتر واضح على وجهك ، سألتك

: لما كل هذا التوتر ؟ أهو شيء صعب إلى هذا الحد ؟

: أعتقد أنه ليس سهلاً لي ، ولكن لك أعتقد أنه بسيط !

جلست إلى الكرسي المقابل إليك

: أريدك أن تعلمي أنك إن طلبتي نجمة من السماء سأحضرها تحت قدميك ، فقط أشيري إلى ما ترغبين به ، و سأتيك به .

ابتسمت لي تلك الابتسامة الملائكية التي تنتزعني من ذاتي و تنزل عروشي

: لا لن تصل إلى نجمة و ان كنت قد أخلتني بكرمك ، و زدت طلبي صعوبة .

: ايما حبيبتي فقط اطلبي ما شئتِ ، و سألبي أي رغبة لك ، فهذا كل ما أطمح له .

: أعلم أن كريم يتفاوض معك على صفقة تخص العمل ، أليس كذلك ؟

: نعم هناك بعض التوسعات بمصنع جدي و هو يريد المشاركة .

: أعلم أنك لازلت تفكر بالعرض ، و لهذا جئت إليك .

صمتي قليلاً و قد بدأت أفهم لما أنت هنا

: تريدني أن أقبل العرض !

صمتي و بدأت قدميك بالاهتزاز كما هي عادتكَ حبيبتي حين توترين ، صمتي صمتاً قدر جاذبيته حين تصمت شفتاك لتبدأ عيناك بثرثرة من نوع آخر ، كأن عينيك تعطى لصمتك سحراً خاصاً ، أخذ ينقلني إلى عالم ليس به غيري و أنفاسك قاتلتني بسحر صمتك قبل كلامك .. فقلت لك و قد علمت لما أتيتني أو هكذا اعتقدت

: أخبرتك أن لك ما شئت ، اعتبر أن تلك الصفقة أصبحت له .

فوقفت قبالتني و بادرتني دون تردد أو تفكير بصاعقة ردك

: أريدك أن ترفض العرض الذي قدمه لك !

جاءني بها صوتك كقنبلة مدوية انفجرت بي ! أسقطتني من سماء أخذتني إليها عينيك لتزرعني أنفاسك بين السحاب ، فتعيديني فجأة إلى أرض صلبة ارتطمت بها بقوة

: ماذا قلت ؟

: فقط ارفض و أخبره أن عرضه لا يناسبك و أن لديك ما هو أفضل

وقفت و أنا أحاول لملمة عقلي من صدمته

: لا أفهم .. اعتقدت أنه أرسلك—

: كلا لم يفعل ، و أنت لن تخبره عن تلك الزيارة ، إياك يا ياسين سيقنلني إن علم !!

: حسناً .. هل لي أن أعلم لما تريد هذا ؟ أنت تعلمين أنه يريد تلك الصفقة و بأي

وسيلة ! أتعلمين أنها ستحسن كثيراً من أوضاعه ؟ لماذا تريد أن أرفض ؟

عاودت الجلوس .. صمتي و تلك المرة صاحب صمتك تنهده ، استرسلت بهدوء و

ضعف

: فقط ارفض .. خبرني أنه لديك عروض أفضل من عرضه كثيراً ، فقط اقبل أي

منها.

بدأ قلبي ينبئني بأن شيء ما وراء هذا فعادت سؤالك بحدة

: لماذا ايما ؟ لماذا ؟

عادتِ الصمت كعادتك ، فبدأت أثور

: لا أعتقد أنني سأقبل بصمتك إجابة أتيت إليّ دون علمه ، و تريدني منى أن أرفض

لابد أنه شيء هام الذي تريدني أن أرفض لأجله ؛ فما هو ؟

بدأت توترين أكثر ، و لازلتِ على صمتك

: حبيبتي أعتقد أنني أستحق تبرير بسيط إن كنت سأنفذ لك رغبتك !

و بعد كثيراً من إلحاحي ، حتى أنني بدأت أثور من صمتك وقفتِ و هزرتِ كتفك

....

: إن رفضت تلك الصفقة فلن يكون هناك ما يبقى هنا من أجله ، و سيضطر إلى

الرحيل ، سنعود مرة أخرى إلى إنجلترا .

: و أنتِ تريدين الرحيل .. تريدين الابتعاد عني !!!!

أشحتِ بعينيك بعيداً بصمت ، حاولتِ أن تداريهم عني ، أن تمنعيهم أن يحادثوني بما

في داخلك ، حاولتِ قمع ثورتهم عليكِ هذا ما دائماً تفعلينه ، بدأت تشتعل ثورة غضبي

....

: قلت لك لن أقبل بصمتك تلك المرة !

: فقط أريد العودة إلى هناك

أمسكت بذراعك و قربتك نحوي على مهل

: انظري لي و أخبريني أنك لا تحاولي انتزاعي من داخلك ، أنتِ لا ترغبين بالعودة و

إنما ترغبين الهروب مني ، أخبريني أنك تريدني قتلي حبيبتي بابتعادك عني !!!

: فقط ارفض أرجوك ياسين ارفض، قلت أنك ستلبي كل ما أريد !

: أتعتقدين إن فعلت ما تريدن ، سيكون هذا كافي لقتل الحب بيننا ؟ لكي توقفي فيضان عشقاً اجتاح كلانا! أتعتقدين أن هذا كافي لينتزعك من داخلي و أن يمنعك عشقي ايما ! أحقاً تتوهمين ذلك !

زاد ضيقي من صمتك ، و بدأت عينيك تلمع بالدموع

: أنا لم أختار أن أجن بك ، أن أدمنك حبيبتي ، و أنت لم تختاري أن تعشقينني ، هذا لم يكن اختيار أي منا ! فلماذا تعاقبيننا لما ليس لنا به ذنب !!!
زاد بكاءك و أنت تبعدين يداي عنك

: هو لم يكن اختيار أي منا ، و لكن عقلي يستطيع منع هذا من أن يخرج عن السيطرة ، لا يجب أن يستمر هذا !
ابتسمت بسخرية

: جيد أن أهدنا لا زال لديه عقل يفكر !

جلست إلى الكرسي ، فقد زاد حملي أحمال بما آتيتي تطلبه مني

: أنت متزوج و لديك ابنتك و حياتك ، و أنا لدى زوجي و حياتي ما يحدث هنا ليس صحيحاً ، هذا لا بد أن ينتهي ، لم يجب أن يحدث من الأساس !
انتفضت من مجلسي ، و صرخت بوجهك و لا أعلم كيف

: و قد حدث ايما ، حدث ليس برغبة مني و لا بطلب منك هو فقط قدرنا !!

: إذن فلترفض و تتركني أرحل ؛ فقط اتركني أرحل !

عاودت الجلوس لكن تلك المرة أنا من صمت ، نظرتي نحوي و لم تقولي شيئاً ظل كلانا صامت و لم يكسر صمتنا سوى رنة هاتفك ، فتخبط كل ما بك لم أحتاج أن

أسأل من المتصل ، فقد بدا من تعابير وجهك أنه هو المتصل ، و أنتِ راحلة رجوتني أن أرفض ، و أن أنهي كل هذا العذاب كما أطلقتِ عليه . و لا أكذبك القول إن كان عشقنا لك عذاب ، فهو لي بمثابة جحيم أحبياه ، فقد اهتزت لكي عروشي و تزلزلت أكواني ، عشقك هذا الذي يجتاح رجلاً مثلي رجلاً لم يري النساء يوماً إلا شهوة عشق قاتل !!! قاتل لرجل لم يؤمن يوماً بأن لا شيء لا يستطيع أن لا يمتلكه ، كل ما يرغب به يأتي تحت قدميه ، رجل لم يتعود في رغبة النساء انتظار ، ها هو يقضي ليله يطارد طيف امرأة لا يشتهي منها جسداً بل يشتهي نظرة من عينها ، أو ابتسامة تداعب شفيتها ، نسمة تحمل عبير أنفاسها ، أو هواء عبر خصلات شعرها ، يشتهي أن تمس يدها رجاها ، أنا هو الذي يمتلك ما أراد ، لا يريد غيرك و لا يملك سوى ما ترأفي به لحاله ؛ كيف لي أن أتركك تذهبين و كل ما بي لا يرغب امرأة غيرك !!!

تلك الليلة ذهب لغيرك ، فقد ألمني كبرياء رجل بي لم يعد يحتمل رفضك ، كبرياء رجل شرقي لم ينحني يوماً سوى لمن خلقه لم يعد يحتمل ما تفعليه بي ، كبرياء لم يستطع رجال و لا نساء قبلك أن يخطو خطوة قربه ، أتركك تتلاعبين بي كيف تشائين سواء تعمدتِ فعل هذا أو لا ، أنا الذي لم يتنازل يوماً عن كبريائه لأجل أحد ، أتنازل عنه لأجلك ، و الأسوأ أنني من يفرشه لك عن طيب خاطر !! ذهب لغيرك لأفتش عن قبر ألقى به عشقك ، أفتش عن من يسكن جرحي و يقتلعك من نبضي ، ذهب لامرأة غيرك لعلي أطفئ بها شهوة عقلي منك ، لعلها تريح شهوة قلبي بك ، شهوة إليك تقتلني ، شهوة لم تروى منك يوماً بل تزيد نهاراً و ليلاً ، شهوة تشعلها عينيك ، و تزيد جمرها شفتيك ، شهوة لضحكك التي تغزو ليلي ، شهوة لطيفك الذي يغتالني بصحو و منامي ، حاولت أن أجتزك من داخلي!

ذهب لامرأة تعودتها قبل ظهورك بحياتي ، تعودت أن تدفئ ليالي حياتي الباردة ، تعودت زيارتها كلما اشتدت بي عواصف زوجتي ، و رغم أنني تعودت غيرها من

النساء ، إلا أنها كانت إحدى الثوابت بحياتي ، فكانت جامحة تطوق لإرضائي و تعشق إغوائي ، تتلذذ بلحظاتها معاً ، كنت أتردد إليها من وقت لآخر كلما اشتد بي الحنين للياليها الجامعة التي كانت ترويني فيها بكل ما أشتهي .

كل ما أردته تلك الليلة أن أدفك بقبر قلبي للأبد ، و حين هممت بها رأيت طيفك بأحداقها فتوقفت ! أغمضت عيني و جئت أقبلها فاشتبهت أنفاس ثغرك فامتعت ! أخذت تداعب جسدي بأناملها و تروي بثغرها صحرائي ، تدللت و تقربت تلاعبت بكل شهواتي ، أزاحت عني قميصي ألقنتني إلى ظهري بمضجعتها ، و أخذت تغزوني دون توقف دون استمهال ، اعتلتني لتثير شيطاني ، فأغمضت عيني عنها ، تعجبت مني و غضبت كثيراً ، و كيف لها أن تُشعلني و أنا لا أستطيع حتى أن أراها !!

سألتني بغضب مكظوم ، و هي تلتقط ثوبها الشفاف لترتديه ، بعدما امتعت عنها
....

: ما بك !!!

: لا شيء مرهق قليلاً .

شاكستتي مبتسمة ، و هي تستلقي على الفراش و تضع رأسها على فخذي

: منذ متى أنت دائماً مرهق ؟ حتى أنني لا أعشقتك إلا و أنت مرهق .

ابتسمت مما تلوح إليه فشاكستها

: ألا يمكنني أن أحظى ببعض الهدوء و السكينة البريئة معك !

: لك كل ما تشاء حبيبي .

ضمنتني إلى صدرها بقوة و أخذت تقبل رأسي بحنو ، و تمسح بأناملها على جبيني ، و تلمس بباطن كفها كل ذرة من جسدي المستلقي بين أحضانها ، و بعد قليلاً من الصمت ، سألتني بخبث أنثوي ...

: من هي ؟

جاء سؤالها لي صدمة أسكتتني لحظات ، ثم اعتدلت قليلاً و رفعت رأسي عن صدرها ، و نظرت لها متعجبا ، أنى لها أن تعرف أن قلبي امرأة ؟ فادعيت عدم الفهم و سألتها....

: عن من تتحدثين ؟

: عن تلك التي سرقتك ، عن تلك الجنية التي سحرتك !

زادت دهشتي منها أكثر ، أنى لها أن تعلم ؟ أحقاً النساء لديهم تلك المقدرة ليعرفوا إن كان بحياة رجلهم امرأة أخرى أم أنها محض خرافات ؟ كاد يقتلني الفضول لمعرفة كيف استشعرت وجودك بقلبي ؟ لكنني لم أسألها لأن ذلك كان سيؤكد وجودك بحياتي ، و أنتِ هي سر الصغير فحاولت التوصل منها

: أكل هذا لأنني مرهق أصبح هناك امرأة بحياتي !

ضحكت ضحكة بميوعة ، رن صداها بالحجرة ، و هي تعتدل و تغازل بأصابعها ذقني بدلال

: ياسين حبيبي ، أنت دائماً لديك امرأة جديدة بحياتك !

تنهدت بقوة و أسندت مؤخرة رأسي إلى وسادة خلف ظهري

: إذن ما الجديد ؟

ابتسمت و هي تجثو فوق صدري ، و وجهها مواجهها لي ، و بنظرات أنثوية تشتعل غيرة ...

: الجديد أنها ليست بحياتك ، تلك الغامضة هي حياتك ، فقد تملك منك و استوطنت بين ضلوعك ، تلك الجنية هي من سلسلت شيطانك !

أمسكت ذقني بأناملها و غاصت ببحر عيني

: كم يعتريني الفضول لأراها ، كيف يكون وصفها تلك الساحرة التي أحكمت أوتاد قلبك ؟ أهى تشبه باقي النساء ؟ أم أنها هبطت من كوكب آخر ؟

ابتسمت منها كثيراً و لازلت غارق بعينها ، تنهدت بعذاب قلبي منك ساحرتي ! و رفعت لها حاجبي لكنني لم أجب بشيء .. فنزلت عني ثم عاودت ضمي إلى صدرها فاستسلمت لها ، و بعد لحظات دفعتني عن صدرها فتعجبت !!! رفعت عن جسدها ثوبها الشفاف الذي ارتدته ، و عاودت الكرة ثانية ، تداعب أرضي المستسلمة لها تمور فوقى و حولي و همست لي بأذني و قد لقمت شحمتها

: لنرى لأي مدى سيصمد الليلة شيطانك !

تركتها تجتاحني لعلها تنتزعك من داخلي ، وجددتي أغمض عيني عنها ، و تركتها تستبيح صحرائي

لكنني لم أرى سواك ، وقف طيفك بيني و بينها ، حال دونك و دونها ، فلم أرى بمفاتن جسدها العاري سوى عينيك ، و لم أسمع من همسها لي بما يثير الدماء بعروقي سوى أنفاسك ، طار بعقلي لحظات معك لحظات أغويتني بها دون إغواء !! لحظات بقربك خدرت بها أوصالي دون وصال و عبرت بي النشوة و اللذات !!

هي كانت لحظات حين قبلتُك ، و نُقت الخمر بثغرك ، غرقت بشهد اللذة و قلبي ينام بصدرك ، أشعلتني جمرًا حين مستني يداك ، حين اجتحتني فيضان عيناك ، و زلزال أنفاسك ضربني بقوة حملتني إلى السماء و عاد ليغوص بي بين أمواج البحور بهمسك ، و يداي حين التفت الكون تحاكي النجوم بخصرك ، و عيني حين سافرت اشتهاه ترتحل بغصنك ، فصرخت منك شوقاً ، فزادت دهشتها! فابتسمت غضباً !! وكيف لامرأة أن تطفئ ما أشعلته يداك !!!!!!!

فأزحتها عني بقوة ، و انتفضت من مكاني ، كانت تنظر لي كأنها أول مرة تراني ،
كان الغضب يجتاح صدري ، فلم يحتمل قلبي أن تدنس إحداهم لحظات انتشائي بك ،
النقطة قميصي و هممت للمغادرة ، و قبل أن أرحل استوقفتني ، قبلت منبت عنقي
برقة و اشتها ، فأبعدتها بيدي و أنا أبتسم لها بضيق ، همست لي بدلال و أناملها
ترتل بصدري بشوق ، و عيناها تغمرني بغيظ شهوتها لي

: حين ترى ياسين خبره أنني أنتظره و أشتهي أن يسقيني خمر لياليه !!

ابتسمت لها ، و حين همت لتقبيل ثغري أشحت عنها ، قبلت جبينها و رحلت !

؛؛؛

دلفت إلى سيارتي ، و أسندت ظهري إلى الكرسي ، و كنت لا أزال أغلق أزرار
قميصي ، تنهدت بحنق ملأ صدري ، تأججت عاصفة غضبي فروحت أضرب مقود
السيارة بيدي بضيق عدة مرات متتالية ، و أنا أرطم مؤخرة رأسي بالكرسي خلفي ، زاد
غضبي منك جبال ، و لكن غضبي من ذاتي كان أعنى !

لما لا أستطيع انتزاعك من داخلي ؟ فلما لا يقبل قلبي بغيرك ؟ و لا يرغب عقلي
بامرأة سواك ، فابتسمت من ذاتي أحرق أنا و كيف لي أن ألومهم ! و إن كان
شيطاني قد تعفف عن من هي سواك !

كيف أسأل قلبي أن يقبل بنجم بائس يدور بفلالك ! كيف لغيرك أن تجري بشرياني ،
أنت هي من كبلت شيطاني و أحكمت أوتاد قلبي برحاها ، أنت هي العنيدة التي لا
ترضخ أبداً ، التي يقتلها الحنين لي والاشتياق إلى ضلوعي فتكابر ، من تشتهي
وصالي و تأبى ، أنت هي البعيدة الأقرب إلى قلبي مني ، كيف لي ألا يفصلني عنك
بضع خطوات ؟ و أنت لي أبعد من نجمة بسماء !! كيف لك أن تكوني أمام ناظري
على مداد يدي ؟ و أنت هي المستحيلة الوصول ، كيف لك أن تجعليني رجلاً لا يرى
غيرك و لا يقبل بامرأة سواك ، لا يشتهي سوى قريبك ، فبين رحاك اجتمعت النساء !

و أنا الذي يتحاكى الجميع بكثرة علاقاته ، بكثرة النساء بحياته ، قلبت تاريخي ، و بعثرتي كياني ، اقتحمت حياتي ، و استوطنت أحلامي ، و اختزلت كل نساء الكون بعيني بين أنفاسك و دقائقك ، و بعد كل ما فعلته بي تسأليني أن أترك ترحلين .. فقط ترحلين .. حمقاء أنتِ حبيبتي !!!

؛؛؛

عدت ليلتها فجراً و كل ما بي كان حانق منك ، ساخطاً على ما وصلت إليه بعشقتك ، غاضباً من ذاتي لما تركتك تفعلينه بي و قفت بحجرة المكتب معلقاً بشرفتك ، كنت تجلسين بالشرفة كعادتك تقرئين كتابك .

حينها تعلقت عيني بك رغم غضبي منك ، سكنت روحي و هدأت عاصفة انزعاجي ، وجددتني أقسم لنفسي بكل هذا العشق الذي يملئني لك كل هذا الاشتياق الذي يقتلني إليك .. أقسمت أن أقتلع هذا العند الساكن رأسك ، أن أقتل بك هذا الكبرياء الذي يقويك بوجهي ، أن أنزع عنك كل ما يجعلك تصمدين أمامي ، أقسمت أن أذيقك من كأس جحيم عشقتك ، قدر ما ارتويت منه ، أن تذوقي بعضاً مما تفعلينه بي ، أن تصرخي بي عشقاً ، كم تصرخُ منك روحي هياماً ، أقسمت أن تكوني لي مهما كلفني الأمر ، ستكونين لي شئت أم أبيت !!

أخرجت هاتفي و أرسلت رسالة لكريم على هاتفه لم أكتب بها سوى كلمتين !!

“ مبروك شريكي ”

أغلقت هاتفي و جلست أراقبك أشعلت سيجارة ، لعلي أنفث بها بعضاً من ناري منك ، حينها دخل كريم إلى الشرفة يكاد يرقص فرحاً ، أمسك بك من ذراعيك و أخذ يدور بك بضع لحظات ثم توقف رفع هاتفه بوجهك كي يريك رسالتي ، فاصطنعت الفرحة .

خرج هو من الشرفة أخذت تهزين رأسك غضباً و رمقت القصر بنظرة تمتلئ حنق ، سقطت على كرسيك ، حمقاء مثلي فقد اعتقدت أنه يمكنني التخلي عنك ! بعد قليل غادرت الشرفة حينها ابتسمت و أخذت نفساً عميقاً من سيجارتي ، و أسندت رأسي إلى ظهر الكرسي ، و أخرجته متقطع بهدوء و تلذذ ، و قد غمرتني بعضاً من مشاعر السعادة لطريق بدأت أرسمه كي أصل إليك ، لم يعد يهمني شيئاً سأصل إليك و ستكونين لي ! و الشراكة بيني و بينه هي أول خطوة بهذا الطريق ، و اعترفتي مشاعر الرضا من غضبك فلا مانع من أن تغضبي قليلاً حبيبتي ! على الأقل بتنا تلك الليلة و هناك ما يجمعنا !!

أنهيت سيجارتي ، و أويت إلى فراشي لأنعم بليلتني معك ، لأظفر ببعض السكينة و الهدوء بحضرة طيفك ، فبأوهامي تكونين لي كما أشاء ، فلا يشاركني بك أحد و لا يمنعني عنك شيء ، غير أنك بأحلامي لا تكونين عنيدة إلا بين أحضاني !!!!!

باليوم التالي كانت لدى بعض المواعيد الهامة خارج الشركة ، و حين عدت وجدت طلعت يخبرني أنك تنتظريني بمكتبي ، ابتسمت كثيراً و طلبت إليه تأجيل كافة مواعيدي لحين مغادرتك .

حين دلفت إلى المكتب كنتِ تقفين أمام النافذة شاردة ، حتى أنك لم تنتبهي لدخولي ، حينها أنا الآخر انتبعت لشروذك فأغلقت الباب بهدوء ، و سرقت الخطوات بروية حتى لا تنتبهي ، وضعت حقيبة أوراقي فوق المكتب ، تسلت بخطوات هادئة نحوك و أنتِ تقفين كغصن زهرة بريه متمائلة بثوبك الأزرق الأنيق ذا الأكمام القصيرة ، بطوله المتوسط الذي كان يمتد إلى نصف ساقيك ، وقفت خلفك و رائحة عطرك تتسلل إلى أوردتي لينتفض الدم بعروقي ، اقتربت أكثر و أنا أشتم رائحة جسدك ، التي بدأت تغزوني منذ دلفت إلى الحجرة ، ثم ملت إليك و اقتربت من أذنك و همست لك ، و أن أقرب أصابعي من عنقك

: يقولون أن منظر القاهرة من هنا جميل ، الا أن حسن جمالك اليوم تخطى الشمس و القمر و النجوم و القاهرة المعز حين تجملت بأبهى عصورها !!

انتفضت خوفاً و أنتِ تلتفين نحوي ، فسكنت صدري دون قصداً منك ، فالتفت يداي بك و غرقت نظراتك ببحر عيوني لحظات ، ثم انتبعتِ فدفعنتي ...

: هل تستمتع بإخافتني ، ياسين ؟

ابتسمت و أنا أعاود الاقتراب منك

: إن كنت بكل مرة أخيفك فيها ستسكنين ضلوعي !! فسأحرص على أن أقتلك رعباً حبيبتى !!

صمتي و تراجعت بعض خطوات ، عيناك تتوارى مني خجلاً ، رفعتي بأصابعك بعضاً من خصلات شعرك الهاربة على جبينك ، فحدثتك

: لو تعلمين كم أنا سعيد لأنني أحظي بتلك الزيارات الخاطفة !!

ارتسمت تلك النظرة الغاضبة بعينيك ، و أنفاسك الثائرة ، كل ما بك كان يثيرني يشبع رغباتي بك و يشعلها أكثر ، نظرت إليك دون أن أقول شيء ، فأعلم مسبقاً سر الزيارة لكن لما لا أشعل وتيرة غضبك الآن ، فهذا يثيرني أكثر من جمالك

: أخشي أن أعود على ذلك ، فأدمن زيارتك لي و حينها —

: أخبرتني أنك ستفعل أي شيء لأجلى !!!

جلست و اتكأت بظهري إلى الكرسي ، و أنا أضع ساق على الأخرى ...

: و أظل عند كلمتي فقط أشيري حبيبتى إلى ما ترغبين و أنا ألبى !

حينها اشتعلت أحداقك ناراً ، كدت أخرج عن سيطرتي و أضحك من ثورتك ، إلا أنني تمالكت نفسي ، و حاولت أنت أيضاً كظم غيظك ...

: أتذكر أنني طلبت !! و أنـ

وضعت ذراعي على ساعد الكرسي و قاطعتك بهدوء زاد غضبك ...

: أنا ماذا حبيبتى !!!!

نظرت لي ، و أنت تحاولين التمسك ببعض من هدوئك ...

: لما قبلت عرضه يا ياسين ؟ لما أعطيته تلك الصفقة ؟ لما و أنت تعلم أن عرضه أكثر عروضك تواضعاً ؟ و مع ذلك أعطيتها له ، رجوتك ألا تفعل !

: فقط لم أستطع !!!

ابتسمت بسخرية و أنتِ تحركين يديكِ بتوتر

: أتريد أن تخبرني أن جدك أو عمك هو من أعطاهها له ، لا تقولها لأني لن أصدقك ، فأنتِ هو المتحكم بكل شيء ، أنتِ من يقرر و لا يراجعك أحد حتى جدك !!

: لم أقل ذلك عشقي ، أنا من أعطى له تلك الصفقة .

: لماذا ياسين أعطيتها له ؟ لماذا ؟

حينها زادت بسمتي بغضب ، ثم انتفضت من مجلسي ...

: أحقاً تسألين ؟ أحقاً كل هذا الغضب الذي يمتلأ به صدرك و تحترق منه أنفاسك ؟

نظرت لي بدهشة و أنتِ صامتة ...

: حسناً حبيبتي إذا كنتِ تعتقدين أنكِ تستطيعين الهروب من عشقك لي ، إذا كنتِ تعتقدين حقاً أنكِ تحتملين غيابي .. فأنا أعتزف أمامك أنني لن أحتمل أن تغيب عني ، فأنتِ حبيبتي و عشقي و كل ذرة بروحي و لن أحتمل ابتعادك .

ثم صمت لحظات ، و أرى عندكِ يحوم بأحداقك ، فتخطيتكِ و تركتكِ خلف ظهري

: لكن مع ذلك إن كنتِ تصرين الرحيل سأتركك ، و لكن لي شرطاً واحد !!!

تساءلت بصوت يشوبه القلق

: أي شرط هذا ؟

النفث إليك ، و تقدمت نحوك حتى تلاقينا ، و يداي أقبضهما بجيبي أحاول تمالك غضبي حتى لا تغفل ثورتني إلا أنني لم أصمد كثيراً ، ملت إليك ...

: غادريني ايما !!

رفعتي عينيك بعيني و بوجهك دهشة اجتاحت كل ذرة بك ، و بدأت ثورتي تركض
نحوك

: تريدين الرحيل .. ارحلي حبيبتي كما شئت لكن قبل أن تغادري جوارى .. غادري
قلبي ، غادريني ! غادري روحي الممتلئة بك ، غادري أحلامي التي لا ترى غيرك ،
غادري عقلي الذي لا يرغب بامرأة سواك ، أعيديني إلى ذاتي ، أعيدي لي كل ذرة
بداخلي ، أعيديني إلى ما كنت عليه قبلك ، أعيديني إلى حيث وجدتي ، فليس عدلاً
أن تتركيني طريداً في الطرقات تتركيني غريباً بلا وطن !!

زاد خوفك و تسارعت أنفاسك و أنت تتراجعين للخلف ...

: أتعقدين أنني سعيد بحميم ألقاه بعشقتك ، أنت هي القريبة الأبعد من النجوم ، أنت
إلي ساكنتي و إليك أنا الغريب ! أنت هي التي تملئني و لا أستطيع لمسة منك
تفاحتي المحرمة التي لا أشتهى سواها !

ثم فقدت صوابي ، و أمسكتك من معصمك بقوة أمتك ، و الغضب يكاد ينتفض
بأحداقي ، فهو مثل عشقتك لا يمكنني السيطرة عليه

: أتعقدين حقاً أنه من السهل أن أراك معه ، هو من له الحق بكل ذرة بك ، و أنت
لا تريديه ! و أنا العاشق لكل ذرة بك ولا أجرؤ اقترابك !!

كنت تنظرين إلي ، و كل ما بك ينتفض ، حاولت فك يدك من أغلال يدي و أنت
تتراجعين للخلف ، إلا أنني أحكمت قبضتي عليها أكثر ، فتأوهت بصوت مرتفع و
الدموع بمآقيك و أنا أتقدم إليك

: أتعرفين أي جحيماً يثور داخلي حين أرى يداه تلتف حولك ، أرى أصابعه تداعب
خصلات شعرك ، أو تلمس جبينك ، أتعرفين ماذا يحدث لي كل ليلة و شيطاني
يساور عقلي عنك و كيف يضمك بفراشه ؟

اصطدمت بالكرسي من خلفك و كل ما بك كان يرتعش ...

: ياسين —

تركت معصمك و جذبتك إليّ من ذراعك بشدة انتفضت منها وأشرت إلى ساعة معلقة
على الحائط

: تريدن الرحيل !! ارحلي حبيبي .. لكن أولاً أديري عقارب الزمن إلى الوراء ، عد
بي حيث التقيتك أول مرة ، و هناك في تلك اللحظة و ذاك المكان اتركني و ارحلي !
ثم جذبتك بقوة أكثر حتى سكنت صدري ، و أكاد أفتك بذراعك

: و أنصحك حينها أن تسرعي بالركض معذبتني ، لأنني حتى بعد كل هذا الذي ألقاه
بعشقك و على يديك ، و إن عدت ألف مرة للوراء سأصاب بسهم هواك ! و إن كان
لي اختيار حبيبي.. فلن أختار غيرك بكل مرة ! إن وضعوا أمامي ألف سبيل لن
أختار غير عينيك سبيل .. و إن كان بنهايته هلاكي سأختارك أنت ! لن يوقفني عنك
شيء و لا حتى موتي ببابك ! فحبك محفور بقلبي رغماً عني و عنك ”

حينها أقسمت أن أنفاسك وقفت بصدرك ، و كاد قلبك يقف! و بعد لحظات و كل
ما بك معلق بي ، كأنك تجمدت انتزعت نفسك مني ، أسرعت هاربة ، ركضت نحو
الباب لتخرجي ، فعدت و انتزعتك من يدك بقوة ، و لا أعلم لما كل هذا الغضب كان
يجتاحني ؟ قد يكون كل هذا العند الساكن بك و كل ما تفعلينه بي ! قد تكون فكرة
ابتعادك عني أثارت بركان غضبي منك ، و قد يكون كل هذا الذي كنت أدفنه بداخلي
لك لم يعد يحتمل الاختباء ، يريد أن يثور و يتمرد على أوامرك بالاعتقال ، بركان
ثائر ينتظر تلك اللحظة التي يخرج بها إلى العلن ليحطم كل شيء ، فاقتربت منك إلى

أن سكنت أنفاسك صدري و تلاقى كتفك بصدري ، و همست لك و كانت أنفاسك
تتنفض بصدري

: اقتحمت حياتي دون رغبة مني و دون طلباً منك ، أردت أنت و أردت أنا و أراد لنا
قدرنا ، لكن أن تغادري حياتي دون رغبتني فالنجوم أقرب إليك ، المستحيل سيكون
طريقاً مفروشاً بالورود سهل الوصول من أن تغادريني ، و لا حتى بعد أن تغادرني
روحي هذا قدرتي بك شئت أم أبيت .. أنت لي !

خرجت أنفاسك من صدري مرتعبة و حروفك متلعثمة ممتلئة بالدموع و الخوف ...

: ياسين .. أنت حقاً تخيفيني !!!

فابتسمت لك بضيق

: لا أجرؤ حتى على التفكير بها معذبتني !

: اترك ذراعي أريد أن أذهب !

فظللت ممسك بها ، فرفعتي عينيك نحوي و بقاعها اختلطت الدموع و الرهبة ...

: ياسين أرجوك ، اترك ذراعي !

أفلت ذراعك من يدي و تركتك تذهبين ، تقدمت مترنحة الخطى ، وصلتني إلى الباب
أمسكت مقبضه و قبل أن تفتحيه توقفت لحظة توقعت أنك ستلتقين نحوي إلا أنك لم
تفعلي ! رحلت و تركت خلفك الباب مفتوحاً ، فوقفت مقابلاً له و عيني تتبعك حتى
اختفيت عن ناظري ! حينها احتشدت بصدري دوامات الغضب من عنادك و أكثر ما
كان يوجب لهيب قلبي نظرات الخوف و الهلع التي ملأت عينيك رعباً مني ، التفت
إلى الناحية الأخرى أمسكت بإحدى التحف الموضوعة فوق المكتب و ألقيتها إلى
الساعة فتحطمت ، ظللت أنظر إليها و هي محطمة و كلي يتساقط إلى الأريكة ، عم
الحجرة هدوء توجس منه قلبي و عقلي ، فقد سكن كل شيء فجأة ، و انزوت روحي

بصدري ، تحتمي بأنفاسك التي لا تزال تسكن صدري ، تستأنس بنبضك الساكن
ضلوعي ، سكن كلي كما سكنت عقارب الساعة المحطمة ، حينها تمنيت لو أن تلك
الروح المتحصنة بكِ سكنت عني هي الأخرى !

مرت بضعة أيام كل شيء هادئ مستقر ، أتى كريم إلى مكثبي بضع
مرات ، اتفقنا على كل شيء تقريباً قدم لي عرضاً أقل من متواضع ، لكن لا بأس
فبالنهاية إن حدث ما أتوقعه من فشله المعتاد فجدي لن تثور ثائرته ضدي ، فهو من
طلب أن أسانده ، فلن يُلقي باللوم على أكتافي ، فهو من يريد هذا بالطبع هذا ما
أخبرت الجميع به ، تلك الصفقة جاءت نزولاً على رغبة جدي ، فما باليد حيلة !
أصبح كل شيء شبه جاهز إلا من بعض التفاصيل القانونية ، التي ستوضع بالعقود
لتأمين كلا منا إن أحدث أي طرف خلل بالشروط ، و بعدها سيتم توقيع العقود .

اجتهدت أن أتماسك بغيابك ، فطغيان عشقك بقلبي في ازدياد و أنتِ تتوارين عني ؛
اعتقدت أن لا أحدا يلحظ شرودي و خبو شمعتي ، إلا أن اجتهادي لم يكن موفقاً مع
الجميع !

كنت أقضي بعض الوقت بمنزل توفيق كعادتي ، لأزيح عن صدري القليل من أعباء العمل و المنزل ، و أرفه عن قلبي قليل من جفاك لي منذ ذاك اليوم بمكتبي . ورغم غضبي الذي كنت أكظم بداخلي منه بعد ما علمته عن عشقه لأختي دون علمي ، إلا أنني كنت أشعر به ، فأنا غارق مثله بموج الهوى ، لم أفاتحه على أمل أن يبادرني هو ، شردت أكثر من مرة بك أثناء السهرة ، و بعد مغادرة أصدقائنا لم يبق سوانا ، فبادرني بابتسامة ماكرة

: إلى أين حملتك رياح الأفكار الليلة يا صديقي ؟

تبسمت و رفعت له طرف عيني

: و من قال أنها تحملني هي فقط تتقاذفني على غير هدى !

هبط إلى الأرض و جلس جوارى ، و زادت لمعة عينيه خبث و مشاكسة كعادته ...

: أعتقد أن تلك الرياح عاتية ، لما لا تحتمي حتى لا تعصف بك ، أم أن الأوان قد

فات ، و فتكت بك عواصف الشتاء !

: لم يحن وقت الشتاء بعد ! لما لا تخبرني إلام ترمي تحديداً ؟

: فقط أقول يا صديقي أن بك شيء مختلف !

: لما تعتقد هذا ؟

اعتدل بمجلسه و بنظرة جادة و كأن وقت المزاح قد ولى

: أنا لا أعتقد ، ياسين أنا متأكد أن هناك شيء بك ليس بموضعه الصحيح !

: لماذا أشعر و كأن هناك شيء بالتحديد تود الحديث عنه ؟

نظر لي و عينيه تمتلئ بالكثير ، و لكنها تخشي أن ينطق بها لسانه ، فاعتدلت و

نظرت له و أن أهر رأسي بابتسامة تطمئنه لبيتخطى حذره ...

: هيا يا صديقي آتي ما عندك ؟

نظر لي و بخبث لمع بعينه ، لم يقول سوى كلمة واحدة ، انتفضت لها أوصالي ...

: ايما !!!

حين سمعت أذني اسمك انتفضت الدماء بعروقي ، اهتزت السماء من فوقي ، و رغم
سكون الليل فصخب النبض بقلبي أسمع العالم !! و تساءلت و أنا ألملم ذاتي ...

: ما بها ؟

: أهى التي قلبت حالك و غيرت كل ما بك ؟

شبكت أصابعي ببعضهما و بابتسامة تتصنع الهدوء

: عن ماذا تتحدث أنت ؟ يبدو أنك أكثر من احتساء الخمر الليلة !

تبسم و هو يقلب عينيه بي

: أتعلم منذ متى و نحن أصدقاء ؟ صدقني أنا لا أعلم كل ما أعلمه أنني حين ولدت
وجدتك صديقي و لا أعرف لي صديق سواك ، أتعلم ما يعني هذا ؟

: أخبرني أنت ؟

: يعني أنه لم يعد يحتاج أحد منا أن يتحدث حتى يفهمه الآخر ، فأنت تعلم أغواري
دون أن تقتحمها و أنا أعلم قاع بحرك دون أن أغوصه !

ثم مال نحوي و هو يمسك بكتفي ، و يهمس لي دون حاجة للهمس

: حين نقوم برد فعل لأي فعل فنحن لا نرى كيف نبدو ، و أنت لم ترى وجهك حين
تراها ؟

: و كيف أبدو حين أراها ؟

ابتسم ابتسامة تكاد تصل للضحكة و هز رأسه بتوالي ...

: أرى روحك تخلق بعينها ، أراك تدور بفلك محياها ، أراها بعينيك حتى و هي ليست حاضرة ، صدقني أنت لو استمعت لصوت أنفاسك و تخبط أوصالك بوجودها ما كنت لتسأل .

حاولت المقاومة و ادعاء الغباء

: قلت لك لا أعلم عن ماذا تتحدث ؟

نظر لي بنظرة أعلمها جيدا شعرت أنه يتوغل بي يقتحم عقلي ، فتلك النظرة أعرفها لن يتراجع حتى يعرف

: شككت بأمرك تلك الليلة بحفل جدك ، حين دلفت هي إلى الحفل كنت جوارى ، حينها انتفض كل ما بك ، فحدثت نفسي بأنني أتخيل ، فياسين لا يقع بعشق النساء ، لكن —

ثم صمت لحظة فنظرت له و باداني النظرة بلمعة ذكاء بعينه ...

: تلك الصفقة التي أعطيتها لكريم !!!!

حينها ابتسمت بشدة ، فزادت بسمته هو الآخر

: تلك الصفقة أكدت لي أنني لم أكن أتخيل ، أيقنت أن هناك شيء تسعى إليه ، وهذا الشيء يخصها هي ، فأنت و هو كقطبي السالب و الموجب لا يمكن أن يجمعكما شيئا ، لكن يبدو أن ايما جمعكما ! فلما لا تخبرني بما يحدث يا صديقي !!

لم أقاوم توفيق كثيرا فبعيدا عن ذكائه الخبيث الذي كان سيوصله بلحظة ما إلى حقيقة ما يجري ، و رغم ضيقي منه لما يداريه عني ، الا إنني التمسيت له العذر ، فهو محق فلم أكن لأقبل بشيء بينهما ! فقبلك لم أومن بالهوى ، لكن عشقي لكي هو ما جعلني أومن بالغرام ، غير أنه يظل بالنهاية صديقي الوحيد الأقرب إلى قلبي ، فهو

رفيق بدرب عمرٍ تعبت من عده ، غير أنني لن أكذبك القول حبيبتي فلم أكن أوقن كم من الوقت سأظل أدأرى عشقك ؟ و لعل إصرار توفيق جاء لي مطراً من السماء ليفرج عن قلبي صحراء عشقك ! لعلى أزيح به بعضاً مما يختبئ داخلي لك ، و أتوق للجهر به على الملاء ، أنا الذي لم يتعود الشكوى أو يكثر من الفضفضة إلا مع نصف عقله ! كما كان يحب توفيق أن يداعبني دائماً بها حين أغضب منه ، أعادني بسؤال صريح فلا مراوغة بعد الآن

لا أعتقد انك ستكذبني يا صديقي ... هل تحبها ؟

تتهدت و أملت ظهري للخلف ، أسندت مؤخرة رأسي لوسادة وضعتها خلفي

: أحبها !!! أنا لا أعلم ما هو الحب ! فأنت تعلم أنني لم أختبره قبلاً !

: فلتخبرني ما بالك بها ؟ و سأخبرك إن كنت تحبها ، أو فقط ترغبها كغيرها !

فسكن كلي أحاطني طيفك شعرتك حولي

: إن كان الحب هو أن لا أرى سواها و يمرح طيفها بعقلي ليل نهار دون استئذان ..
فإني أحبها ؛ أن تمتلئ بها أحلامي بصحو و منامي و تراودني بالطرقات .. فإنني أحبها ؛ أن أجن بأشواقي إليها و يدُ غرقني الحنين .. فإنني أحبها ؛ أن أراها كل النساء و أرى كل النساء هي .. فإنني أحبها ؛ أن أظل على وتر اشتياقي لها و أمل أن يأتيني يوماً باللقاء .. فإنني أحبها ؛ أن أغار عليها حتى من ثيابها .. فإنني أحبها ؛ أن أفعل أي شيء لأرى ابتسامة تملأ وجهها و إن لم تكن لي .. فإنني أحبها ، أن أطوى الكون كله لأجل ألا يمس الحزن جبينها .. فإنني أحبها !!!

توقفت لحظات و تتهد صدري بشوق إليك ، و كأني لم أعد أعرف ماذا أقول و ماذا أخبئ ؟ فأحبار عشقك بقلبي تملأ مجلدات تمتد جسراً من الأرض إلى السماء و تفيض ! كان ينظر نحوي و كأنه أول مرة يراني و تغمر وجهه الابتسامة .. فسألته بابتسامة أخرى

: أيكفيك هذا يا طيبي لتخبرني ما أنا به ؟ أهذا هو العشق أو بأي اسم تسميه ؟
أيكفيك هذا أم أخبرك من دفاتر قلبي عنها المزيد ؟

: يا الهي .. اعتقدت أنك متعلق بها ، لكن لم أتخيل أنك غارق بها إلى هذا الحد!

: لم تخبرني يا وزيرني أهذا هو العشق الذي يتحدثون عنه ؟

فابتسم و ربت بكفه على كتفي

: كلا أنت لست بعاشق لقد تخطيت هذا منذ زمن ، أنت هو المتيّم بها و أهنتك فأنت
مقدم على مرحلة الجنون !

ضحكت منه و بنظرة هادئة شاكسني ...

: تعلم يا صاحبي غريبا هو قدرنا ، هذا أنت الذي لم تحرك بك كل نساء حياتك
ساكنا ، تأتي ايما بكل عفويتها و طفولتها لتزلزل كل ما بك إلى هذا الحد ، كنت
أعتقد أنها مختلفة ، لكن الآن أنا متأكد أنها مميزة بل و أكثر !

فنظرت له بدهشة ملأتني منه فزاد مشاكستي

: لا تنظر لي هكذا .. أنا جاد تلك التي تحول ياسين الذي لا يتعامل سوى بالأرقام
والصفقات ، ياسين الذي لم يسمع أو حتى يُقر بالحب إلى شاعر ، هي بالحقيقة
ليست مميزة فقط بل إنها ساحرة !

زادت بسمتي منه فأعلم ما يعنيه فقبلك لم أوّمن بالحب أو أصدق به ! و جنّنتي أنتِ
لتكوني خطي الفاصل بين زمانين عشتها بحياتي زمن ضائع قبلك ملحد فيه بالهوى
لا أرغب حتى ذكره ، و الآخر أحببناه عابد بمحراب هواك و لن أتزحزح عنه !

: أعتقد أنك محق هي حقا ساحرة ، فقد سحرتني بكل ما فيها !

ارتسمت تقاسيم وجهه بالجدية التي لا أعتدها منه الا نادرا

: دعنا نعود للواقع قليلا ! ماذا تريد أنت ؟

: ماذا تعنى بماذا أريد ؟

: ماذا تريد من ايما ؟

اعتدلت بمجلسي و ببسمة ساخرة من سؤاله الأحمق ...

: أأحمق أنت بالطبع أريدها !!

: لكن على حد ما رأيته منها و سمعته عنها منك و من الجميع ، أكاد أجزم أنها ليست المرأة التي ستسلم مهما كان عشقها لك ، فهي لن تبادلك أي منه و لن تتركك تقترب منها وهي امرأة رجلا آخر !

: ومن قال أنني أريد جسدها !

: للأسف أعلم و هنا تكمن المشكلة الحقيقية يا صديقي !!!

: حقاً أصبحت لا أفهمك ؟

علت ملامحه نظرة جادة ، و اعتدل بمواجهتي و نظر نحوي

: اسمع يا صاحبي إن كنت أنت تريد جسدها ، كنا سنحلها بامرأة أخرى ، لكن أنت هنا تريد قلبها و عقلها أنت تريد كل ما بها لك ، أنت و إن لم أكن أخطئت التقدير تريد أن تتزوجها !!!! و هذا شبه ميؤوس منه !!

اغتنظت منه كثيراً ، و اعتدلت بمجلسي و رفعت له حاجبي بغیظ منه ...

: و إن خبرتك أنها تحبني كما أحبها !

ضرب كفيه ببعضهما بقوة و هو يضحك

: أعلم أنها تحبك ، و ما لا تعلمه أنت أنها تعشقك أضعاف عشقك لها !!!!

حينها أصابني ذهول أوقفني عن الحراك ، و بعينين مشدوهتين ، و لسان متلعثم

: من أين لك أن تعلم ؟

زادت لمعة عينه و هو يشعل سيجارة و يعطيها لي ...

: لأنني كما أراك تنظر لها رأيته أيضا كيف تنظر إليك !

فاستوقفته بحيرة

: حين أجتمع بها بأي مكان ، ايما لا تنظر باتجاهي أبداً !

حينها انفجر توفيق بالضحك فتعجبت منه

: ما بك ! لما هذا الضحك ؟

فأخذ يدب بقدميه الأرض و قلبه يكاد يقف من الضحك

: أضحك من حُحك ، هي تختلس النظر منك طوال الوقت حين لا تكون منتبهاً ،

فليلة حفلة جدك بالقصر ، أقسم أنك لم تفارق عينيها لحظة حتى اختفت عن الحفل !

حينها غمرت قلبي سعادة اهتز لها نبضي ، فأمسك كتفي

: لن يغرق رجل ببحر امرأة إلى هذا الحد ، إلا إن كانت هي من أغرقته ببحرها ، و

ما من أحد يخطو البحر دون أن يبتل و هي خطت ببحرك فلا تخبرني أنها لازالت

جافة ، غير أنك لن تُعرم بها بهذا الجنون إن لم تكن أذاقتك من شهد غرامها !

اعتراني الضيق لأنه ظن بكِ سوء ، أو هكذا اعتقدت ! فصحت فيه

: توفيق أجننت أنا لم أمسسها قط ، و منذ لحظات أقررت بأنها لن تسلم لي لأنها

ليست زوجتي !

: أحقق لم أقصد هذا .. أقصد إن لم تبادلك مشاعر الحب ، و لم تشعر بين ضلوعها عشقها لك ، ما كنت وصلت إلى تلك الحالة بحبها ! غير أننا نتحدث هنا عن العشق و الغرام و ليست إحدى نزواتك ! نتحدث عن امرأة ترغب هدم الكون لتصبح زوجتك !! لكن —

و بعد أن هدأت فلن أحتمل أن يظن بك أحداً السوء حبيبي تساءلت

: لكن ماذا ؟

: هناك حقيقة واحدة مؤكدة أنها زوجة رجلا آخر ، و الرجل الذي نتحدث عنه ليس بسيط أو سهل ، أعلم أنك الأقوى لكنه هو زوجها ! و كريم ليس الرجل الذي سيتنازل عنها ، جميعا نعلم أنه فعل الكثير ليصل إليها ، حتى أنه تزوجها رغما عنها فقط لأنه يريدتها كما تريدتها أنت الآن !

: أنت قلتها رغماً عنها لكن معي الأمر مختلف ، هي تحبني و تريدني كما أعشقها و أريدها !

ابتسم بسخرية و هو يهز رأسه

: جيد جداً ، حقيقةً هي قصة عشق رائعة ياسين يعشق ايما و ايما تعشق ياسين .. صدقني هي قصة قد توازي قصص العشق و الحب بالروايات ، لكن لا تنسى أنه لازال هناك كريم ، و هو أيضا أمير بالرواية ، و إذا سألت أحداً ستكتشف أنك من يلعب دور الشرير بالحكاية !

أعلم إلى ماذا يلمح ، لكن ربح الغضب احتاجت بصدري

: توفيق !

: صدقني أنا لا أعني ذلك ، لكن ما أعرفه عنك جيداً و لتصحح لي إن أخطأت فالنساء بحياتك علاقات عابرة ، غير أن تلك المرة الأولى التي تقترب فيها من امرأة

غيرك ، أنت دائماً ترفض الفكرة ، و كل النساء المتزوجات التي توددن إليك قبلاً صددتهن ، و رغم أنك تطلق العنان لشيطانك بالكثير .. إلا بتلك ؛ تقول أن لكل شيء حدوده التي لا يجب أن نتخطاها ، حتى الأخطاء و المحرمات يجب أن يكون لها بالنهاية حدود لا يجب أن تنتهك ، فتخشي أن يجازيك الله بها في أخذك أو ابنتك اهتاج غيظي منه و صحت فيه بغضب

: أحقق خبرتك لا أريد منها متعة أريدها لي ، أريد أن أصحو من نومي لأجدها جوارى ، أريدها أم لأبنائي ، أريد أن تشيخ أيامي بجنة قريبها ، أحبها يا أحقق

: حسناً أقسم أنني أفهم ، لما لا تضع غضبك جانبا الآن ، و نرسو بشواطئ العقل و الفكر و نبتعد قليلاً عن بحار الحب و الغرام الهائجة !

: حسناً يا نصف عقلي أنا أستمع !

: يجب أن تفهم أن الأمر ليس سهل ، أنت أقرب لأن تطالب بالمستحيل ، أنت تريد أخذها من زوجها ، و هو ليس الخصم السهل رغم حماقاته ، إلا أنه يظل له ثقل ، لا يجب أن تستهين به !

انزعاجي بصدري ، حين نبهني لشيء كنت غافل عنه

: غير أن لديك المشكلة الأكبر من كل ذلك حتى أنها أكبر من كريم بحد ذاته !
و قبل أن أسأل بادرني

: سحر زوجتك المصون و ابنة عمك !

: ألم يخبرك أحدا بأن لي الحق بالزواج حتى الأربعة !

: لنكن واقعين هذا حَقك ، لكن لا أعتقد أن سحر سنتركك تتمتع بهذا الحق ، و بالرغم من أنها تعلم بعلاقاتك النسائية المتعددة ، لكنها لا تهتم ولا تكثرث ..أعتقد لماذا ؟

نظرت له و لم أجب فلا أعلم الإجابة ، فهي بكل علاقة لي تتعمد إخباري بطريقة أو بأخرى أنها تعلم ، إلا أنها لا تكثرث أو تهب غاضبة كما تفعل باقي النساء ...

: لأنها بالنهاية تظل وحدها زوجتك ، تظل وحدها من تمتلك ، و الأهم أنها تعلم أنها لن تتخطى كونها نزوة عابرة ، فهي توفن مثل الجميع أنك لم تسمع بالحب !
: إذن !!

زادت بسمته الخبيثة

: إن علمت سحر بأن هناك من تملأ قلبك و عقلك إلى هذا الحد ، بأن هناك من تحتلك و تستعمرك ، ستأخذك منها ستتعدى على ممتلكاتها و هي أنت ، أقسم أنها ستشعلها الحرب العالمية الجديدة !

: لا تخبرني أنها تحبني أو تغار لأجلي ، لأنها ستكون مزحة سخيفة هي لا ترجو إلا ما تريده ، و لا تهتم لشيء سوى نفسها .

: أعتقد أن من مصلحتها عشقك لا يما ! هو ليس حب لك يا صديقي ، و إنما هو امتلاك فأنت لها ، و لن تقبل أن تشاركها امرأة أخرى بك أو بثروتك فهي تتحمل ابنتك بمعجزة ! فما بالك بامرأة ستستولي على قلبك و عقلك !

حينها علمت أنني فاتني الجزء الأهم ! تنهدت بغصة لاحت بصدري ، و اتكأت بظهري إلى الكرسي خلفي و مسحت بباطن كفي وجهي بيأس بدأ يتسلل إلى نفسي ، و بنبرة تزداد غضب....

: صدقني لم أعد أعلم ، لكن كل ما أوقنه أنني أحبها و لا أحتمل البعد عنها ، إنني أريدها توفيق ، أريدها بأي وسيلة كانت و لن أتنازل عن ذلك أريد قلبها و عقلها ، أريد أن تهرم أيامي بأحضانها أريد كل ذرة منها لي وحيدي !

: فلتهدأ فقد تفنن الإنسان بتحطيم المستحيلات منذ بدأ الخليقة ، فمهما كان طريق المستحيل بعيداً فهناك دائماً سبيل للوصول !

و بنظرة مشاكسة و غمزه من عينه التي لمع بين أحداقها الخبث

: و أعتقد أنك بدأت رسم ذلك الطريق و حفره خطوة خطوة ، و لأنني أحفظك عن ظهر قلبي ، سأقول إن تلك الصفقة ستكون نهاية كريم ، و طريق وصولك لا يما ، أم أنني أخطأت الظن !!!

اعتدلت و أملت له رأسي ، فعلت ضحكته و بخبث

: يا الهي ... ذكرني أن أخاف منك !!

حينها ابتسمت و بادلته نظرتة الخبيثة ...

: تذكر فقط أن لا تتلاعب بشيء يخصني !!!!

بتعجب ، و رفع يده مستسلم ، فزادت بسمتي .

غادرت منزل توفيق و أنا أحادث نفسي عنك و عن كل ما يقف بيننا ، فلا يهم ما يكون أو من يكونون الا إنني سأفعل كل شيء كي أهدم كل ما يحول بيننا .

مرت بضعة أيام أخرى متقلبة بين شد و جذب يغزو عقلي و حياتي بقربك و غيابك ، و بأحد الأيام اتصل بي كريم و خبرني أن أعود باكرا تلك الليلة لأنه عيد مولدك ، و سيقم حفل بأحد الفنادق احتفالاً به و أيضا احتفالاً بحصوله على صفقة توسعات المصنع ، فأخبرته أنني سأفعل و هل لي أن أفوت احتفال عيد مولدك حبيبتي الذي كنت أعلمه مسبقا ! فقد أخبرتني ميس ، و قد اشتريت بالفعل هديتين لك ! إحداهما سأقدمها لك بالحفل ، و الأخرى سأقدمها لك بطريق غير مباشر حتى دون أن تعلمي أنها مني ! و بالفعل عدت باكراً أعطيت الهدية الأولى إلى سحر كي تعطيها هي لك و كانت طاقم ذهب مرصع بالماس ، أما الأخرى فقد حرصت على أن تصلك ! وصلنا إلى الفندق لم ترغبي باحتفال كبير فقط نحن شباب العائلة ، و ميس و بعض أقارب كريم المقربين .

بدأت السهرة كنت أجلس بمقابلك و بعد تقديم الكعكة ، أتى وقت الهدايا رفضت بالبداية قبول الهدايا فغضب أقارب كريم و اعتبروها إهانة لهم ، فأشار كريم إليك أن تقبلها ، فقبلتها قدمت لي لي هديتها و قدمت سحر هديتنا ، قدم الجميع انتظرت ميس حتى النهاية قدمت هديتها و أصرت أن تفتحها ، و بالفعل فتحت الهدية كانت قلادة من البلاتين صمم قلبها على شكل فراشة صغيرة تنام على زهرة متمثلة على شكل قلب ، يمسك بهما إصبعي السبابة و الإبهام ليد !

حين رأيتهما للوهلة الأولى فنتت بها ، أعجب بها الجميع حتى أن البعض سأل ميس من أين أتت بها ليتسنى لهم أن يأتوا بمثلها ؟ ابتسمت ميس و شاكستهم

: حين أعرف من أين أتت سأخبركم !

وقفت ميس و أصرت أن تلبسك إياه ، و أكدت عليك ألا تتزعيها عن عنقك مهما حدث ، و قبلت جبينك و احتضنتك بقوة كما طلبت إليها !!!!

بعد قليل أعلن كريم على الجميع حصوله على صفقة التوسعات ، و شكرني على ذلك و تمنى شراكة دائمة بيننا ، و تيمنا بذلك و احتفال بتلك الشراكة طلبت الرقص إليك ، بالبداية رفضت متعلقة بأنك متعبة قليلاً ، لكن بالنهاية قبلت الرقص بعد إصرار كريم لقبولك .

ذهبنا لساحة الرقص كانت بعيدة قليلا عن مجلسنا و الأضواء بها كانت خافتة و متقلبة ، و أعلم أنك كنت تتمنعين هروبا مني ، حتى لا تجمعنا معا لحظات وحدنا بعيداً عن الآخرين ؛ و كثيرا كانت تفيض بي أمواج الحيرة ، كنت و برغم كل شيء تعتريني لحظات من الشك بأنك لا تحبينني ، و بالرغم من أنك اعترفت بحبك لي ! إلا أن عنادك المستمر و كبريائك الذي يدفعك دائماً للهروب مني ، كان يدفعني كثيراً إلى حافة الشك !

حتى تلك اللحظة التي التقت بها يدي حولك ، و ذابت أناملك بين رحي كفي ، تلك اللحظة التي غرقت عيونك ببحري ، و سكنت أنفاسك صدري ، و حلقت يدك فوق كتفي ، حينها فقط شعرت بكل ما تحاولين قمعه داخلك ، كل ما تحاولين قتله بقلبك ! فكان كل ما بك ينتفض لي ، تخبطت أوصالك بين يدي و تسابقت أنفاسك لتحتل صدري ! تلك اللحظة التي انتظرتها دهورا ليصير شكي بك إيمان ، لحظة جمعتني بأنفاسي داخل قلبك فعبرت بي من جحيم الشك إلى جنة يقيني ، فعلمت لما دائماً تهربين بعيداً عني ؟ فكنت تخشين نفسك و أنتِ معي لم تكوني تخشيني أنا ، تخشين أن تتهار دفعاتك أمامي ! غريبة أنتِ حبيبتي تعقلين كل مشاعرك التي أصبحت مني ، حتى أنك تعقلين أنفاسك ودقاتك بقربي حتى لا أسمعها تنبض بي ! فإلى متى معذبتي سيكون كل ما بي داخلك رهن الاعتقال ؟ أنى لكى هذا الصمود معذبتي بثورة عشقي التي تجتاح أرجائك و تطالب بالحرية في حبي ! أنى لكى الصمود بوجه بركان يملأ أركانك لأجلي ! ظللت شارد بكِ إلى أن أعدتني من شرودي و غرقى بعينيك

.....

: لما تفعل هذا بي ؟

: و ماذا فعلت أنا الآن ! إنه من تقاليد العمل أن أرقص مع زوجة شريكي ، احتفالاً بالشراكة الجديدة بيننا ، غير أنه عيد مولدك كيف لا أحظى ببضع لحظات لأتمنى لك حياة سعيدة و عمر مديد حبيبي !

نظرت لي بصمت و عينيكَ ترتحل بالمكان هرباً مني ، فشاغبتك ...

: تلك أول مرة ألحظ أنك قصيرة !

نظرت نحوي و بدأ الغضب يعنليكَ

: ماذا ؟ أنا لست قصيرة !

حاولت تماالك ابتسامتي و زدتُ مشاغبتك

: بلى أنتِ قصيرة حبيبي فلا تصلين كتفي رغم أنكِ ترتدين حذاء بكعب عالي ! أم أنكِ ترقصين حافية؟

فزاد غضبك و تلعثمتِ

: أنا لست قصيرة ياسين ! أنت هو من أطول من المفترض به أن يكون !

حينها لم أحتمل فانفجرت ضحكاً

: لا تغضبي حبيبي ، فأنا أعشقتك حتى و أنتِ قصيرة !

خبطت كتفي بحركة طفولية و عفوية منك ، ثم صمتِ فهمست لكِ

: أنتِ الليلة خلابة ، و أوقن أن القمر لن يحتمل الصمود أمام عينيكَ !

لم تلتفتِ نحوي حاولتِ تجاهل كلامي ، و صوت أنفاسك كاد يعلو صوت الموسيقى ، عدت و اقتربت من أذنك أكثر

: أعلم أنك تحاولين لكن أقسم لك أنك لن تحتلمين الصمود كثيراً !

فالتفت إليّ بتعجب مما قلت ، فاستطردت لك

: توقفي عن الهروب ، أنتِ تحبينني و أنا أعشقتك و سأفعل أي شيء لتكونين لي !

رمقته بنظرة طويلة ، ثم أسبلت جفنيك

: ياسين لما لا تحاول أن تفهم أنا أخشى عليك ! هو لن يتركك تقترب مني !

: ليس أنا من يجب أن تخشي عليه مُعذبتني !

ابتسمت بدمعة لمعت بعينك

: ماذا ؟ مُعذبتك !

: نعم أنتِ هي مُعذبتني !

رفعت حاجبك ، و ببسمة عينيك التي تسرق نبضي

: أنا إذن هي من تعذبك ! فماذا تكون أنت ؟

: أنا حبيبك و عشق حياتك !

زاد صمت شفتيك ، وتعلقت عينيك بعيني ، فشاكستك

: دعيني أخبرك سراً لكن عديني ألا تخبري أحدا عن سري الصغير ، إلا أنه كبير

ككبر سحر البحر بعينيك !

: خبروني انك أكثر من يقسو النساء ، فكيف لشاعر مثلك أن يقسو !

: خبروك ! أميرتي الصغيرة تفتش عني ، لا تخبريني كم تعشقيني فأنا أعلم !

رفعت حاجبك و زادت بسمتك و بصوت هادئ شاكستني

: و أيضا قالوا أنك قلعة للغرور !

ضعت بين عينيك و ابتسامتك و يداي تحوطك و تحوط بكِ كل أحلامي

: لغيرك أنا ملك يري كل نساء الكون جوارى ، وبعشقتك أنا عبد يرضي بما تجود
عينيكِ مولاتي

تعلقت عينيكِ ببحوري ، و يديكِ ترتحل بكتفي تطفئ نار و تشعل براكين

: كيف لرجلٍ مثلكِ يملأُ صدى قوته الأرجاء أن يكون شاعر !

أطبقت بكفي على أناملك و أنا أقربها لقلبي

: ما كنت يوماً شاعر ! ولأجلكِ حفظت جبال الشعر ، و قصائد العشاق ، و سهرت
لقمر يفترش عينياكِ سماء ، و نجوم تتلألأ بليالي الكون حين يبتسم جبينك ، و سافرت
دون شرع في بحور الأشواق على أمل أن ألقاكِ ، حتى وان كان لقاء بالأحلام

: يا إلهي ماذا تفعل بي !!

: فقط أعشقتك حبيبتي !

حاولت الهروب بعينيكِ بعيداً

: لم تخبرني ما هو سرّك ؟

: أنتِ هي سري ، و أكبر ألغاز حياتي !

: صدقني هو لا يستحق أن تحارب من أجله ، لا يستحق أن تجازف من أجله ،
فقط اتركه يذفن ، اتركه يغرق !

: هي مسائل نسبية يراها كلا منا من وجهة نظره ، و أنا أراه سر حياتي ، أراه سر
يستحق أن أحارب الكون لأجله .

عدتِ إلى صمتك فعدتِ و شاكستك

: ما رأيك بسر آخر ؟

: كثرت أسرارك الليلة !

اقتربت إليك أكثر و أنا أقبض كفك إلى قلبي ، أحاول لملمة شتاتي المبعثر بأعتابك
.....

: حاولت اقتلاع قلبي كي لا ينبض بك .. فوجدت عقلي يعشقتك ! فمنعته عنك حتى
لا يهذي بك .. فوجدت عيني تهواك ! فأغلقتها كي لا أراك .. فوجدت روحي تمتلئ
بك ! ففارقتها كي أنساك .. فوجدت كل ما بي يشتهي لحظة بوصالك ! فقطعت
الوريد حتى أتوقف عنك .. فوجدت ظلي يطارد طيفك ! فسكنت قبوري طوعاً هرباً منك
.. فوجدت قبوري يهمس لي .. سأظل إلى أن أبعث على حبك ! فماذا عسى أفعل كي
أشفى منك !!

وقفت مكانك ، و كأن الدم تجمد بعروقك ، ثارت أنفاسك بركان ملاً صداه الكون ، و
همس قلبك فاق سحر شدة الطيور الغناء ، كل ما بك سكن عيني

: يا إلهي أي ذنب ارتكبت أنا حتى أجازى بك !!!!!!!

ملأتني الدهشة من ردة فعلك

: أترين أنني عقاب لك ؟

: كل هذا العشق لي .. ولا أجرؤ اقترابه ! هناك عقاباً أقسي من ذلك برأيك ؟ و هل
تُراني أستحق كل هذا العشق ؟

: آتيني بملاك غيرك يسكن أرضي و سأعشقها ؟

ظلت تنظرين لي بصمت سحرني أكثر من همسك ، و بعد لحظات شاكستني

: ألا تنتهي تلك المقطوعة الموسيقية أستظل تُعزف إلى ما لا نهاية ؟

: ستنتهي حين أريدها ! و لأنك بين يداي و أنفاسك بين ضلوعي ، فلا تأملني بهذا
الليلة ! و لا بألف ليلة بعدها !

ملئت عينيك الدهشة و نظرتي نحو الاوركسترا ، فلمحتِ طلعت يقف بالقرب منهم ،
فرمقتني بتلك النظرة اللامعة المشاغبة

: ألا يعبر الماء من بين يديك !

: إن كان هذا الماء سيحرمني لحظات بقربك فلن أتركه يعبر !

حينها أصررتِ على العودة إلى الطاولة ، لان هذا أصبح ملفت للنظر ، وجدتكَ محقة
قليلاً ، فقد أطلنا الرقص لذلك عدنا للطاولة ، كانت سحر و كريم ذهباً للرقص
بالطرف الآخر من الساحة ، و بعد قليل عادوا هم الآخرين ، جلسنا جميعاً نتجاذب
أطراف الحديث بين العمل و الحياة إلى إن انقض السهرة و انقضت معها إحدى ليالي
أحلامي الواقعية بك .

“ قلبي مستبشراً بك ؛ متحصناً بهواك ؛ فلا يرى غيرك و لا
يسمع نبضي سواك ؛ فعقلي مؤرخ بك ؛ و ليس لقلبي وطن
بعد عيناك ”

تمضي أيامي متناقلة ، خلا عن تلك اللحظات التي تجمعني بك من قريب أو بعيد فتمر كالبرق بلمح البصر ، أحاول التمسك بها إلا أنها تتسرب من بين أصابعي ، كما تحاولي أنتِ التسرب من حياتي ، إلا أن قلبي المخطوف مني و المحتجز بين ضلوعك ، يأبى المضي قدماً دونك و كيف له ذلك ؟ و هو حبيس عشقك ، معتقل بهواك وعقلي المفتقد مني بغربة ألقنتي بها عينيك لا يتزحزح عن التحليق بجنة قربك ؛ أحاول بكل ما أوتيت من قوة في هواك أن أستبقيك جوارى ، ليظل قلبي ظليل بعينيك ، مسقوف بعذوبة أنفاسك ، لتظلي قربي رغم بعدك لتخفني عن عقلي صراعات تكاد تفنك بي ، فقلبي محتجز بك !

تتقاذفني أمواجك ما بين غياب و حضرة لقياك ، فتهيج رياح اشتياقي إليك بغيابك قبل وجودك ، فكم يشتهي قلبي أن يهنأ بك ؟ و يتحرق شوقاً للغرق بعينيك دون بلوغ شط ، فعقلي يلوذ بك من قدرتي الذي بات يتلاعب بي ليقودني إلى محراب هواك ، كلما تقاذفته فيضانات البعد ، فلا يجد غير عينيك نجومه بليل موحش ، غير أنفاسك دليله بأيام معتمة ، أصبح عشقك هو ما يقودني بأيامي الباردة ، فصدري بات موصوم بغرامك !

عدت ذاك المساء مبكراً قليلاً بعد أن قضيت بعض الوقت بفيلا توفيق ، كمعظم ليالي حياتي ، دلفت إلى حجرة المكتب كي يتسنى لي رؤيتك قبل أن أخلد إلى النوم ، لكن قدرتي حرمني رؤيتك ، فكانت شرفتك مغلقة بإحكام ، فعلمت أنك لن تخرجي إليها ، و إما إنك خرجت و انتهيت من قراءة كتابك كعادتك كل ليلة قبل عودتي . صعدت إلى حجرتي لأخذ إلى النوم ، و أرجو ربي أن يرسل طيفك لحلمي ليمطر قلبي سعادة بك !

حين دلفت إلى الحجرة ، كانت زوجتي المصون لازالت مستيقظة ، اندهشت بعض الشيء فذلك لم يكن من شيمها ! توقفت لحظة بعد أن أغلقت باب الغرفة ، شردت أفكارني لحظات فهي لا تنتظرني إلا إن كانت تريد شيء ، أو تريد أن تتشاجر ، لكن

عقلي ينبئني بأنها تريد شيء ، فتوب النوم الشفاف المتألق هذا و رائحة عطرها الذي يفوح بالحجرة لن يكون لأجل مشاجرة

: مساء الخير .

بادرتها بها حين دخلت ، فابتسمت و هي تهم من مجلسها

: مساء الخير .. أعتقد أننا نحتاج لشيخ يقرأ عليك القرآن خوفاً من الحسد !

: و لماذا تحديداً ؟

زادت بسمتها و هي تجيبني بسخرية ، و تنتظر باتجاه الساعة

: عدت باكراً ، فهي لم تتخطى منتصف الليل بعد !

: إذن سأعود إن كان هذا سيسعدك ! فلا أرجو إغضابك حبيبي !

علت ضحكتها و بنظرة مشاكسة

: يبدو أنني هي من تحسدك الآن !

تقدمت بضع خطوات تجاهي و أحاطتني بذراعيها ...

: على العكس حبيبي ، هذا أكثر ما يسعدني أن تكون هنا إلى جوارى !

زادت دهشتي ، و أيقنت إما أن هناك ما تريده ، أو أن زوجتي فقدت عقلها.....

: هل كل هنا الدلال لي أنا ؟ أم أن حلمي بدأ مبكراً الليلة !!

رفعت حاجبها و بدأ الغضب يلوح بأحداقها فابتسمت و أنا ألف يداي حول خصرها و أقربها لي

: أمزح ، فقط أمزح حبيبي

هزت رأسها ، و حاولت تخطي تلك المزحة لأجل ألا تفسد ما تبغي ، و ابتسمت و هي تداعب شعري بأصابعها ، و تزيد القرب مني ...

: أتعلم أنني أشتاقك كثيراً الليلة ، ألم تشتاق لي ؟

الآن بدأت أخاف ! و خاطبني لسان حالي (ما مدى صعوبة ما تريدينه ؟)

: بالطبع حبيبتي أشتاقك ؛ و كيف لي ألا أفعل !

نزعت عني سترتي ، و أجلسنتي إلى حافة الفراش ، أمعنت النظر بعيني و هي تمسك ببداي و تلف بهما خصرها ، اقتربت مني حتى أصبحت لصيقة بصدري ، قبلت ثغري بعذوبة لا أعهد لها ، ثم راحت تفتح أزار قميصي واحداً تلو الآخر ، أناملها تسبح بصدري ، ثغرها متلهف ليرتوي من عنقي .. حينها راود عقلي سؤالاً لم يراوده قبلاً سؤال لم أفكر به قط ، لكنني حاولت التغاضي عنه ، حاولت إلهاء عقلي بأن أسلمه لفيضان شهوتي لها ! فلازلت زوجتي و لازلت أبتغيها !

لكن العجيب أنه كلما زاد توددها زاد عبثه بي ، كلما تقربت مني زاد جموحه و اشتعاله بعقلي ، وبعد لحظات ، و حين كانت غارقة هي بإغوائي ، و غارق هو بالركض بين أفكاري ، أطلقته من عقلي....

: أتحبيني ؟

توقفت عن الحراك لحظات ، و كأن سؤالي صدمها أو شيء ! رفعت وجهها عن عنقي ، و التفت يدها حولي ، و أناملها تداعب خصلات شعري ، و برفعت حاجبها صعقتني

: أنت زوجي ، و ابن عمي ... فلما أكرهك !

حسنا توقعت إجابات متعددة ، لم يكن العشق أو الحب أي منها بأي حال ، لكن تلك فكانت مدوية ، حقيقةً أوقفت الدم بوريدي ، أحسست بها صفة على وجهي حتى أن

أنفاسي توقفت لحظات بين شهيق و زفير ، هبطت على رأسي جليد أفقدني توازني و أفقدني معه النطق ، فلم أجد ما أتنفس به ، فقط عيناى معلقتين بأحداقها الهادئة المبتسمة و كأن ما قالته من أبجديات الغرام مثلاً!!!!!! حتى أنها عاودت إثارة شهوتي ، و كأن شيء لم يكن ! وحين تداركت ذاتي و أنا غارق بصدمتي منها

: ألن تسأليني إن كنت أحبك أم لا ؟

: كلا فأوقن أنك تحبني .. و مهما حلقت بعيداً عن سمائي ، فإنك تعود لي فأنا هي زوجتك ، و حبيبتك ، و كل ما تبغي !
ثم اشتعل غرورها بأحداقها و هي تقول

: غير أنك إن جُبت الأرض من مشرقها لمغربها فلن تجد من تضاهيني بجمالي أو بأصلي ! أو حتى تتحمل أفكارك الشرقية الرجعية التي عفى عليها أزمان !! (سي السيد)

صمت لم أقل شيئاً ، فقط ابتسمت من هُقي لأنه خُيل لي أنها ستقفوه بشيء قد يُرضيني ! لكن كل ما قالته كان كفيلاً بأن يُعكر صفو النيل من منبعه !

لكنها لم تتوقف عني ، و ظلت تغزو جسدي ، و لأنني أصبحت لا أبتغيها ، إلا أنني لم أستطع رفضها أيضاً ! أطفئت الضوء و تركتني لها ، حينها تساءلت بدهشة ، وهي تضيء النور الخافت

: أنت أطفئت الضوء !

رددت باقتضاب

: أنت دائماً تطلبي ذلك فما الغريب ؟

: الغريب أنك لم تكن راضياً بهذا ، و بالمعتاد لا تطفئه الآن !

: جيد أعتقد أنني أريده مطفى الآن ، و إن كنت تريديه فلنتركه !

أطفأته ، كانت تتودد إليّ و عقلي يحتدم به الصراع ، لا أعلم لما غضبت من إجابتها إلى هذا الحد ؟ لعلّي كان بصدري بصيص من نور أن تجذبني إليها ! أن تتجيني من غرقي ببحرك ، لعلّي تأملت بأن تأخذني إليها و تعود بي من ضياعي و غرّيتي بهواك ، كم أنا أحمق فهي لم تفعلها منذ تزوجنا فهل أأمل بها الآن ؟ و كل ما بي غادرنى إليك ، لكنني تأكدت تلك اللحظة أن قدرى لازال يخلق بوجهي كل السبل و لا يترك لي سواك ، أعلم أنه قد يكون سبيل هلاكي إلا إنني لن أترشح عنه ، فما بيدي حتى أن قدرى لا يقبل بسبيل غير سبيلك !

أخذت تغتالني يداها ، فتركت العنان لخيالي بك ، فتبعث شيطاني و هو يمرح بعقلي و طيفك ! فتصورتها أنت من أعتليها ! لم يكن هذا مرضي لي إلا أن هذا كافيا لي شعلي ! و بعد أن هدأ شيطاني ، و خمدت نيرانى لك ! أضأت النور الخافت مرة أخرى و اعتدلت إلى جانبها بجواري و هي تلتف بغطاء الفراش الخفيف ، فأغمضت عيني و اعتدلت إلى جانبي ، ألقيتها خلف ظهري ! فوضعت يدها على جانبي بدلال

: ياسين حبيبي .

بالمرة الأولى لم أجبها ...

: ياسين ... هل استغرقت بالنوم سريعاً هكذا !

: أعتقد ذلك

ضحكت بصوت منقطع ، و هي تميل فوقي

: حسناً ... هل لحبيبتك أن تطلب شيء ؟

حينها علت ضحكتي بالغرقة .. فتساءلت بدهشة ...

: لماذا تضحك هكذا ؟

: لا شيء.. فقط كنت أتساءل حبيبتي ... متى سأدفع ؟

اعتدلت بجلستها و بصوت بدا غاضب

: ماذا تعني يا ياسين ؟

: لا شيء ، لا تهتمي ، ماذا تريد الآن أريد أن أغفو ؟

تخطت ما قلته ، فلن تتشاجر الآن ، فلم تفوز بعد بما تريد

: أريد أن نساfer أوروبا هذا العام .

: أوروبا .. لماذا ؟

عادت و مالت ناحيتي و برقة أعلمها

: مالت حبيبي ، أريد أن نساfer معاً ، نسترخي و نتسوق ، نحظى ببعض الوقت للاستمتاع ، بعيداً عن كل هذا الملل الذي يقتلني !

اعتدلت قليلاً و بابتسامة متعجبة

: ملل ! تشعرين بالملل ! كل تلك الحفلات و النوادي و التنقل من شرم إلى الغردقة و تشعرين بالملل!

لاحت عاصفة غضبها بالأفق

: نعم ملل يا ياسين ثم ماذا بها أريد السفر ، الجميع يفعل هذا و أنا أريد قضاء بعض الوقت بأوروبا ، ثم لماذا الأموال إن لم نستمتع بها ! و أنا لم أذهب إليها منذ قضينا شهر العسل بإيطاليا و هذا كان منذ سنوات !

: لا أعتقد أن هذا سيكون بالإمكان في الوقت الحالي لنؤجلها لوقت آخر .

: و لما ليس الآن ؟

اعتدلت بمجلسي بالفراش ، محاولا تمالك ثورتي ، فالوقت متأخر على أن يسمع أحدا شجارنا ، غير أنني لا أرغب به

: لدي الكثير من الأعمال بالشركة و المصنع ، لن أفرغ قبل مدة !

: هذا أنت دائماً ما يُبقيك مشغول ، و لا تهتم لي و لا لشيء يخصني !

قبضت على كفي محاولا تخطي تلك الليلة

: سنبداً العمل بتوسعات المصنع خلال أيام ، و تلك الصفقة الخاصة بالشركة لن أستطيع الذهاب و ترك كل هذا خلفي ، غير ضغط جدك من ناحية و والدك و أعمامك من ناحية أخرى ، فماذا يجب أن أفعل؟

عادت و مالت ناحيتي و قد انقلبت تعبيرات وجهها مائة و ثمانين درجة ، و وضعت يدها فوق صدري و برقة صوتها الهادئ

: لا تغضب حبيبي ، إن كنت لا تستطيع الذهاب معي ، فلما لا أذهب أنا وحدي و

حيـ

و قبل أن تكمل انتفضت من مخدعي ، و أمسكت يدها بقوة أمتها

: هل فقدت عقلك ، أم أنك تتعاطِ شيء لا أعلمه ؟

: ماذا هناك حبيبي ؟ ما بها يا ياسيـ

أطبقت على معصمها بقوة أكبر تأوهت لها

: سحر ، حبيبتي لما لا تخلدي للنوم الآن لأنه يبدو أنك تحتاجينه !

: حسناً ، فقط لا تغضب .. لما لا أذهب أنا و لي لي ؟

هممت عن السرير واقفا و يكاد عقلي يشد منها ، فضربت جانبي بقوة ، بدلا من أفقد عقلي و أضربها هي ، و كم كنت أشتهيها ، و أنا أصبح منها ساخرا

: هذا جيد .. بدلا من أن أترك زوجتي المصون بأوروبا ، تقضي بضعة أسابيع للاسترخاء و الاستمتاع و التخلص من الملل وحدها تكون زوجتي و أختي ! هل فقدت عقلك ؟

هزت كتفيها ببراءة أشعلت غضبي أكثر

: لا تغضب .. فلتأتي أنت معي نستمتع معنا !

: جيد و لما أغضب ! سأترك عملي و أذهب مع الأميرة لأنها تشعر بالملل !
جن عقلها و صاحت بي

: إذن أسافر وحدي ، و ما بها فنساء كثيرات يسفرن دون أزواجهم ، لما لا تتوقف عن ذاك التخلف الشرقي و راجعيتك المتحـ

هنا اكتفيت و قبل أن تكمل حرفاً آخر أمسكتها من شعرها ، وسحبته عن الفراش إلى الأرض ، فهربت دماؤها و انتفضت رعباً ، و أكاد أفتك بها ، كان كلي قد فاض سخطاً و غضباً منها تلك الليلة ، و إن لم يكن ربي ألهمني صبراً جعلني أمسك بخيط واحد من عقلي كنت قتلتها و انتهيت ...

: تلك المرة الأولى التي يعلو صوتك بها أمامي ، و أقسم أنها ستكون الأخيرة أتفهمين !

هزت رأسها إيجابا دون أن تتفوه شيئاً و بنظرة حادة و نبرة هي تعلمها جيداً

: أم بالنسبة لشرقيتي المتخلفة ، و راجعيتي المتحجرة .. فأعدك أنك سترينها واضحة كالشمس في كبد السماء ، سترين ماذا سيفعل ذاك المتخلف بك !

ثم دفعته بقوة إلى الفراش و كنت قد وصلت لنقطة الغليان منها...

: اخدي لنوم الآن ، و إلا أقسم بمن خلقك ، و كباني بك ! أن أجعلك تتامين نومتك الأبدية التي لا أحظي بعدها بطلتك

انكمشت في الفراش و الرعب و الهلع يملأ وجهها ، و تدثرت بالغطاء و هي تنتفض من أسفله ؛ جلست إلى الكرسي المقابل لها ، و أنا أحاول تمالك غضبي و عبور تلك الليلة التي زادت عواصفها ، و علت أمواجها حتى أغرقتني ، و راحت تدفعني للبحث عن شاطئك !

ذهبت إلى حجرة المكتب ، ووقفت بضع دقائق أمام النافذة ، متعلق كالغريق بشرفتك لعلها تتجيني من غرقي ، ليلوذ بك عقلي من دوامات القدر التي تتقاذفني بقوة تكاد تفتك بي ،جئت أبحث عنك ، أفتش عن أمانى بعينيك ، أستشعرك حولي تحوطي قلبي بذراعيك ، تهدئي لوعتي و تغمريني بحنانك ، أتيتك هرباً من كل شيء ، لأدفن بين رحاك أحلامي المحترقة ، وأتبرأ من موتاً في حياتي قبل أن أولد بين يديك و أنفاسك من جديد ! فأويت إلى الأريكة و أسلمت روحي لربي ، ارتميت بين أحضان قدري مستسلماً له و لك ، أغمضت عيني ، و أسلمت قلبي لحلما يطوف بأرجائي ، لأمل يفيض بي بلقياك ، ليجتاحني بك و يعيد ذاتي يعيد لملتي يعيد تكويني !

تمر أيامي متناقلة ، فغيابك عني يجعل كل شيء موحش ، يجعل كل لحظاتي مرعبة وموجعة ، من دونك أشعر الغربة تتمكن من كل أركاني ، مضت تلك الأيام على بصعوبة ، فعقلي ومشاعري كانت مرهقة كثيراً و أنا أحاول التوفيق بينهما لأجلك ، لأجل أن أستطيع الصمود أمام جفائك الموحش لي ، حين فاجئني كريم

بزيارة بدون موعد مسبق لمكتبي ، و الأغرب من الزيارة هو سببها !! حين دخل
طلعت مكتبي ليُخبرني أن كريم بالخارج و يلح بمقابلتي فتمالكت دهشتي ، و وافقت
مقابلته .

رحبت به ، فجلس قبالة مكتبي ، و سألته بهدوء متعمد ...

: لا أعتقد أن هناك موعد مسبقا بيننا !

: لا ليس هناك موعد ، و أعتذر عن حضوري دون موعد ، لكن أعتقد أن الأمر لا
يحتمل التأجيل !

بدأت تعطيني الدهشة فعلا ...

: ما الأمر ؟

: ياسين ، أنت تعلم أن تلك الصفقة مهمة كثيرا بالنسبة لي !

: وقد أصبحت بالفعل لك ، يومين فقط و يتم توقيع العقود !

: نعم ، و أشكرك كثيرا على تلك الثقة بي ، لكن –

ثم صمت قليلاً ، فبادرته بنظرة منتظرة ، واستطرد قائلاً ...

: هناك عائقاً بسيط

: عائق ... أي عائق هذا ؟

زاد توتره كثيراً ، و بدأت يديه تططق على المكتب ...

: كما خبرتك هو شيء بسيط ، و سأتكفل به ، لكن فقط أطلب مهلة بضعة أيام قليلة
حتى أتكفل به

نظرت له و أنا أستند إلى ظهر كرسي ، ممسكاً بذقني ، وكان يدور الكثير بذهني ، لكن أكثر ما أثار دهشتي ، و أثار الكثير من الأسئلة بعقلي لما أتاني ؟ لما لم يلجأ لجدي ؟ فأنا آخر من يلجأ إليه إن كان حقاً لديه مشكلة ! فتاريخنا معا يجعلني آخر من يطلب منه المساعدة ! آخر من يطرق بابه ! فوضعت حيرتي جانبا ، و تساءلت ...

: هل لي أن أعلم ما هو هذا العائق ؟

: ليس بالشيء الهام ، فقط أمهلني بضعة أيام ، وسيكون كل شيء مُعد حسب الاتفاق بيننا .

نهضت من الكرسي ممسكاً بمكتبي ، و ملت نحوه و بهدوء فاتر ...

: أعتقد أن صفقة كبيرة مثل تلك يجب أن تكون مستعد لها جيدا قبل أن تُقدم على التورط بها .

بدأ بالتعرق ، و تلجلجت منه كلماته ، وهو يحاول القول ...

: ياسين ، لا تقلق أنا مستعد جيداً ، وكل شيء مُعد حسب الاتفاق .

تحركت نحو النافذة و استدرت بوجهي نحوه ، و تساءلت باستهجان

: لماذا لا يبدو لي ذلك ؟

: على العكس كل شيء بموضعه الصحيح . فقط أمهلني بضعة أيام يا شريكي !

بنظرة أحاول طمأنته بها ، حتى يفيض لي بما يسير داخله ...

: أكيد ، لك كل ما تريد شريكي ، لكن ليس قبل أن تخبرني ماذا يحدث ؟ و ما هذا

العائق الصغير ؟

: هو شيء لا يستحق أن أسرق من وقتك أكثر من هذا لأجله !

جلست إلى الكرسي المواجه له و بنبرة قاطعة ...

: كريم لا اتفاق قبل أن أفهم ماذا يحدث ؟

: مشكلة صغيرة تخص المال

بادرته بنظرة قلق و تهيدة غير مطمئنة لما هو آتى ، فاسترسل مسرعاً وهو يحاول أن يهدأ الوضع الذي بدأ ينقلب ضده ...

: كلا أرجوك ياسين ليس بهذا السوء هو فقط شيء صغير .

: المعروف أن وضعك المادي مستقر ، و تستطيع تنفيذ تلك الصفقة ، أو على الأقل هذا ما خبرت جدي به !

: هو كذلك بكل تأكيد ، فقط عثرة صغيرة ، هي قطعة أرض تخص ايما أحاول بيعها حتى يتسنى لي البدء بقوة كما تعلم ، ليس أكثر .

انتفض قلبي بين ضلوعي حين أتى على ذكر اسمك ، حاولت تمالك أنفاسي أمامه....

: كل شيء جيد ، فقط المشتري سيحضر بعد بضعة أيام ليس أكثر .

: ستبيع أرض زوجتك لتعزز وضعك المالي فقط ؟ أم أن وضعك المالي سيقوم على بيع تلك الأرض ؟

: كلا وضعي جيد جداً ، لكن فقط أحتاج زيادة قوته ، هي لايمافهي لي ، ثم أنها لا تحتاج تلك الأرض بأي حال من الأحوال !

: إذن هي ستكون أيضا شريكة بمكتبك الهندسي !

هم واقفاً و بضحكة ساخرة ...

: ما الذي تقوله ياسين ، كلا هذا لن يحدث لن تشارك بأي شيء ! ثم إنها زوجتي ، فأنت لا تعلم كم أحبها و كم تعشقني ايما ، و ما تمتلك هي أمثلكه أنا

: و أنت زوجها و حبيبها و ما تمتلكه أنت هي تمتلكه أليس كذلك !

ابتسم لي بخبث عينيهِ ، تقدمت إليه خطوة و بابتسامة لا تقل خبثا عنه ...

: هذا بالطبع دون أن يكون هناك أوراق أو عقود تقول بأنها تمتلك ، فالحب وحده يكفيها عقد بينكما !

و بابتسامة تقول هذا كريم الذي أعهده

: لكن بالطبع بعد بيع الأرض ، و دمج أموالها بالمكتب الهندسي ، كل الأوراق تقول أنك وحدك من يمتلك ، رائع هو الحب أعتقد أنني سأغير وجهة نظري به !

زادت بسمته ، و لمع خبثه بعينه فشاكسته

: كريم .. لما لا تعلمني هذا الحب !

: أتريد أن تخبرني أن أموال سحر ليست تحت يدك !

: أعتقد أن أموال سحر تحت يدي ! إن كانت أموال أحدنا تحت يد الآخر فلن تكون سحر فحقيقة أن رصيد زوجتي يتضاعف بكل عام حتى كاد يتخطى رصيدي الشخصي !

: دعني أخبرك إذن أنك أحمق يا شريكي لا تترك بيدها شيء حتى تظل ممسكا بها بين يديك ، لا تدعها تمتلك حتى تظل متحكما بها ، فلا تفلت من قبضتك ، أنا لن أترك ايما تفلت من يدي مهما كلفني !

تعلقت عيني بقبضته و هاج ضيق بصدري فأعلم أنه يفعل كل هذا لتظلي سجينته لكن هل سيوقفني هذا عنك ؟ ابتسمت بضيق و أنا أنظر إليه ...

: أعتقد أنني سأجرب طريقتك في الحب يا شريكي !

: إذن بمقابل تلك النصيحة العاطفية ، لن يكون هناك ضرر من بضعة أيام شريكي !

شرد ذهني بشيء ما ، ثم انتبهت لشرودي فبادلته الابتسامه

: حسناً .. لا ضرر من بضعة أيام أخرى .. شريكي !

: لا أعلم كيف لي أن أشكرك على هذا يا ياسين .

ابتسمت و أنا أمسك بقلمى و أقلب بأحد ملفاتى متظاهراً بمراجعته ...

: لا أعلم من منا يجب أن يشكر الآخر ! فقط احرص أن تكون جاهزاً حين يأتي

موعد التوقيع على العقود .

: بالتأكيد . فكل شيء سيسير حسب المخطط له .

غادر مكتبي فاتكأت إلى ظهر كرسي و ألقيت بالقلم من يدي ، شردت بكل ما دار

بيننا ، فأدركت ما يخطط له يريد كل ما تمتلك تحت يده حتى تظلي بقبضته ، و هذا

لا يعني سوى شيء واحد انه يوقن أنك لا تحبيه و لن تحبيه يوماً ، و كيف لكي و

هو يجبرك على كل شيء ؟ و الأهم أنه موقن بأنك بأول فرصة ستتركينه ، و لذلك

يريدك و كل ما تمتلكين بقبضته حتى لا يتسنى لك الفرار منه ، حتى لا يكون لك ما

يقويك بوجهه ! غير أنني شككت كثيراً بمسألة وضعه المادي ، فإن كانت أموالك فقط

للتأكد من سيطرته عليك فلما تأجيل توقيع العقد! و ظلت تتقاذفني أمواج أفكارى بما

قاله و ما ينوي ! فوجدتني أهاتف طلعت وأطلب منه أن يأتي مكتبي

!!!!!!!!!!!!!!.....

مر يومين على زيارة كريم .. أراك من حين لآخر ، كل شيء هادئ و مستقر ، خلا عن غضب زوجتي التي كانت لازالت حانقة من تلك الليلة بيننا ، و المضحك أنها من شكنتي لجدي و أبيها لكن هذا هو المعتاد كلما رفضت إحدى حماقاتها التي لا تنتهي ، لكن تلك المرة خبرتني عمتي أن عمي سيد كان غاضب كثيراً ، حين أخبرته أنني جذبتها من شعرها و أنني كدت أضربها ! لكن جدي سألها لما فعلتها ؟ لما كدت أضربها ؟ فصمتت فأقسم لها أنني إن كنت فعلتها دون سبب منها لي نزل بي عقابه ، أم إن كانت فعلت ما يستحق ثورتي فلن يقتلع رأسها غيره ! فحنت وجهها أرضاً ، و اتهمت جدي بانحيازه لي ! حينها نهى جدي عمي عن الحديث معي ، و لأن عمي يعلم ابنته صمت و لم يحادثني بشيء ، رغم كل خلافاتنا معاً ، إلا أنني لا أنكر أنه يستمع لجدي و لصوت عقله الذي يعرفها و يعرفني حين يتعلق الأمر بما يخصني و هي .

اتصل بي توفيق لنتقابل ككل ليلة طلبت إليه الحضور إلى القصر ، فلم أكن أرغب بالخروج ، على أمل أن أظفر برويتك ، فقد مر يومين لم أراك بهم ! و بالفعل أتى جلسنا قليلا مع جدي ، فجدي يحبه كثيرا و يعتبره من العائلة و خاصة أن علاقة جدي بعائلته قديمة و قوية ، و ظلت مترابطة حتى بعد وفاة والده ، و انتقال كل شيء إلى أدهم أخيه الأكبر الذي كان يدير جميع أعمال عائلته ، و التي جزء منها يشارك به جدي ، لكنهم كانوا دائمي الخلاف ، فأدهم يريد أن يترك حياة السهر و النزوات و يؤسس مستقبله ، كان يريد أن يتحمل مسؤوليات العمل ، و يشارك بأعبائه ، فهو كان يريد الأفضل له من وجهة نظره الخاصة ، و كان جدي يحاول الضغط على توفيق لذات السبب ، بعد قليل دلفنا إلى الحديقة الخلفية للقصر المطلة عليها شرفتك .

دائماً ما نحبذ و هو الجلوس أرضاً ، فجلسنا قرب حوض السباحة ، و حينها اتخذت
جلسة تمكني من رؤية شرفتك ، حتى يتسنى لي الارتواء بك إن دلفت إلى الشرفة
.....

: أستظل عيناك معلقة بتلك الشرفة !

بادرني بها توفيق بابتسامة مشاكسة ...فتهدت

: هذا مكانها المفضل ، قد تخرج إليها ، فأنا لم أراها منذ يومين الآن !

: ليسوا كثيرا هم فقط يومين !

: لك هم يومين ، و لي هم دهرًا ، ليل طويل ، لا يريد أن ينتهي بإشراقه من وجهها !

ابتسم و هو يرفع طرف عينه ناحية شرفتك

: ألهذا الحد أنت مشتاق إليها ؟

: هذا ليس شيء هذا فقط ما أستطيع قوله ، ما يمكنني أن أجد حروفا لوصفه ، أما

الذي بداخلي ليس هناك على الأرض ما يكفي لوصفه ، لا يوجد كلمات تضاهيه !

: ماذا تتوي أن تفعل ؟

أملت رأسي و عيني معلقة بمدخل شرفتك

: أي شيء لكي أحظى بها ، لن أترك لها سبيل إلا و سأحرص أن ينتهي عندي ،

هي تعتقد أنها تستطيع الهروب مني ومن حبها لي !

: لما لا تتركها ؟

اعتدلت بمجلسي و أنا متعجب و ثائر مما قال

: ماذا ؟ أتركها !

أمسك بكتفي و بصوت هادئ

: يا صديقي أنا أقول لما لا تتركها تحاول ؟ وتحاول أنت الآخر الهروب منها ؟

: ماذا تقول أنت !

اقترب مني و بنبره من يخشي عليا من مجهول

: أقول أنني أخشى عليك و أرفق بك مما هو قادم ! إن ايما تفعل الصواب بالابتعاد عنك ، ومحاولاتها الهروب منك ، ومن عشق كتب عليه أن يظل سجيناً بينكما ! كُتب عليه أن يظل معتقل دون أن يعلم أي ذنبا ارتكب و بأي عقابا يجازى ! أعتقد أنك لابد أن تساعدنا وتحاول أنت الآخر فعل هذا ! و تجنب كلاكما مصير لا يعلم نهايته سوى الله وحده !

ابتسمت بضيق

: أعتقد أنني لم أحاول ، أعتقد أنني لم أفعل كل شيء حتى أنتزعتها من داخلي ، حاولت بكل الطرق اقتلاعها من داخلي ، حاولت كثيرا انتزاع هذا الحب الذي يملئني منها ، وبكل مرة كنت أهرب منها ، كنت أجدني بين يديها ! كل طريق أخطو به هربا منها كان ينتهي بعينها ! صدقني كلما حاولت الهروب من جحيم اشتياقي لها أجدني أسير بجنة أشواقي لأنفاسها ! يبدو أنني كما قُلت عني أصبحت معتقل بها و لها فقد هزمني عشقي لها !

عادت بسمته تغزو تقاسيم وجهه و هو يعتدل إلى جانبه ، ليكون وجهه مقابلا لوجهي ، و الأهم مقابل لغرفة لي لي !!!! ...

: ساحرة هي ايما ! حولتك من رجل يرى كل النساء شهوة ومصالح ، لفنان أو شاعر غارق بعشق امرأة ملئت روحه حتى العنان ، حولتك لمشتاق فاض الحنين بأرجائه ،

معلق قلبه بشرفة قد يمر طيفها بها ، فيرتوي شوقاً بنظرة خاطفة منها ، قدر ما
ستطفئ من لوعة اشتياقه قدر ما ستشعل به نار الحنين !

زادت بسمتي و أنا أرى عينه هو الآخر معلقة بشرفة لي لي .. فشاكسته

: عن من منا تحكي يا صديقي ؟

فانتبه أين ارتحل و أخذته رياح الأشواق ، فابتسم متلثم

: عنك أنت ، بالطبع أنت هو المتيم هنا !

اعتدلت بجلستي ، و أنا أنتقل بعيني بينه و بين شرفتك ، و أعتقد أنه قد حان الوقت
ليكشف هو الآخر عن سره فيكفيني صبراً حتى الآن .. فعاودت مشاكسته ...

: نعم فأنا متيم بعشقٍ داخل روعي معتقل سجين و قلبي معلق بشرفة ! ولكن يبدو
أني لست وحدي المعتقل هنا ! أم يجب أن أقول لست وحدي المتيم المعلق بشرفة !
بدأ يتقلقل بمجلسه و يطفو عرقه بجبينه ...

: ماذا تعني ؟

نظرت إليه بصمت ، نظرة وحده من يقرأها .. فحاول الصمود

: هل توقفت عن النظر لي هكذا ! فحقاً لا أفهم ماذا تعني ؟

: أعتقد أنني تركتك بما يكفي ، على أمل أن تتحل عُقدة لسانك وتتنطق وحدك !

: انطق بماذا ياسين ؟ عن ماذا تتحدث ؟

: أتريد حقاً أن تلعب تلك اللعبة معي ؟ إلى أي مدى تعتقد أنني أحمق حتى لا أعلم

ماذا يدور بينكما دون علمي ؟

حينها أحنى رأسه أرضاً و هو يتتهد

: يا الهي ، ياسين ، أنا —

اقتربت منه وبغضب بدأ يركض بجموح نحوه ، و رغم أنني ألتمس له العذر ، إلا أن هذا لا يغير من أنه كذب عليّ ، كان يلتقيها دون علمي

: أنت ماذا يا صديقي ؟ أنت ماذا يا نصف عقلي ؟

ثم صحت فيه بغضب و أنا أمسك كتفه بقوة

: أنت ماذا يا أخي الذي لم تلده لي أمي ؟

أحكمت قبضتي بكتفه و بنبرة ثائرة ...

: أنت عاشق لأختي !!

: ياسين أقسم أنني كنت سأخبرك !

: متى يا صديق عمري ؟ متى كنت ستخبرني أنك تقابلها دون علمي ؟

: أقسم أنني حاولت مئات المرات إخبارك ، لكنني خشيت منك ، من تلك النظرة ، خشيت أن تعتقد بالأمر سوء !

:والآن ماذا تُراني أعتقد عندما كذب كلاكما عليّ ؟

فأمسك بذراعي ، و هو ينظر نحوي

: لم نكذب عليك ياسين ! فقط كنا ننتظر الوقت المناسب ، الذي يصلح أن نتحدث حول موضوع مثل هذا !

: ومتى كان سيأتي هذا الوقت من وجهة نظرك ؟

تتهد بصمت و نظر باتجاه شرفتها .. فأدرت عينيه إليّ

: أكنت تعتقد أنني لن ألاحظك كما لاحظتني ! كل هذا التغيير بك ، تحاول الإقلاع عن الشرب ، أنهيت أكثر علاقاتك النسائية ، تحاول حل خلافاتك مع أدهم ، تبحث عن الدعم من الجميع ، و أولهم جدي ، حتى أن توفيق أصبح الآن يحاول خلق عمله الخاص ، الذي تبدأ وتنتهي كل خلافاته مع أخيه لاستهتاره وعدم رغبته بتولي مسؤولية شيء ، و أعتقد أنه لم يكن من الصعب تخمين من هي صاحبة اليد السحرية بتغيير حياتك الجامحة ونقلها إلى حياة هادئة !

أمسك يدي ، و عينه معلقة بي

: أنا أحبها ياسين ، أقسم لك لي لي ليست نزوة لي أو علاقة عابرة ، وأنت قولتها تغيرت لأجلها ، تغيرت كي أستحقها ، وكي أرضيها !

: أعتقد إن شككت للحظة أنك تتلاعب بقلبها ، كنت لتكون واقف أمامي الآن !

استرسلت له ...

: إن تجرأت يوما على أن تخذلها أو تكسر قلبها ، فلن يقتلع قلبك غيري وصدقني لن يشفع لك عندي دهر من صداقتنا يا أخي ، هل أنا واضح بما فيه الكفاية لك !

: أعدك أن هذا لن يحدث ، أفعل أي شيء لأجل سعادتها .

ثم توقف لحظة و سألني بدهشة

: كيف علمت بما يدور بيننا ؟

: أهذا كل ما يهم كيف علمت ؟

: على الأقل بالنسبة لي ، يقتلني الفضول يا صديقي !

: ليلة عيد مولد جدي بالممر الجانبي للقصر !

أغمض جفنيه و هو يرفع يده بوجهي

: يا الهي لا تخبرني أنك رأيتنا !

اعتدل و ابتسمت و أنا أرفع له حاجبي

: حسنا لم أراك مع أختي ، لم أراك تقبلها ، و تضمها إلى صدرك ، و تتقرب منها ،
لا لم أرى كل هذا !!

فاعتدل فجأة

: ياسين !

: ماذا ؟

: كيف رأيتني أقبليها ؟ لقد كان الممر مظلم ، و كنا بأخره تقريبا قرب فيلا كرى—

رفع رأسه فجأة و خبط كفيه بقوة و كأنه أمسك صيد ثمين

: أحقق أنا .. أنت لم ترانا ندخل إلى الممر ، أنت كنت بالممر ، أنت الآخر كنت
هناك ، فلا يتسنى لك رؤية كل هذا إن لم تكن حاضرا هناك ! و بالتأكيد لم تكن
وحدك ؟

رفعت يداي و أنا ألوح له بابتسامة حانقة

: لا تحاول قلب الطاولة !

: أنا لا أحاول يا صديقي ... أتعلم لماذا ؟ لأن كلانا يجلس إلى نفس الطاولة ياسين

كلانا عاشق و أنت تعلم هذا ؟

ضربت على كتفه بغیظ

: هذا لا ينفى أنك خنتني !

: كلا لم يحدث أنا أحبها ، و هي أختك و ليست زوجتك !

: فعلتها دون علمي !

: حسنا لا أنكر أنني أخطأت بتلك ، لكن أنت لم تكن تعترف بالعشق ، لم تكن لتفهم كم أحبها ، و أحاول إرضائها هي عنيدة مثل أخيها ، و أنا لم أخبرك إرضاء لها ، فلتضع نفسك بمكاني أنت تحب ايما و تحاول أن ترضيها بكل الطرق ، حتى و إن فعلت ما لا تقتنع به أو تريده لكنك تفعله لإرضائها ، و أختك صعبة الإرضاء ! ما كان بيدي سوى أن ألبى رغبتها فهي تخشاك كثيراً ، و لا أنكر أنني كنت أخشى عاصفة غضبك أنا الآخر .

هزرت رأسي

: لا أريدها أن تعرف شيئاً عن كوني أعلم ما يدور بينكما !

: لا أفهم لما لا ستسعد كثيراً إن علمت أنك تعلم ، فلا تعلم كم يؤرقها أنها تخفي عنك !

: لا تسأل كثيراً فقط لا تخبرها أفهمت ؟

أوماً برأسه بالموافقة ، و حين أمسكت بكوب العصير و رفعته لفمي لأرتشف منه ، رفع حاجبه و شاكسني

: حسنا كما تريد ، فأنت خال أبنائي ، فلك كل ما تريده فقط لا تغضب .

انقضت من مجلسي و ارتد العصير من حلقي فأغرق ثيابه و ثيابي ، فهم للعودة للخلف و هو ينفذ ما ارتد مني على ثيابه ، اقتربت منه و هو يعود برأسه للخلف.....

: ما بك يا ياسين ماذا ؟ أفقدت عقلك ؟

: ماذا قلت ؟

أشار بيد و الأخرى يحجب بها وجهه عني ...

: ماذا تفعل يا ياسين تمسك ببعض من عقلك ، أنا هو المجنون أم أنت العاقل !
ظل يتراجع حتى بدأ يتمدد ظهره إلى الأرض ، و أنا أقتربت حتى بدأت أجتو فوقه
.....

: خال ماذا !!!!!!!!!!!!!

اصطدم ظهره بالأرض و هو يحرك يديه بتعجب

: ماذا حين نتزوج سننجب و تكون أنت خال أبنائي !

رفعت حاجبي و لازلت أقترب منه أمسكت لياقة قميصه بقبضتي فشاغبني بجدية
.....

: حسنا اهدأ يا صديقي إن لم ترغب بأن ننجب نهائيا فلن ننجب ، ماذا سنفعل
بالأطفال ! سنقتني الكلاب و القطط حتى ليسوا مكلفين ، فقط لا تغضب و تحتفظ
بيدك بمكانها

أحكمت قبضتي على لياقته و أنا أهز رأسه إلى الأرض فأمسك يدي بيديه و هو
يبعدها عن عنقه

: هذا حين تتزوجها بالمستقبل ، حينها بالمستقبل سأكون خال أبنائك ، سأكون ،
سأكون توفيق أفهمت ! إن اقتربت منها سأقتلع رأسك و عائلتك جميعاً ، أفهمت ؟
أمسك يدي بقوة يريد تقبيلها ، و هو يشاكسني

: أقسم أنني أتحدث عن المستقبل ، أو تعلم أقبل يديك ياسين ، لم أعد أريدها لا الآن
و لا بالمستقبل ، احتفظ بأختك أو تعلم شيئاً فلم أعد أرغب بالزواج و من ناحية
الإنجاب اطمئن فلن أنجب بعد اليوم

اعتدلت عنه ، ثم اعتدل بمجلسه بمحاذااتي فاقترب مني و همس لي بمشاكسة

: أختك كانت ترغب بأطفال كثيرة !حين نتزوج أعني بالمستقبل ، على اعتبار ما كان سيكون لا يهم

فزادت بسمتي منه ... فوضع ذراعه حول عنقي و مال نحوي

: لكن أعتقد بعد بيت الرعب هذا الذي أدخلتني به منذ لحظات ، فأرجوك أن تبلغها ألا تعلق أمالا كبيره على ذلك بعد الآن ! أخبرها أنني سأشتري لها كلبا و قطة و لا نتحدث عن هذا الأمر ثانية !

علت ضحكاتنا بالحديقة ، ثم بدأنا نتدافع بمزاح حتى بإحداهم دفعني بقوة إلى حوض الاستحمام ، فابتلت كلي ، أخذ يعتذر عن كونه كان يمزح و لم يقصد إسقاطي بالحوض ، فتظاهرت بأنني تخطيتها ، و حين مد يده كي يخرجني جذبته بقوة إلى داخل الحوض ، حينها غضب فأخبرته أنه من بدأ و عليه أن يحتمل نتيجة فعلته ، رغم غضبه إلا أنه كان يقفز فرحاً في الماء لأنني بتُ أعلم كل شيء يدور بينهما و حينها غمرتني سعادة ملأت صدري ، فلم أرغب سوى بسعادة أختي ، و أراها تحييا مع الشخص الذي يريده قلبها ، و الذي ملأني فرحاً أن هذا الشخص رجلا أثق به ، و أعلم أنه سيعتني بها و يحميها .

و ما زاد سعادتني تلك الليلة حين رفعت عيني وجدتك تقفين بالشرفة ، كنت تبتسمين بشدة من مزاحنا ، حينها نبهني توفيق أن لي لي و سحر يقفان بشرفة لي لي ، حتى لا أظل معلق عيني بك ، حينها أتت جنا و قبل أن ألوح لها بأن لا تقفز بالماء خوفاً عليها من أن تمرض قفزت ، فهي تعشق اللعب مع توفيق و معي و ظللنا نتدافع بالماء ثلاثتنا بعض الوقت ، و كم كنت أحتاج تلك الأمسية لترفه عن ذاتي ، و أنعم ببعض السعادة و لو ليلة واحدة ، فلم أعلم قبلها ما تعني كلمة الجنة ! لكن علمت حين اجتمع كل من أحب حولي ! توفيق صديقي و لي لي أختي و جنا ابنتي ، و

أنتِ عشقي و كنتِ تبترسمين لي لم تتواري عني لم تتجاهلين بلي كنت تتظرين لي و
تضحكين فماذا أطلب أو حتى أتمنى أكثر من هذا !

باليوم السابع من زيارة كريم الأولى ، كنت بمكتبي عندما اتصل بي يود
مقابلتي لأمر هام ! تلك المرة لم أكن مندهش ، فأعلم سر الزيارة !
لكنني اقترحت عليه ألا نلتقي بالمكتب ، و نلتقي بفيلا توفيق ليلا و قد رحب بهذا
الاقتراح فهو يرغب بالتقرب مني لأدعمه ، و بعد أن أنهيت المكالمة اتصلت بتوفيق
و خبرته أنني دعوت كريم إلى فيلته ، و طلبت إليه الاتصال به و دعوته هو الآخر ،
و بالفعل نفذ لي رغبتني . و قبل الموعد المتفق عليه ذهبت إلى توفيق أولاً
: هل لي أن أعلم ماذا يجري تحديداً ؟

تساءل بها توفيق حين دلفت إلى بيته ، فابتسمت و شاكسته.....

: لا شيء .. أريد منك أن تسدي خال أبنائك معروفاً !

: أي شيء لخال أبنائي ، اطلب ما شئت يا صديقي !

: اجلس إلى جوارى أريد أن أتحدث إليك قليلاً !

فجلس إلى جوارى و هو ينصت لي باهتمام تحدثنا قليلاً قبل وصول كريم !

؟؟؟

بتمام التاسعة وصل كريم على حسب الموعد المتفق عليه ، هم توفيق لاستقباله رحب به بحفاوة ، أدخله إلى الحديقة حيث كنت أجلس .

و حين دلف إلى هناك كنت أجلس بالكرسي المواجه لمدخل الحديقة ، كنت متشوقاً كثيراً أن أراه و هو مُقبل ، تقدمت خطواته نحوي و أنا أمعن النظر به ، و قد رأيت به ما كنت أتوقعه و أتشوق لرؤيته ، و شتان بين خطواته تلك المرة و المرة الأولى التي أتاني بها بالمكتب ، فحين جاءني كريم للمرة الأولى كان متماسك و يحبوه الأمل ، خطواته مغرورة كعادته الا أنها واثقة ، أم تلك المرة فخطواته مهزوزة ، مترنحة فاقدة الاتزان ، و كانت خيبة الأمل تملئه ، فكان خالي الوفاض تماماً !

فهمت واقفا حين اقترب من مقعدي ، و مددت يدي لمصافحته

: بموعدك تماما ... كيف الحال شريكي ؟

: بخير .

أطبقت على يده بقوة .. فشاكسه توفيق و هو يشير إليه بأن يجلس

: ما بك كريم ؟ هل تشعر بالمرض أو شيء ما ، فلا يبدو على الإطلاق أنك بخير !

حينها نظرت لتوفيق

: توفيق توقف عن إزعاجه ، تلك المرة الأولى التي يجلس بها معنا ، ألا يجب أن ترحب به أفضل ؟

ابتسم توفيق و ربت على كتفه

: فقط أطمئن عليه ، و هو دائما مرحب به في بيته فليتصرف كما يشاء !

ابتسم كريم بضيق و هو ينظر إلى توفيق

: لا من شيء ، أشكرك على السؤال توفيق أنا بخير .

ثم نظر لي و بتردد

: كنت أريد أن أتحدث معك بشأن توقيع العقود .

فأعطيته كأس و ربت على كتفه بابتسامة

: لا تقلق كل شيء معد حسب الاتفاق ، و ستصبح شريكا رسميا بعد يومين من الآن ، تهاني مقدماً شريكي .

: حسنا ياسين لا أعلم كيف أقولها لكن كنت أرغب ببضعة أيام أخرى !

عدت إلى الخلف و مسحت بباطن كفي على رأسي

: كريم -

: ياسين فقط أمهلي أسبوعاً خر و ساعد كل شيء أعدك

: سألتني من قبل وأعطيتك ! والآن بيننا اتفاق و يجب أن تفي بجزئك منه !

: أعلم .. وأعدك أنني سأفعل فقط أمهلي أسبوع آخر !

: إذا كنت لا تستطيع إتمام الصفقة ، فقط أخبرني وسأعفيك من أي اتفاق بيننا !

: كلا ما الذي تقوله ! ياسين أنا أحتاج تلك التوسعات ! أرجوك !

: إن علم جدي أنك تواجه المشاكل فهل تعتقد أنه سيتم تلك الصفقة ؟

مسح بباطن كفه تعرق جبهته ، و هو يضع كأسه إلى الطاولة

: ياسين

و قبل أن يقول شيء

: أنت تعلم جدي هو ليس متساهلا مثلي ، هو من الطراز القديم ولن يقبل بأي من
تخبطتك تلك ! وأنت تعلم هذا جيدا فهو لا يضع العلاقات بالعمل !

: كلا ليس هناك من تخبط

ثم التفت إلى توفيق ...

: توفيق هلا ساندتني هنا !

اعتدل توفيق بمجلسه

: فليخبرني أحكما ماذا يحدث تحديدا ؟

التفت إلى توفيق

: لديه عائق بتجهيز المال ، جاءني وطلب مهلة لحل عائقه و أعطيته ، و تحملت
اللوم من جدي لتأخير بدء التوسعات ، و الآن يطلب مهلة أخرى ! و إن وافقت أنا
فلن يقبل جدي ، تلك آخر فرصة لك إن لم توقع في خلال يومين فلن تكون لك !

زاد يأسه ، و نظر إلى توفيق

: فقط أسبوع آخر ليس أكثر !

فنظر له توفيق و بنظرة جادة

: كريم لنكن واقعين .. إن لم تحل عوائقك من قبل في كل تلك الفترة قبل عقد الصفقة
و بعدها و الأسبوع الذي منحك إياه قبلا ! فهل ستحله في سبعة أيام !!!!

رفع كريم يده غاضباً

: توفيق أريدك أن تدعمني لا أن تقف ضدي !

سألته بقلة اهتمام

: كيف صار بيع الأرض ؟

أسند ظهره إلى الخلف و قد اعتلاه اليأس تماماً

: لم تتم الصفقة .. لا أعلم ماذا حدث ؟ أكاد أجن ! تنازل المشتري قبل ساعات من توقيع العقد !! أمهلني أسبوعاً أجد مشتري آخر

نظرت له بابتسامة ساخرة ، أشعلت غيظه أكثر

: في أسبوع واحد بالسعر الذي تريده أليس هذا مستحيلاً !

: لا أعرف ماذا أفعل هذا ما بيدي ! يكفيني ايما و غضبها فهي لا تريد أن تبيعها، و تريد الاحتفاظ بها فهي آخر ما تبقى من والدها !
تساءل توفيق متعجباً.....

: أي أرض تلك ؟

: أرض تمتلكها ايما بالصحراوي سأبيعها لتعزز وضع المادي !

: أقلت أنها بالصحراوي !

: نعم

: كم تبلغ مساحتها ؟

: تقريباً مائة ، و تزيد قليلاً

اعتدل توفيق بمقابلة كريم و باهتمام شديد

: حسناً أنا أبحث عن قطعة أرض لأقيم عليها مزرعة للخيل ، و سيدخل ياسين شريك
معي أنا بالأرض و هو بالمال !

انتفضت من مجلسي

: ماذا ؟ انتظر توفيق من قال أنني وافقت أن أدخل شريك معك ؟

: أنا قولت ثم من قال أنني أسألك رأيك ! أنت صديقي و يجب أن تدعمني !

ثم عاود النظر إلى كريم

: لكن واقعين أنا لن أتحمّل تكلفة شراء الأرض بالكامل فهناك تجهيزات كثيرة ، لذلك سأشتري أنا نصف الأرض خاصة زوجتك ، و نقيم عليها مزرعة للخيل ، و تكون زوجتك الشريك الثالث هي بنصف الأرض و ياسين و أنا بالنصف الآخر و المال .

ثم صمت لحظة و هو ينقل النظر بيني و بينه ، كان كريم مستغرق باقتراح توفيق ، حينها ضغط توفيق كتفه و بنظرة أكثر جدية

: و بذلك نوفر لك ثمن نصف الأرض الآن و نقداً ، و أعتقد أنه مبلغ ليس صغير و سيدعمك بالوقت الحال ، غير أنك ستتجنب غضب زوجتك فستظل نصف الأرض لها و أيضا ستكون شريك بتلك المزرعة ، و هو بالمناسبة مشروع مريح و سيقدم لك دعم مالي مستمر ، غير أن ياسين سيقدم لك بعض التسهيلات بشأن التوسعات التي ستديرانها ، فأنت تعلم بمجرد توقيع العقد بين المصنع و مكتبك الهندسي سيكون كل شيء بيده ! فما رأيكم بهذا الحل !

هممت واقفا و تركتهما خلفي ، ثم التفت إليه و لازال يفكر

: أنت مجنون توفيق ، أعتقد أن هذا لن ينجح أنا لا أحبذ مسألة المشاركة تلك

و قبل أن أكمل هم كريم واقفا ، تقدم خطوة حتى أصبحنا متقابلين قال بنبرة قاطعة

.....

: أنا موافق بهذا الحل

ابتسم توفيق ، حينها نظرت إلى كريم

: لا أعلم أعطيني يومين أفكر بالأمر ؟

هم توفيق واقفاً تقدم خطوات ، وقف بيننا أمسك كتفي

: ياسين هيا المسألة بسيطة لا تحتاج تفكير ! مدام ايما ستكون مالكة فقط ، و نحن
و كريم ستكون لنا إدارة كل شيء !

: لا أعلم لست متأكدا

و قبل أن أكمل أمسك كريم بذراعي و بنظرة غريق تعلق بقشته

: لأجلي ياسين إن كنا سنوقع عقود المصنع بعد يومين ، فلنوقع عقود المزرعة غداً

حينها تنقلت عيني بينه و بين توفيق ، ثم نظرت لتوفيق

: أعتقد أنك ورطتني للتو لأجله ، صديق من أنت !

ابتسم توفيق و ربت على كتفي

: فقط أحاول إرضاء الجميع يا صاحبي ، فما المشكلة ما دمنا سنخرج جميعاً فائزين !

أملت رأسي مستسلماً بالموافقة فزادت بسمة كريم و أمسك كتف توفيق و هو يقبل
جبينه بسعادة

: أنت هو منقذي توفيق !

ثم تقدم إلى الطاولة ، و أحضر كوؤوسنا بعد أن ملئها ، أعطى كلا منا كأسه

: هذا الكأس لأجل شراكتنا و مستقبل أراه منذ الآن مشرقاً، غداً سيكون لنا

و بعد إن ارتشف كلا منا من كأسه ، بادره توفيق بشيء لم أتوقعه ...

: احرص على أن توافق زوجتك و الا ستخسر كل شيء!

علت وجه كريم ابتسامة خبيثة

: دع هذا لي هذا أبسط شيء ! لا تقلق شريكي أعدك أنها ستوقع لك غدا وكلا منا سيصل إلى مراده!
فابتسمت

: ليس لدي أدنى شك بأنني سأحصل على ما أريد يا شريكي ، مهما كلفني الأمر ومهما تطلب مني ! السؤال الأهم هل ستصل أنت ؟

: بالطبع

جلس قليلا ثم استئذنان بالمغادرة لأن لديه ما يشغله ، حينها شاكسه توفيق

: إلى أين شريك هل ستنام مبكرا ؟

: كلا ، فلدي موعد هام !

: لا تخبرني أهي جميلة ؟

: يجب أن تراها توفيق كي تحكم ، إلا أنها قد تفقدك عقلك !

هم توفيق واقفا ، و تعلق بذراع كريم

: هيا بنا أغلق الباب خلفك يا ياسين حين ترحل !

علت ضحكت كريم و زادت بسمتي

: اجلس توفيق سأقدمك لها لكن ليس الليلة ، فالليلة لي أنا !

ابتسم توفيق و هو يجلس و ينظر نحوي

: حسنا لا بأس سأنتظر دوري لكن احذر أن تمسك بك زوجتك !

: إن أمسكت سحر بياسين ! ستمسك ايما بي !

رفعت له حاجبي ببسمة هادئة فهم توفيق واقفا ليوصله إلى الخارج

: حسنا هذا يؤكد نظريتي بأن الزواج من أسوء ما تم اختراعه بكافة العصور ، يا لكما
من مسكينين ، أعتقد أنني سأظل هكذا حتى لا يمسك بي !
فنظر كريم نحوي و هو يخاطبني

: أخبره أنه لا يفوته شيء هام ، فجميعنا نركض وراؤهن ثم بالنهاية نركض هربا
منهن!

: لا تقلق خبرته سابقاً !

علت ضحكته و هم مغادراً .

؛؛؛

غادر كريم ، رافقه توفيق حتى سيارته انتظر حتى مغادرته ، و حين دخل كنت
أجلس إلى الأريكة أكمل كأسي ، فنظرت له بابتسامة استفزته
: أهلا شريكي !

: نفذت لك كل ما طلبت ، و لعبت دوري بإتقان ، كل ما خططت له قد حدث هل لي
أن أفهم الآن !!!!!!!!!!!!!

أشعلت سيجارة ، و رفعت قدمي إلى الطاولة ، أسندت ظهري إلى الخلف ارتشفت قليلا
من كأسي ، و شرد عقلي بزيارته الأولى و ما يَرتب له فقررت اقتناص الفرصة !
لاحظت لي فكرة الشراكة بيننا فقدر جنونها إلا أنها انطلقت بعقلي كفرس جامح لم
أتمكن إيقافه ، قد تزيد قريب مني و قد تزيد من تشابك أقدارنا و تجمعنا معا ، صحيح
ليس بالشكل الذي أريده ، لكن أي قرب منك تحت أي مسمى هو كافي لي بالوقت
الراهن ! فكل خطوة ستقربني منك ومن أحلامي بكِ أو حتى أوهامي كما كنت تطلقين
عليها دائما ، هي مرضية لي ، ثم انتبهت لتوفيق و نظرت إليه مبتسما

: ماذا تريد أن تفهم تحديداً ؟

: لما لم تخبرني أنك من أفسد بيع الأرض ؟ و كيف فعلتها تحديداً ؟ و ما قصة
مزرعة الخيل تلك منذ متى و أنت تهتم بالخيل أو بهذا النوع من المشاريع ؟

هممت واقفا أمسكت به و أجلسته إلى الكرسي و جلست إلى حافة الطاولة مواجهها له
، كان يصغي لي باهتمام شديد و أنا أفرغ له ما رتبت

: حسنا إفساد صفقة البيع تلك لم يكن مُعضلة ، و قد اهتم بهذا طلعت ، بعيدا عني
تماما فلم يأتي ذكر اسمي بها من قريب أو بعيد ، وفر صديق لنا للمشتري قطعة
أرض أخرى ، بمكان هو يريده بسعر مناسب ، و حرص ألا يعلم كريم عن تراجع
سوى قبل ساعات من الموعد المتفق عليه حتى لا يمكنه البحث عن مخرج آخر و لا
يكون له سبيل غيري . أما المزرعة فقد بدرت إلى ذهني حين علمت أنها تحب الخيل
، و هذا سيكون مشروع مناسب لأرض بالصحراوي بتلك المساحة و أنا لا أكثرث
للمشروع بحد ذاته ، كل ما أريده أن تصبح ايما شريكتي بأوراق رسميه موقعة بيننا ،
أوراق شراكة الأرض ستوقع باسمك و اسمها فقط ، و أوراق شراكة المزرعة ستوقع
بيننا نحن الثلاثة ، ثم بعدها ستبيع أنت لي نصيبك بالأرض دون أن يعلم أحد ،
وتظل شريك بالمزرعة و إن لم يعجبك ذلك ، حينها تبيع لي نصيبك بالمزرعة ، و
أيضاً دون أن يعلم أحداً ، هل هذا واضح !

أوما برأسه ... فوضعت كفي على كتفه

: هذا من ناحية سيقربني منها و يجعل الحديث بيننا شيء طبيعي إلى حد ما ، و من
ناحية سيزيد من الفجوة بينهما ، لأنه أخبرك أنها تريد الاحتفاظ بالأرض و هو
سيبيعه لنا ، و يجبرها على ذلك أنا متأكد ! و الأهم من ذلك سيورطه بصفقة
التوسعات و تلك لها تخطيط آخر ! بصفقة المزرعة تلك سيكون كريم قبل ايما بيدي
أفهمت !

ثم هممت واقفا و هو لازال يصغي

: ثم ما مشكلتك أنت لن تدفع شيئاً ، أنا من سيدفع كل شيء ، و اسمك فقط سيوضع بالعقد ، غير أن تلك الشراكة بيننا سترفع من أسهمك أمام جدي ، لأنه سيعلم أنك جاد بتغيير حياتك ، كما قلت أنت سنخرج جميعاً فائزين !

هم واقفا وهو يضحك بسخرية

: هذا بالطبع لن ينطبق على كريم !

جلست إلى الأريكة ، فوقف توفيق أمامي و سألني باهتمام

: هل تعلم ايما بما تدبره ؟

: أفقدت عقلك ، بالتأكيد هي لا تعلم شيء !

: أتعقد أنها ستقبل ؟

: أتعقد أنت بأنها ستقبل ؟

فرك لحيته و رفع حاجبه

: كلا هي لن تقبل ، بل ستفعل المستحيل حتى لا يحدث ما تريده !

: أعرف كم هي عنيدة ، لهذا السبب لم أدع لها اختيار !

!!!

غادرت أنا الآخر فيلا توفيق لكن عائداً إلى المنزل ، فقد اكتفيت بكِ دون نساء الأرض ، غير أنني حاولت قبلاً استبدالك و فشلت !

دلقت إلى سيارتي و شرد عقلي بكل ما حدث منذ زيارة كريم الأولى لي ، و كل ما خطت له ليعود لي ثانية خالي الوفاض ، فقد حرصت أن تغلق بوجهه كل الأبواب حتى لا يبقى أمامه سبيل آخر سواي فلا يجد باب سوى بابي ليدقه !

ولأنني أعلمك ، أعلم أنك ستفرضين ، أكثرت عليه تلك الليلة من الضغط و وضعته قاب قوسين أو أدنى من وهم يطارده بالشراكة بيننا و منك ، و لأنني أعلم أنه لن يتوانى عن فعل أي شيء حتى يحصل على تلك الصفقة ، وسيدفع أي ثمننا لأجلها حتى و ان كان أنت! حتى و إن كان سيسلبك شيء تكثرين له ، و أعلم أنك معذبتى ستفرضين بكل ما أوتيت من قوة تلك الشراكة بيننا ! فأنتِ هي التي تحاول الهروب مني بكل الطرق ، كيف لكي أن تقبلي ما يقربك مني و لو كانت ورقة ؟ لهذا ضغطت عليه بكل قوة حتى استنزفت منه أي قدرة على ترك خيارا لك ، أعلم أنه سيجبرك على القبول فلا أمل آخر أمامه ، ولا أمل لي لإجبارك غير ذلك ، تلك المرة الأولى التي أمسك بأول طرف لخيط يقربني منك لذلك أمسكته بكل ما أوتيت من قوة ، فلن أتركه يفلت مني ، و سأفعل كل شيء و أي شيء لأجل أن أصل إليك ! و هذا فرق العشق بيني و بينه هو يفعل أي شيء ليصل إلى ما يريد حتى و ان كان الدفع بك أنت ! و أنا أفعل أي شيء لأصل إليك أنت !

وصلت إلى البيت و لازالت رياح الأفكار تتقاذفني ، دخلت إلى المكتب و قفت بالنافذة و عيناى معلقة بشرفتك ، أكاد لا أحرك جفناً من شدة الترقب و اللهفة لأراك ، كنت أرغب بأن أرى آخر خيط لأمل زائف تلهثين وراءه و هو ينقطع بيديه ، كنت أريد أن أرى آخر سراب أحلامك يتلاشى من رجل لم يعشق يوماً قلبك مثلما عشقتك أنا ، رجلاً إن عشق يوماً فيك شيئاً فقد عشق امتلاكه لك ، و مع أول زلزال أصبحت أنتِ أول ضحاياه ، كم تمنيت تلك الليلة أن أرى يأسك منه فيضان يجتاحك ، أن أرى عيناك غارقة بخيبة الأمل منه ، و أنفاس الخذلان بصدرك تتعال ، فقط أردت أن تري آخر شرارة بشمعة الأمل في إصلاحه تخمد ، شمعة احترقت آلاف المرات من كثرة صفعات الخذلان و خيبات الأمل !

عقل رهن العقل

أنا المُصيرُ فيكَ ، العاصي بكِ و بكل يقين ،
المُلحد بكل نساء الكون نُونكِ ، العابد
بمحراب هواك ، ليس لي حياة سوى عشقك ،
فبغيابكِ يمتزجُ أقصى الشك بكل يقين ، أنتِ لي
قبلةٌ ، و عشقكِ دستورٌ و دينٌ .

باليوم التالي جئت إلى مكتبي ، لا أكذبك القول لم أتوقع تلك الزيارة ،
لم أتوقع أن تدفعك ثورتك إلى أن تأتيني ، أتيت و كنت تثورين غضباً و حنقاً ضدي
، أعلم أن ثورتك لم أكن وحدي السبب بها ، أعلم أن خيبة أملك به هذه المرة كانت
أكبر ، أعلم أن صفة الخذلان منه كانت أقوى ، أعلم أنني قد أكون سبباً ، لكن من
داخلك أنت تعلمين أن تلك حقيقته التي ترينها كالشمس واضحة أمامك ، و لكن
تحاولي فقط تجاهلها ، و كل ما فعلت أنني أجبرتكم أن تواجهين ما تحاولين إنكاره ،
و جزاء لذلك يجب أن أواجه عاصفة غضبك معذرتي ! و صدقا كم أعشق أن أراك و
أنت غاضبة ، كم يثيرني غضبك هذا ، يشعل بداخلي بركان اشتياقك فأشعر و كأنك
طفلت المدللة ، كم يهواك قلبي حين تدلي غاليتي ، فتدلي صغيرتي كما يحلو لك !
دخلت إلى مكتبي و كنت غاضبة ، و بصوت غاضب ...

: أريد أن أقابل ياسين بك ... الآن .

مديرة مكتبي ...

: عفوا ... فياسين بك لديه اجتماع هام ، لا يمكن

: أنت هي مديرة مكتبه ؟

: نعم ... فقط تفضلي بالجلوس و حين ينتهي الإجتمـ

: أخبرتك أريد أن أراه الان !

فترامى صوت مشاداتك و هي إلى مسامع طلعت فخرج ليبرى ماذا يحدث

: ماذا يحدث هنا ، ما تلك الضوضاء ؟

أجابته بقلق ...

: عفوا أستاذ طلعت ... لكن المدام تصر على مقابلة ياسين بك و هو باجتماع هام ،

و لا سلطة لي أن القاطع اجتماعه ، هو أمر بذلك .

نظر لك ، فوجدك متوترة و يبدو عليكِ الغضب فحاول تهدئة الوضع ...

: حمقاء ، الهانم ليست ممن ينتظرون ، فهي شريكة ياسين بك ، بأي وقت تحضر به فقط أبلغيه بوجودها ، هل هذا مفهوم ؟

: كما تأمر ، أسفه كثيرا لا أعلم !

: عفوا ايما هانم على سوء التفاهم ، فهي جديدة و لا تعلم من أنت !

: أريد أن أراه الآن

أماء لك ، و بابتسامه هادئة ...

: بالطبع ، فالأوامر متى حضرتي دخلتي ، لحظة واحدة سأبلغه بحضورك .

دخل طلعت إلى مكتبي و تعاليه نظرة جادة و بنبرة متوترة ...

: عفوا ياسين بك على المقاطعة

: ماذا هناك ، ألم أخبرك لا أريد أن يقاطعني أحد !

: أعتذر منك بشدة ، لكن أمرا هام لا يحتمل التأجيل

: كل شيء يحتمل التأجيل

فمال طلعت وهمس لي

: إنها مدام ايما هنا و تصر على مقابلتك الآن و يبدو أنها غاضبة

وجدتني أبتسم حين أخبرني بما حدث بالخارج ، كم أعشق تلك القطة حين تنثور ...

: أدخلها .

نظرت لهم و أنا ابتسم منك ، و بنظرة خاطفة ...

: أعتذر منكم ، فلنؤجل هذا الاجتماع قليلا أيها السادة .

دخلت إلى المكتب و كنتُ لازلتُ جالسا، و حين رفعتُ رأسي نحوك و رأيتكِ وأنتِ تخطين نحوي ، اعتدلتُ بجلستي و اتكأتُ بمرفقي إلى المكتب ممسكاً بذقني ؛ خلاصة أنتِ حبيبتي ، هذا الجمال الصارخ بكِ رغم هدوئه ، تلك الثقة التي تعتليكِ دائما ، تلك الأنوثة الساكنة بكل خطوة منك ، الساكنة كل حرف بقصيدتكِ حبيبتي ، كل شيء بكِ مميز ، كم تجيدين اختيار الألوان الهادئة التي شرق فقط حين ترتديها أنتِ ، ساحرة أنتِ عشقي بكل ما فيكِ ، و حين تلاقت عيني و عينيكِ ، التي تمتلئ غضبا وجدتُني أبتسم أكثر ، فنهضت من مكاني و اتجهت نحوكِ فهمت لكِ

: مشرقة كعادتكِ فماذا أقول ؟

نظرت لي و لم تقولي شيئا فاسترسلت لكِ ...

: يبدو أن نجم حظي بارتفاع !

وقفت و وجهكِ الممتلئ غضبا مقابل لناذرة ...

: ماذا تحاول أن تفعل يا ياسين ؟

وقفت صامت بضع ثواني خلفكِ ، أتأملكِ .. فقط أتأملكِ .. أتأمل شعركِ الذي دائما تُللمي خصلاته لأعلى ، كزهرة نائمة لم تفتح أوراقها بعد ، و رائحة عطركِ تتسلل إلى أوردتي ، و حين التفتي إلي .. همست لكِ متعجبا ...

: أعتقد أنني أحاول أن أرحب بكِ !

: ما الذي تحاول أن تصل إليه ، إلام تخطط ؟

: عن ماذا تتحدثين ؟

أخذتني تعضض شفتيكِ غيظاً ، و تتظري لي و كأنكِ تريدين أن تتفجري بوجهي ...

: أنت تعلم جيداً عن ماذا أتحدث !

حقاً استمتعتُ باللعبة أكثر فتماديتُ بها ...

: صدقاً ... لا فكرة لدى !

لم أستطع منع نفسي من الابتسام و أنا أرى كل هذا الغضب يملأ قطتي المشاكسة ، تلك الثورة بكِ كانت تخلق بنفسى متعة لا أعلم مصدرها ، لكن ما أعلمه أنني كلما كنت أبتسم تزيد ثورتك ، فوجدتني أبتسم أكثر لثوري معذبتى أكثر ؛ فعقدتني حاجبيك ، و بنبرة تكاد تنفجر منك غضباً ...

: ما الذي يجعلك تبتسم هكذا ؟

نظرتُ بعينيك ، و داعبتني أفكارى ، هل أزيد من مشاكستك أم أهدئ من ثورتك ؟ فوجدتني أميلُ نحوك و أهمس لقلبك ...

: أو ليس وجودك كافي لجعلي أبتسم ؟ ألا يكفينى أن تكونى هنا كي تمتلئ روجى فرحاً ؟

احمر وجهك وتخبطت منك نظراتك خجلاً ، و هدأت قليلاً ثورتك ضدى ...

: أتحدث عن تلك الشراكة التي أفتعته أن تكون بينك و بينى !

شبكتُ ذراعى و أنا أضممهم لصدري ، و كم كنت أتمنى لو أنى أضمك أنت لقلبي و اتكأتُ بظهري إلى المكتب خلفى ، و أنا أهز كتفى ...

: هي ليست فكرتى أنا ، هي اقتراح ألقاه توفيق فتمسك به كريم ، فما ذنبى أنا ؟

: وهل لي أن أصدق أنك من لعب دور البريء هنا ؟

: شئت أم أبيت تلك الحقيقة ، أتانى بمشكلة في تمويل المشروع فأعطاه توفيق حلاً ، نهاية القصة

: لماذا ؟

اتجهتُ نحو النافذة ، و اتكأت بإحدى يداي إليها ...

: أتى يسألني المساعدة ، كيف لي أن أرفض مساعدة شريكي الجديد ، و صديق العائلة و زوجك !!

وجدتك تتقدمين نحوي و بغضب يملئك و بصوت يكاد يكون صراخ

: ما الذي تريده يا ياسين ؟؟

جذبتك من ذراعك إلى أن اصطدمتِ بصدري و أنا أصرخ بك

: أنتِ كل ما أريد و لن أتوقف حتى تكوني لي ، و لا أهتم كيف سأفعلها أنتِ لي ايما !

تعلقت عينك بي تراجعتي للخلف و أنتِ مطرقة ، فهدأت حدتي و تركتك

: ثم لماذا أنتِ غاضبة إلى هذا الحد ؟ أنتِ أكثر من يجب أن يكون فرحا !

: حقا ! و لماذا ؟

: لأنك لن تضطري التخلي عن أرض والدك ، ألم تترجيه ألا يفعل و لكنه لم يكثرث ففعلت أنا و دون أن تطلبي ، فأعلم كم هي مهمة لك .

وجدتكِ تثورين أكثر ضدي ، حتى انكِ خبطتي كفك على المكتب بقوة ألمتك

: حقا ! و ما الفرق و صديقك سيشتري نصفها ، و سيشاركني بأرض والدي !

: لن يشاركك أحداً ... حبييتي .

: كيف و هو سيشتريها ؟

قاطعتكِ و أنا أحاول طمأنتكِ أو هكذا اعتقدتُ

: أنا من سيشتري توفيق سيشتري لي اسمه سيوضع بالأوراق فقط لكن أنا من سيكون
شريكك

اعتلتك الدهشة و أدرتي ظهرِك لي ، و أنتِ تهزين رأسكِ فالتفتِ نحوكِ كنتِ تغمضين
عينيكِ تحاولين منعهم من البكاء ، تضعين يدكِ على فمكِ تحاولين إيقاف الكلام
....

: ماذا فعلتُ أنا ؟ لما كل هذا الغضب يملئكِ ؟ أحاول أن أساعد حبيبتي !

كانت نظراتكِ لي تتبئني بأنني ارتكبتُ جرماً كبيراً ...

: أنتِ حقاً لا تعلم لما أنا غاضبة ؟

: حقاً لا أعلم ، أخبريني أنتِ ؟

التفتِ للنافذة تحاولين الهروب بعيداً عني تخشين مواجهتي

: ياسين توقف عن فعل هذا أرجوك !

: عن فعل ماذا .. ما الذي أخطأت به ؟

: عن كل تلك المحاولات لنتقارب ، عن تلك الجسور التي تحاول بنائها لنتقابل ، فقط

توقف عن بناء أحلام ستسقط فوق رؤوسنا لأنها تبنى على وهم !

: أي وهم تتحدثين عنه هذا العشق الذي يملأ قلبك لي ليس وهماً ، هذا الذي تمتلئ

به روحي منك ليس وهم

و زاد غضبي منك فالتفتِ إليكِ و بصدري بركان يجتاحني ، فقد احتملتُ الكثير من

هذا العند الساكن رأسكِ و الآن دورك ...

: توقفي أنتِ عن محاربة طواحين الهواء ، توقفي عن محاربة كل ما بكِ ، توقفي عن

محاربة ظلكِ ايما ، أنتِ من يجب أن تتوقف و ليس أنا !

وجدتكِ تجلسين على الأريكة كمن يسقط فقدماك لم تعد تحملكِ ، و كل ما بكِ هوى
منكِ دون قدرة لكِ على فعل شيء، و بصوت اختنق بالدموع و نظراتٍ بدت مغيبة
....

: ماذا تريد مني أن أفعل ؟ وعشقنا هذا كُتب عليه الموت سجيناً ، كُتب عليه أن يدفن
حتى دون عزاء ، كُتب عليه أن يظل مختبئاً بين الضلوع ! ماذا تريدني أن أفعل ؟
خبرتكِ سابقاً لا مستقبل يجمعنا معاً ليس كما تريد أنتِ أو حتى أجرؤ أن أحلم أنا، لا
قدراً سيقبل بنا أو يتغير من أجل عشق بيننا .

جلستُ قربكِ و أنا أتأملكِ ، و كلما مددت يدي لأحوطكِ بها لأخبركِ داخلي ، لأخبركِ
أنني لا أحتمل أن أراكِ هكذا لأخبركِ أنني سأفعل أي شيء بالكون لأجلكِ تراجعت ،
لكنني اقتربتُ منكِ

: أخبرتكِ إن لم أستطع أن أغير هذا القدر ، سأسطر لأجلكِ قرأً جديداً ، قدراً
يجمعني بكِ سأرسم طريقاً جديداً نصل به معا لنفس النهاية ، نهاية ليس بها سوى
أنتِ و أنا و عشقنا .

انهمرت دموعك على جبينكِ و صوتكِ المختنق بشهقات تقتلني ، يداكِ الصغيرتين
ترتعشان

: لما لا تتوقف عن فعل هذا بي ! توقف عن إعطائي أملاً لن يتحقق ، توقف عن
قتلي بخنجرٍ مسموم بأمل اللقاء ، لما تجبرني التمسك بسرابٍ قدراً يجمعنا؟ سراباً
أطارده كل ليلة بطرقات الاشتياق لأصحو على واقع يقتلني ! ألا يكفيني أن يجازيني
زمانى بالحنين إليك و أنت أمام عيني ! ألا يكفيني و قلبي هذا عقاب ! و لأي ذنب
أجازى باشتياقك ! لأحبياك بجنة أحلامي كل ليلة و يهذي بكِ عقلي لأصحو على
غصة بالقلب تعترضني بذنب عشقك ، فحقاً تعبت ، تعبتُ من مطاردة كل تلك
الأوهام يا ياسين !

تلك اللحظة وجدتني أحتضن يداك بين يداي ، رغم محاولتك منعي إلا إنني احتضنتها ، و رفعتُ عنك شعركِ المتدلي على عينيكِ كي أرتوي منها ، و أمسح عن جبينك تلك الدموع التي لم تستطيع منعها ...

: يا الهي .. ايما ، حبيبتي أكل هذا الوجع يسكن روحك ؟ فقسماً بمن أوجدك لا يحتمل قلبي آه واحدة تخرج من بين ضلوعك ، تقتلني الأماك و دموعك صغيرتي ! فتوقفي !

وجدتني أنزل على ركبتي أمامك و أنا أضع يدك على قلبي ، لعلك تشعرين قليلاً من عشقي لك ! أمسكتُ ذقنك و رفعتُ وجهك لأرى عينيك ، و أنتِ تحاولي الهروب بنظراتك بعيداً

: أقسم حبيبتي أنني حاولتُ مئات المرات انتزاعك من داخلي ، حاولتُ كثيراً منع روعي عنك ، حاولتُ الابتعاد عنك فلم أستطع ، حاولتُ كل شيء حتى أتوقف عن حبك و لم أرى سواك ، فقد هزمني عشقك و أجبرني الاستسلام لعينيك ، فكلماً ابتعدتُ عنك أحسستُ بروحي تغادرنِي و لا أقوى التمسكُ بها لا أقوى منعها ، كيف لك أن تطلبي مني ابتعائك و به موتي ؟ كيف تطلبي مني فراقك و به عذابي ؟ كيف تطلبي مني أن أتركك و أنتِ ما يربطني بالحياة ؟ فلا تطلبي مني زرع خنجراً بيدي بين ضلوعي لن أقوى انتزاعه ! فقط أتألم به ! هذا ليس عدلاً حبيبتي !

: أحبك ... أحبك كثيراً !

: و أنا أعشقُ كل ما بك ، حتى أن روعي تعشقُ تراب تخطوه قدماك حبيبتي أفعل أي شيء بالكون لأجلكِ صغيرتي .

بابتسامة هادئة شقت طريقها بين دموعك ، لتشرق جبينك

: أنا لا أستحق أي من هذا ، لا أستحق كل هذا العشق بداخلك !

و ضعتُ يدِ على فمكِ و اقتربتُ منكِ حتى استعمرتني دقاتكِ

: هذا أقل القليل لكِ حبيبتي ، أنتِ تستحقي أن يسطر لأجلكِ تاريخاً جديداً ، تكوني أنتِ ملكته وحدكِ مولاتي من تجلسُ فوق عرشه ، تستحقي أن تشرق الشمس لعينيكِ و يتوارى القمر لمحيكِ ، أنتِ هي حبيبتي و تستحقي كوناً تحت قدميكِ .

كنت أضغطُ كفكِ لقلبي ، فبادلتنني نظرة اعتقلت كل ما بي بين جفونكِ ، رفعتي يديكِ الأخرى من جواركِ ، و هي تنتفض بين قلبكِ و عقلكِ حتى استكانت لقلبكِ ، لتلمسي برحاكِ جبيني و آه حبيبتي حين مس كفكِ جبيني .. كفت الأرض عن الدوران و وقف الكون بلا حراكِ حتى جريان النيل سكن من منبعه و انتفضت الدماء بعروقي ، تغزوني كفيضان كاد يوقفُ دقاتي و يهلكُ عقلي ، حين سافرت أصابعكِ ترتحل بجبيني اقتلعتني من ذاتي من أوردتي من جذوري و زرعنتي بين رحكِ ، تلك اللحظة فتشت عن قلبي وجدته سكن يداكِ ، حين مستني يداكِ مست موضع خفقاني ، فاقتلعت نبضي ليدور بين عينيكِ وأنفاسكِ وهمست لي و أنا غارق بسكرات عشقكِ التي أفقدتني عقلي ونبضي وأنفاسي

: كيف لكِ أن تفعل كل هذا بي ؟ كيف لكِ أن تمتلك قلبي و عقلي بعشقكِ إلى هذا الحد ؟

: أنا لا أفعل شيء سوى أن أحبكِ ، و صدقيني مُعذبتني ليس بيدي !

: أتعلم ماذا أسأل الله الآن ؟

أطبقتُ بيدي على يداكِ ، و أنا أرتوي من عينيكِ

: أخبريني أنتِ ؟

: أسأل الله .. أن يفقدني ذاكرتي ، كي أنسى كل هذا العشق الساكن قلوبنا دون أمل !

أطبقتُ يدكِ على قلبي ، و قبلتُ كفكِ المرتحل بصحراءِ اشتياقي لكِ و همستُ لكِ
....

: أنتِ لي تأكدي من هذا ، لا أعلم كيف سيحدث لكِتي أعلم جيداً أنه سيحدث !

: ياسين ، أرجوكِ—

حينها وضعت يدي على فمكِ ، ووجدتُني تائهاً بين عينكِ و عذوبةِ شفَتكِ ، وضعتُ
بسحرِ شهديكِ ، التي لطالما اشتهيت ، و كلما سافرت أصابعي بين شواطئِ ثغركِ ،
أغمضتُ عينيكِ و تاهت منكِ أنفاسكِ لتشعلي نارِ اشتياقي ، ضمنتُ رأسكِ إلى رأسي
كي أنتشق أنفاسكِ كي يحتل عبيركِ ضلوعي و همستُ لكِ و أنا على سكرتي منكِ
....

: أحببتُكِ بكل ما أوتيتُ من ضعف ، فحاولتُ و بكل ما أوتيتُ من قوةِ ابتعائكِ ،
فوجدتُني و بكل قوتي أتمادي في ضدعفي ، فسقطُ بعشقتكِ نونِ وعي ، أنا الصير
فيكِ ، أنا العاصي بكِ و بكل يقين ، أنا المُحد بكل نساءِ الكونِ نونكِ ، أنا العابدِ
بمحرابِ هواكِ ، ليس لي حياةِ سوى عشقتكِ ، فبغيابكِ يمتزجُ أقصى الشكِ بكل يقين ،
قلبكِ لي قبلةٌ و عشقتكِ دستورٌ و دين .

أخذتُ تغمضين عينيكِ تحاولين الهروبِ معي بعيداً ، بعد لحظاتِ سحبتي يداكِ من
يدي ، حاولتِ لملمةِ ذاتكِ لتتقي على قدماكِ أمامي شامخةِ نجمةِ بسماءِ لا أقوى
الوصولِ إليها ، وقفتِ أمامي جبل ثابتِ عالي الهامةِ لا يهتز له ركن مهما عصفت
به الرياح ، تحوطكِ هالةِ كبرياتكِ وشموخكِ الملكيةِ سلطنةِ نبضي

: لن أوقع تلكِ العُودِ !

تتهدت و هزرتُ رأسي و ارتسمتِ ابتسامةُ يآسةِ بوجهي من عنادكِ ، اعتدلتُ بجلستي
إلى الكرسيِ أمسكتِ ساعدي الكرسيِ بغضبِ أحاول تمالكه و اعتقاله داخلي ، فلا

تعلمي مدى ثورتي منك تلك اللحظة و من هذا العند الساكن بك ، وبنبرة تُحاول كظم غيظي

: أنى لك هذا الصمود ، أخبريني من أين لك تلك القوة ؟

بادرتني بصوت مختنق بالدموع و أنت تتحركين خطوات بعيداً عني

: ليت لي تلك القوة !!

بدأ الغضب يسيطر على نبرتي ...

: أنت هي أقوى من رأيت عيني بضعفها ، و أضعف من قابلت بعشقها ، كيف لك أن تجمعي كل المتناقضات بين رحي فكيف قاتلتي ؟ كيف لك فعل هذا بي و بك أخبريني ؟

: أنا أضعف بكثير مما تظن ، أضعف من قطرة مطر تناقلتها الريح في ليلة عاصفة !

فوقفتُ و أنا أتمالك غضبي و حنقي منك ، أُحاول تنظيم أنفاسي حتى لا تُفلت مني ثورتي ، اتجهت نحوك بنظرة غاضبة و أنا أعتصر قبضتي متمالكا غيظي الثائر منك بين ضلوعي ، و اقتربت منك حتى تلاقى كتفي و كتفك ملت إليك وهمستُ بأنفاس غاضبة تكاد تشق صدري ، و بنبرة رغم هدوئها إلا أنها حملت الكثير من الوعيد بين حروفها

: لا تطلبي المستحيل حبيبتي ، لا تطلبي مني قتل نفسي بابتعادك ، ألم يخبروك أن ديننا حرم الانتحار ، و لست الرجل الذي يرضى بالانتحار حلا ! أنا رجل تعود أن يحصل على ما يُريد ، و كما قُلتيها سابقاً لا يهمني كيف سأحصل على ما أبغي ما دام بالنهاية سأحصل عليه ، و أنتِ كل ما أُريد ! و سأصل إليك حبيبتي ، أعدك بأن كل سبلك ستنتهي بابي !

بدأت خطواتك بالتراجع ، و ارتسمت بوجهك نظرة اختلطت بها الدهشة والخوف ، و زاد الرعب بأنفاسك فتقدمت خطواتي إليك

شيء واحد يجب أن تدركيه جيداً لن أتركك و لن أدعك تتركيني مهما كلفني الأمر ، و هذا وعداً مني لك بهذا ، و أنا رجلٌ شرقي يحفظ عهوده مهما طال الزمان ومهما كلفته من ثمن ، شئت أم أبيت .. أنت لي .. !

علت أنفاسك و تخبطت نظراتك ، و وقفت الحروف بين شفطيك وحنجرتك تريد الخروج و لا تقوى أن تغادرك ، وما كان منك إلا أن ركضت نحو الباب وكل ما بك كان ينتفض ، و تبعتك نظراتي حتى اختفيت عن ناظري .

كان الحنق يملأ صدري من كل هذا العند الساكن صدرك ، ألا يكف كبريائك عن الأنين ! غادرت مكتبي وأنت مصرة على أنك لن توقعي العقد بيننا ، رغم نظرة الخوف التي ارتسمت على وجهك ، لكن كنت واثق تمام الثقة أنك حبيبتني ستوقع و هذا ما أتى بك إلى مكتبي ، تعلمين أنك لن تقلتي منه فأنتيت إلي لعلني أتركك ! لكن عفوا صغيرتي ... فلا أستطيع تلبية رغبتك مولاتي ، فأنا من سعى لكل هذا حتى تقتربي مني كيف لي أن أهدمه الآن ؟ أعلم أن الضغط عليك كان أكبر مما تحتملين صغيرتي ، فكلانا ضغط عليك بكل بقوته ، لكن أنت لم تتركي لي خياراً لم يكن لي درياً آخر أسلكه كي أصل إليك .

باليوم التالي وقعنا معا عقود المزرعة ، بذلك اليوم لم نتحدث لم نتفوه بحرف لأي منا سواء أنا أو هو أو حتى توفيق حين هناك بالشراكة ، كان الغضب يملأ كل ما بك برر كريم حدثك الزائدة بأنك مرهقة ! بعدها بيومين تم توقيع عقود التوسعات

بيني و بينه بصفتي مدير للمصنع و بصفته مدير المكتب الهندسي ، وقع كريم العقود دون التمعن بها أو التأكد من أنه ملم بكافة شروط التعاقد بيننا !!!

أراد كريم احتفالاً كبيراً لتلك المناسبة إلا أن جدي رفض و قال الاحتفال سيكون بعد الانتهاء من التوسعات حينها يكون هناك ما يستحق الاحتفال به ، لذلك قرر توفيق أن يقيم عشاءً بأحد الفنادق لتوقيع عقد المزرعة لكن سحر لم يمكنها الحضور لأنها كانت مريضة

ذهبنا إلى الفندق كانت لي لي هي من معي ، كنت أنت و ميس آخر من حضر حتى أن كريم حضر قبلك و تلك كانت غريبة قليلة ، يبدو أنك لازلت غاضبة من تلك الشراكة لكن لا يهم فقد أصبحت شريكتي و قضى الأمر !

و رغم غضبك الثائر بأحداقك إلا أنك و كعادتك حبيبتني كنت فاتتة بكل ما فيك ، خلاصة عينيك لها سحر خاص ، قادر أن يسافر بي إلى عالم لي وحدي ليس به سوى عينيك و أنفاسي ، كلما رأيتك وأنت تخطين نحوي أشعر و كأنها المرة الأولى التي أراك بها ، أشعر بكل مرة تقع عيني عليك كأنها تأسر بك من جديد ، بكل مرة أشعر و كأنني أقع بغرامك للمرة الأولى مغذبتني ، لا أعلم كيف لك أن تفعلي هذا بي كثيراً من الأوقات أشعر و كأنني رميت بتعويذة عشقك ، كأن هذا الذي أنا به ليس من صنع بشر ، أحرق أنا بعشقتك و من قال أنك بشر ، أنت هي ملاكي الذي سكن الأرض لأجلي ترك الجنة لقربي .

أعلم أنك غاضبة مني كثيراً لأنني أجبرتُك أن تكوني شريكتي ، لكن ما كان بيدي غير ذلك كي تظلي جوارِي ، كي أستطيعُ الاقتراب منك نون أن يلحظ أحداً اهتمامي بك لم يكن لي سبيل آخر ! حقا كنتُ مختلفة كثيراً تلك الليلة حبيبتني ، ليس فقط بجمال الفاتن بهوئه ، و لالتألق غصنك حبيبتني الذي التف بفستانك الأسود رائع الجمال رغم بساطته ، لكن كونك لم تحاولي النظر لي تلك الليلة ، حتى إنك اتخذت جلسة

تُواريكِ عني ، و كأنكِ تُعاقِبيني بأن تحرميني رؤية مُحياكِ ، تحرميني أن أتتفس عيناكِ .. كم قاسية أنتِ مُعذِبتِي كي تحرميني لحظات أحياها بقُربكِ !

و استمر هذا الحال بعض الوقت و لكن لم يم طويلا ... فحين أشار أحد أصدقاتنا إلى امرأة تُجلِسُ بالطاولة المقابلة لنا و قال لكريم

: أتعلم من تلك الجالسة هناك ؟

: لا ، و من هي ؟

نظر إليه صديقنا الأحمق و أماء له

: هي صافي ، إحدى نساء ياسين ، لكن لا تخبر سحر بهذا

فرد توفيقُ سرعا

: كانت إحدى نزواته السابقة ، لكن الأمر انتهى منذ زمن

أجاب صديقنا بضحكة جلجلة بالمكان ...

: لا تُنكر أنها لازالت مُهتمة ، لآلت تُطارده على أمل أن يعود لها يوماً ، أعترف أن الكثير من النساء يُطارده ، و كل واحدة منهم تُحاول الفوز به .

نظرتُ إليه و لا أعلم لما أصبحتُ غاضب ...

: أعتقد أنك أكثرت من احتساء الخمر الليلة !

بعدها بدا الانزعاج على وجهكِ ، أردتِ الذهاب إلى الشُوفة لأنكِ انزعجتِ من نُخان السجائر ، فانتظرتُ بعدكِ قليلا ، و خبرتُهم أن لدي مكالمة هامة لابد أن أُجربها ! حاول توفيق إثنائي عن اللحاق بكِ لكني لم أحتمل ، كاد عقلي يُّغادرني فقد اشتقتُ إليك كثيرا ، كيف لي أن أتركُ فرصة قد تجمُني بكِ تمر من بين أصابعي؟ فهممتُ خلفكِ بعد بضع دُقائق و لم أكثرت كل ما دار بخُدي أني اشتاق كل ذرة بكِ .

كُتِّتِ تَقْفِينِ بِالشَّرْفَةِ بَعِيداً عَنْ كُلِّ هَذَا الصَّخْبِ ، بَعِيداً عَنْ كُلِّ هَذَا الدُّخَانِ الْمُتَطَايِرِ
بِكُلِّ مَكَانٍ ، تَقْفِينِ كَنَجْمَةٍ مُتَأَلِّقَةٍ بِسَمَاءٍ عَالِيَةٍ سَاحِرَةٍ بِشَمُوحِهَا وَ إِطْلَالَتِهَا الْجَذَابَةَ وَ
بَرِيقُهَا الْخِلَابِ سَاحِرَةً أَنْتِ بِكُلِّ ذَرَّةٍ فِيكَ أَمِيرَتِي ، تُمْسِكِينَ سُورَ الشَّرْفَةِ بِيَدٍ وَ بِيَدِكَ
الْأُخْرَى تُدَاعِبِينَ زَهْرَةَ نَائِمَةٍ مِنْ أَزْهَارِ نَمْتٍ عَلَى سُورِهَا تُدَاعِبِيهَا بِرَقَّةٍ وَ حَنَانٍ بِبِرَاءَةِ
طِفْلَةٍ فِي الْخَامِسَةِ مِنْ عَمْرِهَا وَ لَيْسَ أَنْتِي شَارِفَتٌ عَلَى تَخْطِي رِبْعِهَا الثَّلَاثِينَ أَنْتِي
يُخْبِلُ مِنْهَا الْقَمَرُ وَ تَتَوَارَى مِنْ حَسْنِهَا النُّجُومُ ، أَنْتِي لِأَجْلِهَا يَنْقَلِبُ التَّارِيخُ وَ يَثُورُ
تَنْقَلِبُ لِأَجْلِهَا أَكْوَانُ وَ تَنْتَهَاوِي عَصُورٌ ، فَأَنْثَايَ حَطَمْتَ كُلَّ قَوَانِينِ الْجَمَالِ وَ انْكَسَرَتْ
عَلَى أَعْتَابِهَا كُلِّ مَقَابِيِسِ الْأَنْوَاثِ لِتَصْبِحَ وَحْدَهَا عِنْوَانُ لَهَا .

تَنْظُرِينَ إِلَيْهَا وَ تَسْتَجِدِّيهَا أَنْ تَفْتَحَ عَيْنُهَا لِأَجْلِكَ ، تَتَرَجَّيْهَا أَنْ تَشْرُقَ لَيْلِكَ الْحَزِينِ
أَمِيرَتِي . لَمْ أَتَفَوْهُ بِكَلِمَةٍ فَلَمْ أَجِدْ بَيْنَ الْحُرُوفِ الْكَلِمَاتِ مَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُقَالَ بِحَضْرَةِ
سُحْرِكَ وَ جَمَالِكَ الْأَخَاذِ فَانْتَنِي ، فَأَمَامَ جَمَالِ مُحْيَاكِ وَ سِحْرِ عَيْنَاكِ الْمَسَافِرَةِ بِي إِلَى
عَالَمٍ مِنَ الْأَحْلَامِ وَ الْأَسَاطِيرِ شَوْقاً إِلَى شَهْدِ شَفَاكِ ، لِأَغْرُقَ بِكُلِّ تَفَاصِيلِ غَصْنِكَ
الْمَتَمَايِلِ كَزَهْرَةِ بَرِيَّةٍ تُدَاعِبُهَا نَسَمَاتٌ صَيْفِيَّةٌ ، نَسَمَاتٌ حَائِرَةٌ أَتْدَاعِبُ خَصَلَاتِ شَعْرِكَ
الْبَنِيِّ بِمَلْمَسِ فَاكِ الْحَرِيرِ رَقَّةً ، أَمْ تَرْتَوِي مِنْ جَبِينَا تَوَارَتْ مِنْهُ زَهُورُ الْبَسَاتِينِ خَجَلًا ،
فَأَصْبَحَ الصَّمْتُ بِحَضْرَتِكَ أَمِيرَةَ قَلْبِي وَ مَلِكَةَ عَرْشِي الْمَتَوَجِّةِ بِدَقَاتِي الْهَائِمَةِ بِكَ سِحْرًا
لَا تَضَاهِيهِ كُلُّ أَبْجَدِيَّاتِ الْكُونِ . وَقَفْتَ بِضَعِ دَقَائِقِ أَرَاقِبِكَ وَ أَنْتِ تُدَاعِبِيهَا بِرَحَى
يَدَاكِ ، وَ كَمْ كُنْتَ أَحْسَدَهَا لِأَنَّهَا لَمَسَتْ رِحَاكِ ، وَ كَمْ كُنْتَ أَغَارَهَا لِأَنَّكَ تُدَاعِبِيهَا وَ
تَهْتَمِي لَهَا ، وَ أَنَا الَّذِي يَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَلَابِسِ تَلْتَفِ حَوْلِ غَصْنِكَ فَانْتَنِي ! كُنْتَ أَقْفَ
جَوَارِ مَدْخَلِ الشَّرْفَةِ حِينَ انْتَبَهْتَ لِوُجُودِي حِينَهَا انْتَقَضَتْ مِنْكَ أَوْصَالِكَ

: صَدَقًا تِلْكَ الْمَرَّةَ لَمْ أَقْصِدْ إِخَافَتَكَ ، لَكِنِّي لَمْ أُسْتَطِعْ مَنَعَ نَفْسِي !

بَدَأَ عَلَيْكَ الْغَضَبُ وَ اتَّجَهْتَ نَحْوِي تَرْغِبِينَ بِالْخُرُوجِ فَأَمْسَكَتَ بِذِرَاعِكَ

: لَمْ أَتِي كِي تَرْحَلِي !

عقدتِ حاجبيكِ و بنظرةٍ غاضبةٍ ...

: اتركِ ذراعي ياسين !

: أعلمُ أنكِ غاضبةٌ مني ، لكن ليس أنا من أجبركِ التوقيعِ ايما !

كنتِ تتظنّين إلي و عيناكِ تزداد غضبا، لم أكن أعلمُ لما أنتِ غاضبةٌ إلي هذا الحد
لكن تلكِ النظرة كانت مختلفةً

: لا أعتقدُ أن الشراكة بيننا هي السبب لكل هذا الغضب ؟

تلكِ المرة كان غضبكِ مختلف ، له نكهة لم أتقها يوماً تلكِ المرة كان به شعور
مختلف ، شعور لم يسبق لي أن اختبرته سابقاً مع كل نساء حياتي ، كحال كل
مشاعري معكِ معذبتي ، كل شيء بعشقتكِ أشعرُ بأني أحيياهُ لأول مره ، أشعر دوماً
بقربكِ أنني أولد من جديد ، طفل لا يعلم بالكون سوى أنكِ من أحضرتِهِ لهذا العالم ،
أنتِ هي من وُلد كل شيء بداخله لأجلها ، فلا يعرف سوى ما يتعلمه معكِ و منكِ و
لا يشعر سوى بكِ !! و في محاولةٍ لاستجداءِ رضاكِ

: لا أفهمُ لما أنتِ غاضبةٌ إلي هذا الحدِ حبيبتي ؟

: لست غاضبة !

فرددتِ باستهجانٍ و نبرةٍ بدتِ ساخرةً

: حقاً ؟

: حقاً .. اتركِ ذراعي !

جذبتِ ذراعكِ نحوِي أكثر ، و بنظرةٍ صارمةٍ يشوبها الغضب

: ليس قبل أن أفهمُ ما بكِ !

صمتي لكن تلك النظرة التي انطلقت منك باتجاه صافي ، كانت تكفيني لأفهم أن طفلي الصغيرة دبت بقلبها نار الغيرة فوجدتني أبتسم ، و رفعت حاجبي بدهشة

: حقا ، أهذا ما يغضبك الآن ؟

بادرتني بنظرة أنثوية و أنتِ تهزين كتفيكِ مدعية عدم المبالاة ، تحاولي إنكار غيرتكِ

: عن ماذا تتحدث أنت ؟

رمقتها بنظرة خاطفة ثم عاودت النظر إليك ، و على وجهي ابتسامة حانية أشرفت لها عينيك الغاضبة ، فتنهدت بارتياح و سعادة غمرت صدري، فاقتربت خطواتي و تراجعت خطواتك أكثر

: لا شيء ، فقط يجب أن تفهمي و تتأكدي أنه لا يجمعني بها شيء ، ما كان بيننا انتهى منذ زمن حتى قبل أن تظهرني أنتِ بحياتي .

: وما دخلي أنا ؟ ما بينك و بينها يخصك و لا علاقة لي بها أو بغيرها ! تلك حياتك فلتفعل بها ما تشاء ، هل لي أن أعبر الآن ؟

: أو لم تعبري بعد ! حبيبتي لم يعد بيننا و هي لم تتخطى كونها نزوة .

: قلت لك لا دخلي لي ، ليس من شأني .

سأفقد عقلي منك ها أنتِ تموتين غيرة لأجلي و لازال الكبر يعتليكِ ! حاولت أن تفلتي ذراعك من يدي ، فدفعتكِ إلى الحائط خلفك بقوة ، و بات لا يفصلنا سوى طرفة عين ، فصحت في

: ماذا تفعل ، أجننت ؟

حاولت التمسك بما تبقى لي من عقلي ، عقلي الذي بدأ يغادرني جزء تلو الآخر منذ دخلتي حياتي ...

: ستستمعين إلى ما أريده أولاً !

: لا أريد أن أسمع منك شيء ، اتركني .. اتركني ياسين .

علا صوتك ، و حاولتِ دفعي بعيدا عنك

: كاذب ، لا أريد أن أسمع منك شيء ، حمقاء أنا أحببت كاذبـ

: ايما

و أمام نظرة خوف لمعت بين عينيك ، حاولتُ السيطرة على غضبي منك ، فلم يجرؤ أحدا قبلك رفع صوته في وجهي

: اهدئي حبيبتي

: لست حبيبتك ، و لا يجمعني بك شيء !

قلتها بصوت عالي فوضعت يدي علي فمك ، و بيدي الأخرى مسحت دمعة سقطت على جبينك على استحياء من كبريائك ، كقطرة ندى تحيي زهرة بريّة في فجرٍ حزين

: هي لم تعد تعني لي شيء و لم تكن تعني بالسابق لا أنكر أنني كنت على علاقـ

: يكفي ياسين لا أريد أن أسمع منك شيئاً

شعرت بأن ما أقوله كان يزيد غضبك و يشعل ثورتك ، لكن لا أعلم لما اجتاحتني رغبة بأن تعلمي كل شيء عن ماضي عشته قبلك . فوجدتك تحاولين دفعي بيديك و كأن ثورة غضبك تلك لن تقضي أبداً ، فزاد غضبي منك و عقدتي حاجبي بغیظ من

تلك العنيدة ، فدفعت معصميك بقوة للحائط خلفك ممسك بهم بقوة حتى أنها آلمتك ،
و صرختُ فيك بغضب

: لا أنكر أنها عبرت سريري ... و ليست وحدها بل و غيرها ، لكن لم تعني لي أي
واحدة منهمن شيء ، لم يجمعني بهم سوى المصد

لمعت الدموع بعينيك ، فحاولتُ احتواء عاصفة غيرتك و بدأتُ أهدأ من حدثي ،
خاصة أنه بدا لي أنها قُوبلت ببعض الاستسلام من عاصفتك المدوية فملتُ إليك
وهمستُ ببعض مما يسكنُ ضلوعي لك ...

: ايما حبيبتي لم تسكن أي منهن قلبي مثلما سكنتِ أنتِ ، لم تمتلئ روعي من أي
منهن مثلما امتلأت منك و بك ، أنتِ هي عشقي و حياتي ، أنتِ هي من انقلبتُ
على ذاتي لأجلها ، أنتِ هي حبيبتي و صغيرتي ، أنتِ هي نبض قلبي و أنتِ هي
معذبتني ، أنتِ من أطوى الكون لأجلها ، أنتِ من أدفع عمري و أزيده للحظة بقربها
أنتِ هي أنا !

كنتُ ممسكا بمعصميك و أنا أثبتهما إلى الحائط خلفك ، و نظراتي لك كانت صارمة
بالبداية في محاولة لاحتواء عاصفتك التي خشيتُ أن تُفلت من يدي ، لكنها تمتلأ
سعادة و دهشة عارمة منك و أنا أتأملك و أنتِ لازلتِ تفاجئيني بكل لحظة ! فكيف
لتلك العنيدة التي تُكذب عشقها لي منذ وقعت بغرامها و غرقت هي ببكري؟ كيف لتلك
العنيدة التي توارت عني منذ دقائق لتُعاقب قلبي لعشقها؟ تُعاقب كل ما بي لأنني
أحاول خلق طريق لأصل إليها؟ تلك التي تُكابِر نبضها و تتدثر بكبريائها ، كيف لها
أن تتسى كل هذا بلحظة؟ و تتحول من طائر حزين جريح ، من طائر كسير لا يمتلك
سوى ضعفه ، إلى نسرا جارح يهاجم بضراوة ، تُثور كبركان ممتلئ بنيران وقودها
الغيرة حتى تثار ليجتاح كل ما يقفُ أمامه !!! آه من تلك العنيدة التي تسكن كل
تناقضات الكون عينيها التي تجتمع الجنة و النار بخصرها ، التي تُثور براكيني و

تهداً بأنفاسها آه يا امرأة عبرتُ حدود اللذة بقربها ، تلك العنيدة التي ستفقدني عقلي بكل هذا العند والضعف الساكن ضلوعها !

و بين هذا الجنون الدائر بعقلي منك و جنوني الدائر بصدري اشتياقاً لك ! و صوت دقاتك يعلو صوت أنفاسك التي تسارعت بين ضلوعي ، وعطرك يسرق ما تبقى من عقل ضاع بين تفاصيلك ، فاقتربت منك أكثر و يدي أفلتت معصمك لتُشابك أصابعك أصابعي ، لتصير سجينة بين جدار خلفك و بين يدي فأين لك اله رُوب تلك المرة و كل ما بك أصبح سجين ضلوعي ؟ فأخضعني ضعفاً و خضوعك و أشعني كبرك و غرورك ! و حين ملتُ إليك لأرتشف من شهد شفيتك استسلم كل ما بك ، كنتُ أعتقد أنني أطفئ و لو قليلاً من نار اشتياقي لكل ما فيك ، و حين رست قلاعي بين شواطئ ثغرك و كلما ارتشفتُ من خمر عشقك وجدتُك تُشعلي كل ما بي أكثر حتى فقدت عقلي فيك ! آه .. لو تعلمي ساحرتي كم اشتهيتُ تلك اللحظة لأغرق بنهرك لأدفن بين ضلوعك ليالي غيابك الوحش التي قضيتُها أطارد طيفك بطرقات الاشتياق فأرهقت قلبي و أنهكت عقلي و قضت على قدرتي لتحل جفائك ، و كم تمنيتُ لو توقف الزمان بي و أنت بين يدي تمنيتُ أن تؤم تلك اللحظة إلى الأبد! و لا أدري لكم من الوقت ظللت أتمل منك مولاتي ، فخرم شهدك أفقدني قدرتي على مقاومة غرقي بنهرك ، فكلما ارتويتُ منك و أسقيتُك من شغفي بك وجدت كل ما بي يزداد ظمأً و أفقت من ثملت على همس صوتك الذي لا أدري إن كان يوقظني أم يزيدني فيك غرقاً !!

: ياسين ... ياسين توقف !

فخبئتُ كل ما بك بين ذراعي و وجدتُك تضعين رأسك على صدري ، و تشبثت يداك صغيرتي بذراعي بكل قوتك كطفلة تحتمي بوالدها من مجهول تخشاها ، فضممتك إلى قلبي بكل ما استطعت لملمته من قوة ضاعت بين سكرتي في عشقك و غرقي بنهر اشتياقك

: ليس لي حبيبة سواكِ صغيرتي ، فإن خبروكِ أني عاشق فاعلمي أني أعشقتكِ أنتِ ،
و إن خبروكِ أني أهوى فلن تكون غيركِ أنتِ ، و إن قالوا هو متيم بنساء الكون
فهذا لأنكِ عندي بهم أجمعين ، فما فائدة قلبي إن لم ينبض بكِ أنتِ ! و ما فائدة
أنفاسي إن لم تخرج لكِ أنتِ ! و ما فائدة حياتي إن لم تُشرق بكِ و لكِ !
زاد تعلقك بذرعي كان عقلي يُّحدثني بأن ثمة شيء تحاولين قوله لي !! و قبل أن
أسألك عما تُداريه عني وجدت طلعت أمامي ينبهني لتأخري ، فطلبت منك المغادرة
أولاً إلى الحمام حتى تغسلي عن عيناكِ دموعكِ ، حتى لا يلحظ أحداً شيء.

❖❖❖

عدتُ قبلكِ إلى الطاولة ، لم تكن لي لي أو ميس يجلسون إلى الطاولة ،
لكن الغريب حين عدت وجدت الجميع صامتون ! و قبل أن أتساءل بادرني توفيق
بنظرة من الخبث تملأ وجهه ...

: لم أكن أعلم أن كريم بهذا الذكاء ، فقد فضح أمركِ !
لا أكذبكِ القول فقد انتفض الدم بعروقي و عُقد لساني للحظات ، و استنطرد الأحمق
بنظرة مشاكسة ...

: قال ياسين تأخر لأبد و أنه يجدد بعضاً من نشاطه !
اعتقدت للحظة أنه فضح أمرنا حقاً.. لكن نفضت الفكرة عن رأسي سريعاً، لو كان
أحس بشيء لم يكن جالس هادئ بمكانه ! فأجبت بهدوء مصطنع لتمالك توتري

: عن أي نشاط بالتحديد ، فالنشاطات كثيرة ؟

و استمر على تلك النبرة المشاكسة ، و لكن تلك المرة كان كريم و بابتسامة ملئت وجهه

: هذا النوع من النشاط الذي تغيب له كل تلك المدة ، و يؤثر على هندامك أعتقد حين غادرت كان كل شيء بموضعه ، أم الآن فكل شيء جيد لكن مستقل بذاته ياسين !

تبعتها ضحكة من الجميع ، فرمقتهم بنظرة متجاوبة في محاولة لمجاراة الأمر ، فيبدو أن الجميع أعتقد أنني كنت مع صافي ، فهي الأخرى غادرت طاولتها بعد دقائق من مغادرتي ، و تلك اللحظة انتبهت أن عطرك حبيبي لابد و أنه علق بي ، فغيرت مجلسي ليكون مواجه لكريم و ليس بجانبه ، و أمسكت بكأسي و أشعلت سيجارة لعل رائحة السجائر تغطي رائحة عطرك ، و بنظرة لا تقل خبث عنه و بنبرة بها كثير من الارتياح فلم ينتبه أحدا لشيء و هذا كل ما أكرث له

: بالمرّة القادمة لا تأتي بزوجتك حتى تستطيع تجديد نشاطك أنت الآخر !

وجدت توفيق يضحك بطريقة هيسترية حتى أنه كاد يسقط عن كرسيه و نظر له الجميع و هم يضحكون ، فنظرت له و أنا أكاد أنفجر منه غيظاً هذا الأحمق سأقتله يوماً .. و ملت نحوه و بنظرة صارمة

: أعتقد إنني سأستلم جواب شكر من أخيك صباحاً !

نظر نحوي و قد توقف عن الضحك ، و عقد حاجبيه باندهاش شديد

: و لما يرسل لك أدهم جواب شكر ؟؟

أجبتة و أنا أقبض على كفي كي أتمالك غضبي منه و أنفث دخان سيجارتي بوجهه

: لأنني سأقتلع رأسك الآن .. و متأكد أن هذا سيسعده كثيرا ، ألا تعتقد أنت ؟

فنظر نحوي و هو يحاول تمالك ضحكاته ، و وضع يده على فمه بإشارة أنه
سيصمت .. ثم عادت لي لي و ميس ثم عدت أنتِ و صديقة لكِ صدفتيها بالحمام ..
فزاد ارتياحي سيكون هذا سبب كافي لتأخركِ .

و انقضت الليلة ، التي تمنيت أن لا تنتهي حتى تظلي أمام ناظري و قلبي .

خبلني الهيام و أغواني بهواك ؛ فأمنتُ بالغرام و أمنتُ بين يداك
؛ فدثريني بعينيك من صقيع الغياب ؛ و انثري فوقى العشق و
الهيام ، دفئي قلبي بأنفاسك فبرد الحنين جمد بعروقي الدم و
الأشواق

ارتحلت الأيام ... تارة مسرعة و تارة ثقيلة ، بدأ العمل بالتوسعات كل شيء يسري حسب ما أريد ليس بالسرعة المطلوبة لكن لا بأس ، تحمس توفيق لمشروع المزرعة كثيراً خاصة حين لقي صداه ترحيب واسع من جدي و لي لي ، قرر أن يصبح شريك فعلياً بها باع لي نصيبه من الأرض سراً كما هو المتفق عليه و ظل شريكاً بالمزرعة ، هو من قام بالتجهيزات أعاد ترميم ذاك البيت الصغير الذي كان متهدم بها ، بدأ بإنشاء الإسطبلات و التعاقد على بعض الخيول .

لم أكن متفرغاً له فلدي الأهم المصنع و خاصة أن بدأ العمل بالتوسعات أثر بشكل ملحوظ على كفاءة العمل بالمصنع و أبطء كثيراً من حركة سيره ؛ حصل كريم على الدفعة الأولى من المال كما هو المتفق عليه ، إلا أنه لم يقم بإنفاقها بالكامل على العمل بل معظمها على نزواته الشخصية ، وهذا عمل على تباطؤ وتيرة العمل بالإنشاءات لكن لم أعطه الاهتمام أو حتى ألمح له بأنني أنتبه ، فلندعه يدخل قدم تلو أخرى إلى الماء ! و زادت سهراته خارج المنزل و تزايدت المشاجرات بينكما حتى أن أصواتكما بدأت تتعال و تسمع للجميع ، و أيضاً زادت نوبات غضبه ضدك و التي كنت تحاولين دوماً أن توارى آثارها على وجهك أو جسدك ، و هو ما كان يدفعني دوماً لسؤال واحدٍ لما تتحملين كل هذا العذاب معه لما تخشيه إلى هذا الحد ؟ لكنه كان دوماً سؤال لم تخلق له اجابة أو بالأحرى هي خلقت لكن هناك من دفنها و لا أعتقد أنني سأتوقف حتى أجدها ! توددت إليك أُمي لتفريقي لها بما داخلك لم تقولي الكثير فكان بكائك أكثر من حديثك ! أبرز ما قيل كان عن استهتاره الذي لا ينتهي لكنك لم تحددي لها شيئاً!

و مع كل يوم تصبح الحياة أكثر تعقيداً ! فلا نعلم هي معنا أم ضدنا فلا نعلم تدابير القدر لنا أو علينا ! لكننا نبذل قصارى جهدنا لتخطي الأزمات و لعل تلك الأزمات التي نراها صعبة و معضلة ! تكون بالحقيقة هي من نسج خيالنا ليس أكثر ! فنحن من نعطي الأشياء أهميتها . فبالحقيقة كل الأشياء و الأمور هي واحدة لا تختلف عن

بعضها بشيء، لا تختلف سوى بما نريده نحن ! فنحن من يميزها عن بعضها البعض بتلك الهالة التي نكسوها بها من ظننا و اعتقاداتنا ، سواء أكانت سلبية أو ايجابية إلا أنها تظل جميعها في النهاية مميزة لأننا من يعطي بعضها الأهمية ، و نزرع عن البعض الآخر احتياجنا له فلا يميز أشياء عن الأخرى سوانا ، فنحن من يزينها و يجعلها ذات رونق و أناقة أو يجعلها صدئة لا تستحق .

“““

تلك الليلة حين عدت للمنزل كانت لي لي تنتظرنني ! حين دلفت وجدتها أمامي و هذا أدهشني كثيراً ! فنظرت إلى الساعة بيدي و أنا أنظر إليها

: مساء الخير حبيبي .. لما أنتِ مستيقظة إلى الآن ؟

ابتسمت لي و هي تتقدم خطوات

: مساء الخير ياسين فقط النوم يجافيني بعض الشيء

أومأت لها برأسي دلفت إلى غرفة المكتب حينها استوقفتني

: ياسين هل لي أن أتحدث معك قليلا ؟

: الآن .. أليس الوقت متأخر بعض الشيء للتحدث ؟ اذهبي للنوم الآن ، و نتحدث لاحقا !

أومأت برأسها بالموافقة و بعد أن التفت و خطت خطوتين ، توقفت و عادت و التفت نحوي

: كلا أريد أن أتحدث معك الآن . فأنا لا أراك إلا قليلا تلك الأيام !

: حسنا أدخلني و أغلق الباب .

تقدمت و جلست إلى جانب المكتب و بدا عليها التوتر ، ظلت صامتة لحظات فبادرتها

: أنا أستمع لي لي .. ما هو الموضوع الهام الذي جعلك مستيقظة حتى الآن ؟ و لا يحتمل التأجيل لوقت لاحق ؟

أخذت تفرك أصابعها بكف يدها و هي مترددة

: خبرتني سحر أن سامح أخوها يريد الزواج بي ، وأن جدي موافق و أنها ستقنعك بالموافقة!

هممت من مقعدي و جلست إلى كرسي المقابل لها

: نعم هو تقدم بطلب الزواج منك و جدك مرحب و سحر تحاول كل شيء كي تنتزع موافقتي .

: إذن فأنت لم توافق بعد !

: حسنا لست متأكد من أن هذا سيظل موقفي ، فسامح شاب جيد صحيح هو أخو سحر و ابن سيد إلا أنه جيد و -

: لكنني لست موافقة

نظرت لها و ببسمة حاولت أن أداريها

: هو شاب جيد ، فلما الرفض حبيبي ؟

: حين أنني دراستي أولاً

ابتسمت من كذبتها المعتادة أعتقد أنني يجب أن أضغط أكثر حتى تعترف لي بحبها للأحمق فهممت واقفا

: هذا العذر لن يقبل به جدك تلك المرة إن وافقت ، و حقيقة لا أجد سبب مُقنع يجعلني أرفض ! فما المشكلة أن تنتهي دراستك بعد الزواج فلن يمنعك أحد !

: لكن يا ياسين

تصنعت الجدية و رفعت وتيرة الأمر قليلا فلننتهي هذا الآن ، فمللت من حماقات النساء و عندهم المستمر ألا توجد واحدة خلقت دون عناد ! لما لا يعترفن بحبهم دون أن نخوض حروبا و قتال !

: هذا يكفي لي لي ... ما من لكن إن كان هناك شيء لا أعرفه ! أو سبب قوي يجعلني أرفض! و أجابه عمك و جدك لأجله فأخبريني به الآن ، تلك آخر فرصة أمامك ، و إن لم يكن فلتصعدي لغرفتك و تتهيئي لموعد إعلان خطبتك و تحديد موعد الزفاف فهو متعجل كثيرا ، و لتعلمي إن أعطيته كلمة لن أرجع بها و إن خرج والدك من قبره هل أنا واضح ؟

اضطربت و اتجهت نحو الباب غاضبة ، و بعد أن فتحت الباب انتظرت لحظة ثم عادت و أغلقتة ، التفت لي فانتظرتها أن تسبر لي بما في قلبها

: حسنا هل تعدي أنك لن تغضب ؟

جلست إلى الأريكة و اعتدلت بجلستي

: حسنا أعدك ، هاتي ما عندك .

أخذت نفسا عميقا و أخرجته و دون مقدمات

: أنا أحب توفيق .

سحبت علبة السجائر من فوق الطاولة ، أشعلت سيجارة ، فنظرت نحوي باستغراب فكانت تتوقع رد فعل آخر تماما ، ثم عاودتها و كأنها اعتقدت أنني لم أسمعها

: ياسين أنا أحب توفيق صديقك !

: أعلم أنك تحببته و أنكما عاشقان و تتقابلان دون علمي .

أحنت رأسها ، و بدأت تبكي....

: ياسين أنا آسفة لم أشأ فعل شيء دون علمك لكن كنت أخشاك كثيراً .

ثم أجهشت بالبكاء

: آسفة ياسين ، حقا آسفة أنت أبي و أخي و كل شيء لي ، ما كان يجب أن أفعل

ذلك لكنني أحبه ، و أقسم لك أنني لم أخطئ أو أفعل شيء يسوء إليك .

هممت واقفا احتضنتها إلى صدري و حوطتها بذراعي ، فزاد بكائها....

: أعلم أنك فعلتها دون علمي لأنك تحببته و كنت تخشيني ، و أوقن أنك لن تفعلي

شيء يسوء إليك أو إلي .

تساءلت و شهقات بكائها يسبق حروفها

: إذن فلست غاضب مني !

: بالطبع أنا غاضب لأنك وارييت عني حبك له خشيت أن أغضب منك ! حمقاء ألا

تعلمي أن لا أحد يغضب من ابنته ! و أنت هي ابنتي و لا أحب أحد قدر ما أحبك

يجب أن تفهمي هذا .

: و أنت لي كل شيء أخي و أبي و صديقي ، فأنا لا أعلم لي أب سواك .

ابنست لها و شاكستها

: بعد أبي تلك كيف يمكنني أن أظل غاضب ؟

: إذن لن تزوجني سامح ؟

ابتسمت و مسحت جبينها

: كلا ، فذاك المجنون قد ينتحر بعدما يقتلني إن زوجتك أحد غيره !

: هو يعلم أنك تعلم بما بيننا ؟

رفعت حاجبي و بابتسامة مشاكسة

: حسناً ، بهذا الشأن .. نعم هو يعلم .

فغضبت أحداقها

: و لم يخبرني !

اتكأت إلى المكتب خلفي ، و داعبتها

: أعتقد أنه يستحق بعض العقاب لأجل ذلك ، فأرى أنك غير مسيطرة بالمرّة !

زاد غيظها و عقدت حاجبيها

: حسنا سأقتلع رأسك يا توفيق !

فعلت ضحكتي

: تلك فكرة جيدة جداً .

: ماذا ستفعل مع عمي و جدي بشأن الزواج ؟

: لا تشغلي بالك بهذا ، و هيا اذهبي للنوم الآن و اتركي هذا الأمر لوالدك اتفقنا !

: أحبك ياسين .

: أعلم .

ابتسمت لي و همت للخروج و قبل أن تلتفت أمسكت يدها

: لي لي لا تخبري أحد عن ما بينك و بين توفيق بالوقت الحالي ، حتى تنتهي من
مسألة سامح تلك .

: لكنني أخبرت أحدا ما !

فسكنني بعض الضيق

: من ؟

: ايما

تعجبت كثيراً حين أتت على ذكرك

: ايما !

: نعم لكن هي لن تخبر أحد أقسم لك .

زادت دهشتي لما أخبرتك أنت ؟....

: لما خبرتها ؟

: لأنني أحبها و أشعر بالارتياح معها كأنها أختي ، فهي من ألحت عليا أن أتي إليك
و أصارحك بكل شيء ، أخبرتني أن لا أخافك و أنك لن تخذلني مهما فعلت ، و أن
لا أحد سيحبني أو يخاف عليا غيرك ، و أنك ستحميني و تدافع عني برغم أي شيء
، هي من رفعت عن قلبي خوفه منك ، لا أكذبك القول هي أزاحت الكثير من رهبة
منك ، أشعر أنها تخاف عليا كأختي .

حينها أخذني عقلي إليك ، فبكل لحظة أشعر أن قلبي لم يخطئ باختيارك

: لا بأس أنتِ أصبتِ باختيار من تسبري له أغوارك ، اذهبي للنوم الآن تصبحين
على خير .

: تصبح على السعادة و الحب أخي و أبي و سندي .

ابتسمت من دعوتها لي ، و طبعت قبلة حانية على جبيني و غادرت إلى غرفتها .
حينها اتجهت عيني إلى شرفتك و خاطبني قلبي و عقلي “ تلك هي من عشقت و
يبدو أنني لست وحدي الغارق بهواك حبيبتي فمن يلومني إن غرقت بك ، و كل من
يقترّب منك يقع بغرامك ”

تواريتِ عن قلبي عدة أيام لم أكن أعرف ماذا يحدث ؟ فدائماً ما تثبت
تصرفاتك الحيرة بي ، و تجعلني أقف بين حافتي الشك و اليقين ، تلك اللحظات التي
أشعر بك تفتحي لي باب الغرام على مصراعيه ، و لحظات أخرى أجدك تغلقين
بوجهي كل سبيل إليك !!! تشيدين أسوار فوق أسوار لتمنعيني وصولك ، فبكل يوم
يزداد شعوري مولاتي بأنك لغز كبير ، لغز كلما استشعرت أنني فككت طلاسمه و
أزحت الستار عن ما بداخله ، أجدني ضائع بسبله تائه بين ثناياها ، فأنتِ معذبتي
لغز بكتاب تأخذني أمواج التيه ببحوره ، فضاء عقلي بين حروفه و غرقت قواربي بين
سطوره

بذاك النهار ، علمت مصادفة من لي لي أنك ذاهبة إلى إحدى مكتبات الكتب القديمة
، فتبعتك حتى وصلتِ دلفت خلفك إلى المكتبة ، ثم تبعتك صعوداً إلى الدور العلوي
بها ، و حين رأيتني هممت مغادرة فاستوقفتك

: أريد أن أتحدث معك ايما .

: لا يوجد شيء نتحدث عنه !

ابتسمت بغیظ منك

: بل هناك الكثير شريكتي !

هممت راحلة فأشعل تصرفك صدري غضبا ، فجذبتك من ذراعك بعيدا عن الأنظار
....

: لا تجبرني على فعل شيء لن يعجبك !

: أهذا تهديد أو شيء من هذا القبيل ؟

تتهدت و أنا أكظم غضبي

: لا أجرؤ حتى التفكير بها ، لكنني لا أستطيع الحديث معك ، كل محاولاتي
بالاقتراب تقابل بالهروب منك ، أنت هي التي لا تترك لي خيار آخر ، أرجوك لا
ترغمني عليها !

: أرغمك على ماذا تحديداً ؟

: أن أفعل شيء يضايقك ، شيء لا ترضي عنه ، حتى يتسنى لي رؤيتك و الاقتراب
منك !

بادرتني دون تردد و بقطعية صعقتني

: سأسافر لزيارة خالتي ، ثم أعود إلى إنجلترا إلى الأبد !

أفزع قلبي ما قلتيه تلك الحدة بنظرتك ! تلك القطعية ، فتساءلت و كأن عقلي و قلبي
لم يسمعوا ما تحدثت به

: ماذا ؟

: سأبتعد للأبد ، و لن أعود و لن أكرث إن لم يوافق أنا راحلة و هذا آخر ما لدي !
دفعت الحائط من حولك بباطن كفي بغضب ، فارتجفت

: حمقاء !! أعتقدين أنه يمكنك الرحيل و كأن شيء لم يحدث !

: صدقني أنا تحتاج هذا أكثر مني ، ياسين أنا لست سوى نزوة بحياتك ، لن أكون
سوى موعدا بدفتر مواعيدك ، و أعتقد أنه يمتلأ بالكثير !
زاد غضبي منك جبلا اقتربت منك و وضعت كفي على الجدار حولك

: أعتقدين أن حبي لك نزوة ! أعتقدين كل هذا العشق بداخلي لك شهوة أرغبها منك !
أنك لي مثل باقي النساء ! أخبريني هل حقا تعتقدين ذلك ؟
أغمضت عينيك بعد أن لمعت دمعة بأعماقها

: لا يهم ماذا أعتقد ! المهم أنني سأبتعد و أنت ستتركني إن كنت حقاً تحبني
ستتركني ياسين ستشفق على قلبي الذي تحطم بينك و بين واقعي ، ستشفق على
عقلي الذي تفتت من كل هذا الجنون !
طفت دمعاتك المتقطعة

: ستتركني ياسين لأنني أموت بعشقتك ، ألم تقطع لي عهداً بأنك لن تترك مكروها
يمسني ؟ فأوفي بعهدك لي و اتركني ! عشقتك يقتلني !

تسمرت قدماي بموضعهما ، تساقط كلي مني أمام ألمك ، حتى أن دموعك انتزعت
مني وعداً بالابتعاد! انتزع مني صراخ قلبك وعدا بالانتحار ! رفعت يدي و رحلت ،
حين التفت إليك علق عيني بخطاك المترنحة خطاك الضالة المتعبة حتى غبت عن
ناظري ، لملت جسداً زهقت منه الروح ظللت أطوف الشوارع ضال! عقلي شريد دون

أمل قلبي طريداً دون وطن! حتى عدت فجرا فارتيمت بأريكة المكتب ، مقابل لشرفتك
كي أدفن ما بقي مني هناك حيث ولدت أول مرة بهواك !

تتوالى أيامي بالغياب سنوات ، فلا تأبى المرور و لا تأبى حتى الهدوء
عن النبض بك ، اعتقد أن كل ما بي غادرني إليك و لم يعد يبقى لي شيء ، غادرني
كلي حينما استيقظت ذاك الصباح ووجدتك بالفعل غادرت ، أحاول التمسك بصوابي
في غيابك ، أحاول التشبث بمظهر كان حالي ، الا انه لم يعد لي حال بغيابك أحاول
تجنب الحديث مع الجميع حتى لا يلحظ أحداً شرودي طوال الوقت !

و لكن أكثر ما فاجأني حديث كريم معي بإحدى سهراتنا معا ، حين حاول التهرب من
الحديث عن سير العمل بتوسعات المصنع ، فأعلم أنه بدأ بالتعثر و يحاول إخفاء
الأمر ، فشاغبني أنه بقلبي امرأة قلبت حالي ! فابتسمت و لم أنفي و لم أؤكد خاصة
حين أقسم على ذلك بقبر والده ! و بينما كان يحاول توفيق تشبث انتباه عن الحديث
بهذا الشأن بالحديث عن صديقه الجديدة ! خاطبني لسان حالي و أنا أطيل النظر به
.....

“ نعم قد تكون تعلم أن بقلبي امرأة ! لكن هل تعلم أن امرأتي التي أرغب ، امرأتي
التي أشتي عشقها هي امرأتك التي يعذبها امتلاكك لها ! امرأتك التي تفعل أي شيء
لتنتفك عنها قيودك ! أتعلم أن تلك المرأة التي يقتلني بعادها ويسلخني غيابها هي
امرأتك التي تدعي ربهها كل ليلة لتغادرها إلى الأبد !

عدت برأسي إلى الخلف تنفست بعمق ، و أنا أحاول التشبث بما بقي من أنفاسي التي
رحلت معك ! ولازال عقلي يركض خلفك بطرقات الوهم و جحيم الاشتياق !

فإلى متى سأحتمل هذا الجحيم ؟ أعتقد أن كل ما بي لم يعد يحتمل فبكل مرة تبتعدني
عني ، أشعر بأنني سأفقد بغيابك ما بقي من عقلي ! مثلما فقدت على أعتابك قلبي ،

لكن قلبي لازال يوقن بعودتك يوقن برجوعك فكيف سترحلين و كل ما بك بين أضلعي
و كل ما بي ساكن بك !

لكنني بت أخشى من لحظة جنون تقودوني إلى كل ما أشتهى بك ! أخشى من سكرة
بعشقك لا يقوى قلبي تحملها فيرتكب حماقة تزيد من غضبك ، و يا ويل قلبي حين
أغضبك كطفل لا يحتمل غياب أمه ، لا يحتمل عقابها ، وكم هو قاسي عقابك
معذبتني حين تحرمني رؤيتك ! تحرمني إيماني بأنفاسك ! حين تمنعيني أن أتتفس
عيناك ! رفعت عيني و تضرع عقلي و قلبي قبل لساني
“ فيا ربي زدني صبرا ليحتمل قلبي جحيم عشقها ”

لم تكن سوى لحظة ضعف مني لحظة خاننتي بها رجولتي فليس بقلبي ذرة تتحمل
ألمك ، لحظة واحدة أشفت علي قلبك الرقيق معذبتني و تركتك تنتزعين وعداً بالابتعاد
عنك ، وعد لم أقطعه بل هو من قطع نبضي قطع عني أنفاسي ، أحرق أنا ظننت إن
نفذت رغبة لك بالغياب لعلها تريح ضمير يعتصرك ستجدين السعادة ! لا أعلم أكنت
أخدع نفسي بأن لي القدرة على فراقك ؟ أقوى التغلب على إيماني بك ؟ أم كنت
أخدعك أنت ؟ أخطر أوصالك المنهكة من كثرة القتال بمعركة القدر ؟ أمنحك هدنة لن
يحتمل قلبي أن تدوم طويلاً ؟ أحرق كيف ظننت أن فراقني سيريحك كيف وفراقك
هو موتي ! كيف أقبل بتلك صفقة خاسرة أخسر بها قلبي الساكن بين ضلوعك ! كيف
لقلبي أن يتركك تُحيطني يأس لأعلن استسلام لم تجرؤ اعلانه ! كيف لقلبي ألا يرى
حقيقة أنك أكثر من يدفع ثمن عشقنا و فراقنا ! لكن أكثر ما كان يوجعني و يؤلم قلبي
أنني كنت أوقن أنني أكثر الضغط عليك ، فظلت أملاً الكأس حتى فاض ما به ،
لكنني لم أكن أعلم أنه سيفيض بوجهي قبل الجميع ، فأني حماقة ارتكبت بهذا وعد

شطرنج نصفين ! لكن عزائي الوحيد أنني أعلم أن عشقي الساكن بين ضلوعك
سيدُ عيدك لي ، أعلم أنك لن تكوني بخير دوني ! لكنني سأظل على وعدي حتى ينكسر
عك وعدك ، فقلبي يوقن أنه سينكسر عنك لكن ما يُخيفني هو إلى متى سيحتمل
قلبي الانتظار ؟ و إلى متى ستحتملين الصمود ؟ فأني منا سيصمد أكثر ؟ الأسوأ أنني
أعلم أنني لن أحتمل ! و أني لي الصمود و قد قتلني شوقي إليك و قضي الأمر ؟
فإلى متى سيصمد قلبك معذبتني ؟ و أنتِ هي الأقوى بضعفها ، أنتِ هي التي لا
تتوان عن محاربة ظلها ، أنتِ من يتدثر خضوعها بكبريائها و عنادها !! لكنني
أتوسلُك ألا تصمدي كثيرا حبيبتي ، فقد أعلنت استسلامي حتى قبل أن ينطق لساني
وعدي ! هيا صغيرتي فإنني قيد الانتظار !

“ ياسينُ أحبك ، فلا تتركني ! ”

استيقظت من نومي على صوتك يهمس بها بأذني فانتفضت من مخدعي لها ، تلك
المرّة الأولى التي يرن بها صوتك بحلمي و كأنك أمامي ! فشعرت بأنفاسك حقيقة ! لم
تكوني حلما ! لم يكن قلبي يهذي بك بل كنت واقعا متمثلا أمامي ! أنفاسك طارت

برأسي ترفرف بين ثنايا قلبي ، تُحيي روحي التي هُتت على أعتاب غيابك ! رغم
ابتسامتك الصافية إلا أن غيوم دمعائك مست قلبي شعرت بها تبلل جبيني !! أحسست
أناملك لامست أناملي تحاول التشبث بي ! اعتدلت بجلستي و صدري يلهث أنفاسه ،
و رهبة ملأت صدري فأسدلت قدمي عن السرير و كفاي يعتصران حافة الفراش
بخوف سكن صدري ! ضيق قلبي يُّحدثني أنك لست بخير يخشى من مكروه أصابك
، و صوت يركض بعقلي ' هو فقط حلم ' ! نهضت عن السرير و العرق يطفو
بوجهي ، و أنا أنظر إلى شرفتك خاوية الاقدام و أستجير بربي من مجهول أخشاه ،
و أرجوه بخير أمله ، أتوسل إليه أن يكون حلم و أن تكوني بخير !

هبطت الى الدور الأرضي من القصر و كلي مشتت تائه من حلم قدر ما أحياني
بصوتك و روى روحي بأنفاسك ، قدر ما أفرعني خوفا و رعبا عليك . حين وصلت
إلى بهو القصر وجدت أمي تجلس على الأريكة تتصفح إحدى المجلات ، و جنا
طفلي تفتش الأرض و هي تلعب بإحدى ألمى و معها كلبها ، فاتجهت نحوها و
حين رأنتي همت واقفة و شبكت ذراعيها و نظرت لي بغضب ثم اتجهت الى الحديقة
، فتسمرت لحظات بمكاني من ردة فعلها نحوي ، فتبادلت و أمي النظرات و وجهي
يمتلأ بالدهشة مما فعلته ، فرفعت أمي حاجبها و قالت لي
: هي غاضبة منك .

تتهدت و أنا أمسح رأسي بباطن كفي ، و عيناى تجول بكل ما حولي

: لما كل النساء يغضبين ! ألم يخلق الله بهذا الكون امرأة لا تغضب و لا تثور !

ضحكت أمي و هي تنهض عن مجلسها ، و تتجه نحوي

: حين يتوقف الرجال عن حماقتهم ، سنتوقف النساء عن غضبها !

: و أي حماقة قد ارتكبت كي تغضب مني الى هذا الحد ؟

وضعت أُمي يديها تربت على كتفي

: لم تراك منذ ثلاث أيام متواصلة ، غير أنك لم تصحبها إلى الخارج يوم إجازتك كما أخبرتها ، أيكفيك تلك حماقات أم تريد المزيد !

:اذن أعتقد أنني أستحق أن تُعلن ضدي الأحكام العرفية !

ابتسمت أُمي و هي تمسح بباطن كفها على رأسي

: أعتقد ذلك .

أطالت نظرتها بي ، و هي تمسح بحنو على شعري ، حنو يجعلني أرغب أن أعود طفل صغير بين أحضانها

: ما بك يا صغيري ؟ لما أحس بك مُتعب مُثقل الأحمال ؟ أحسُ شبح يسكنك !

: أنا بخير يا أُمي

: أنت لم تكذب عليا سابقا طوال حياتك فلا تفعلها الان !

أسبلت جفناي فهي الوحيدة التي لا يمكنني أن أوارى عنها شيئا ! حتى و إن حاولت فكل ما بي يفضحني أمامها ! فمن يمكنه الكذب على من اشتق منها ! على من خلقه الله قطعة قطعة من داخلها ! حتى و إن حاولنا نحن الكذب عليهن ، و تصنعن هن التصديق ، فهن يعلمن حين نكذب إلا أنهن يُحاولن مجاراتنا ، فبالنظرة الأولى يعلمن ما نسبر دون أن يسألنا أو نحكي ، فتهربت

: ما من شيء فقط العمل .

سحبتي من يدي و أجلسنتي إلى جوارها ، و هي تغوص بنظراتها داخلي ، فابتسمت و ربت على كفها و أنا أرفعها لأقبلها

: اطمئني يا أُمي أنا بخير فقط بعض العمل ؛ لا شيء يستحق قلقك !

: لنقل أنني سأكتفي بهذا الجزء و سندخر باقي ما يواريه قلبك عن الكون و عني لجلسة أخرى ؛ فأعلم أن بقلبك ما يؤرقه ، به ما يجعلني أرى تلك البسمة الحزينة بين طياتك لكن دعني أخبرك شيء —

: أمي —

أسكتتني بلمسة من أناملها على فمي

: لا تقاطعني أو تحاول أن تكذبيني ! فأنت متقلب الأحوال في الآونة الأخيرة ، شعرت بشيء مختلف بك ! شعرت أنك سعيد لا أعلم مصدر تلك السعادة التي كانت تغمر عينيك و أشعر بها بقلبك ! و لن أجبرك أن تطلعني لكنني اكتفيت بمراقبتها بعينيك ؛ و ما جعلني أتحدث الآن هو هذا الحزن المفاجئ الذي بدأ يعتريك ، تلك التيه التي عاودت أدرجها إليك ! أرى أن سعادتك تغادرك أراها راحت تنفلت من يديك ، و قلبي ينبئني بأنها لو رحلت ستأخذك معها ستحطمك

لحظتها اكتشفت أن أمي تشعر بي أكثر ما أشعر أنا بذاتي قلبها يرأف لحالي أكثر من رأفتي بنفسي ، فأثرت الصمت فماذا سأقول بعد كل ما قالته ! حتى محاولة الكذب لن تُجدي معها نفعا ! الصمت هو كل ما أمتلك أمام قلب أمي ، فأحنيت رأسي قليلا فرفعتها و ابتسمت لي

: قلبي ينبئني أن أي كان ما تواريه بقلبك ما يعذبك ، ما يجعل الحزن يطفو بعينيك هو ذاته ما أسعدك و غمرك بالسكينة ، فتمسك بما جعل قلبك ينتفض بالحياة !

ثم أطبقت بكفها اليمنى على كتفي اليسرى و بنظرة لمعت بعينيها

: فلتعلم أن العمر نهر حين نولد يجري بين أيدينا ، لكنه نهر لا يتجدد فولادتنا منبعه و وفاتنا مصبه ! و كل يوم يمضي بنا يهرول من منبعه كي يبلغ مصبه ! فيفارق رحانا قطرة تلو قطرة لا يمكننا منعه و لا يمكننا اعادته فقط نراقبه ! و ليس لنا به سوى سبيلين إما أن نظل نراقبه و هو ينفرد من بين أيدينا و نموت له ظمأ و حسرة !

و إما أن نزرع به أحلامنا و نروي منه سعادتنا وحياتنا و نحيي بمائه قلوبنا العطشى !

ثم وضعت باطن كفها الأيسر على صدري

: فلا تترك نهرك يتسرب منك دون أن ترتوي ! لا تمت ظمأ و مائك يجري بين يديك ! فهي حياة واحدة و ربك خلق عباده و هو بهم رؤوف رحيم و هو عز وجل أحبنا نحن عباده البشر و كرمننا فوق خلقه أجمعين فخلق لنا السعادة و الشقاء و ترك لنا حرية الاختيار ، فنحن من يختار أي سبيل نسلك ؟ نحن من يختار أيهما نحيا ؟ و ما خلقك ربك لتسقى ! فلا تترك شقائقك يسير بك بين دروب الحياة و تشبث بقارب سعادتك ، فمهما كانت الرياح عاصفة فيظل النهر نهرك و الموج طوع يدك !

و بينما كان كلام أمي يجول بخاطري ويطرق أبواب قلبي ، حتى كدت أفيض لها بما داخلي حتى فاجأتنا لي لي بمشاكسة

نحسنا تلك الجلسة تُخيفُنِي قليلا ، لما أشعر بأنكما تدبران لانقلاب للحصول على كرسي الحكم الذي يتصارع عليه من بالشرق و المغرب !
تبسمت أمي و هي تعتدل بمجلسها

: حمقى لا يعلمون أنهم إن أحضروا أريكة ستكون مريحة أكثر و تتسع للجميع .

: أتعلم يا ياسين لما اختارت أمك الأريكة ؟

رفعت رأسي باتجاهها مغتصبا ابتسامة ، فاسترسلت و هي تضحك و تخبط كفيها و تتقدم نحوي

: أمك تنوي أن تشاركك الحكم و إن أعجبها الحال و أقسم أنه سيعجبها فتلك لعنة السلطة ! ستقُصيك ! و تتخلى عن نظرية الأريكة ، و تعيد استبداد نظرية الكرسي مرة أخرى !

هممت واقفا و أنا أبتسم من مشاكستها

: لكي نكون منصفين ، إن حكمتها أنا سأحكم بقليل من عقل و كثير من مصالح كما فعل السابقون و كما سيفعل اللاحقون ! و سأعدك كما يعد الجميع بانفراجه بعد أن نعبر عنق الزجاجاة ، و لا تسأليني كيف أو متى سنخرج من هذا العنق ؟ لأن صراحةً لا أحد يعلم حتى ما هو هذا العنق ؟ فهو أحد أسرار الفراعنة الدفينة التي لا يجب أن تفتشي خلفها حتى لا تصابي بلعنتهم !

ضحكت أُمي و زادت ضحكات لي لي و هي تجلس إلى الكرسي المقابل لأُمي ، ثم التفت إلى لأُمي

: لكن إن حكمتها أمك بقلبها و حكمة عقلها أكاد أجزم أننا سنرى الرخاء الذي يكتبون عنه ، هذا الذي نسمع عنه و لا نراه ، ستعيد أمك أمجاد ملوك الفراعنة .

ثم تحركت خطوتين للأمام ، وتوقفت و التفت لأُمي.....

: لكن أُمي !

فرفعت عينيها نحوي باهتمام ، فشاكستها

لحرصني أن تُعيد أمجاد ملوك الفراعنة فقط ، و لا تُعيدني معهم الزجاجاة أو عنقها !

علت ضحكاتهم كثيرا ، و داعبتني أُمي و هي تنظر إلى لي لي

: ذكريني أن أكتبها بمفكرتي ، حتى لا ننسى و تصيبنا نحن أيضا اللعنة !

ثم رفعت لي حاجبها ، وهي تشير برأسها الى الحديقة

: و الآن اذهب أنت لتفك لعنة احدى نساءك الغاضبات !

نظرت إلى الحديقة ثم عاودت النظر إليها ، و أنا أحك ذقني بأطراف أصابعي

: أعتقد أن فك لعنة الزجاجاة ، أسهل من فك لعنة امرأة غاضبة

ابتسمت ، و هي تشير لي بالذهاب لأنال رضا صغيرتي الغاضبة التي لم يدم غضبها كثيرا بعد أن أخبرتها بأننا سنذهب معا يوم الإجازة للتنزه سويا ، و بالطبع كي تضمن أن أوفي تلك المرة جعلتني أطلق لها وعدا و قد وعدتها و ما بيدي كي أنجو من غضبها ، لكن الخروج مع لي لي لشراء بعض الألعاب الجديدة كانت طريقة أسرع لإرضائها و التعويض عليها ، فهي محقة فعبت أيامي بي في الآونة الأخيرة بين مشقات العمل و مشقات عشقك ! جعلني أقصر بحقها .

مرت الأيام ولم يأتيني منك خبر و لم تعودي ! و لازال حلمي يراودني و أنت تبكين و تحاولين التشبُّث بيدي و لا أستطيع فأحس كلي مشنت ، و

الحياة تتساقط مني فلا شيء يمكنه أن يخفف وحدة قلبي بغيابك فكم يؤلمني انهزامي
الدائم أمامك ، فأنا دائماً أنتظرِكَ وتبا لكِ ألا تشعرين بالحنين لي يوم!

كلام أمي يغزوني ليل نهار يسيطر على كل ما بي ، لا أعتقد أنني سأترك سعادتي
تتسرب من بين أصابعي ! كنت أحاول إيجاد باب يعيدك لي ، يعيد مائي إلى نهري
فلا أشأ أن أموت ظمأً إليك ! حتى أتاني توفيق تلك الليلة جلسنا بحجرة المكتب
جلست صامت غارقاً ببحور التيه، و كلي معلق بشرفتك المظلمة شرفتك خاوية الأقدام
، و بات الكون كله معها خاوي دونك ! تتقاذفني الأفكار بين أمواج الاشتياق إليك و
بين غضبي من غيابك عني لتجرفني بعيداً عن شواطئ الراحة و السكينة ، فإلي متي
الصمود صغيرتي ؟ فلازلت على وعد الهوى و قلبي يوقن أنك لازلت تعزفي على وتر
عشقي لحن الاشتياق ، لكن ألم يحن وقت الاستسلام بعد ! ألم يغمرك صقيع الغياب
! ألا تشعرني كل هذا البرد داخلك كما يشعر قلبي ! فهيا حبيبتي اكسر لي وعداً كبلني
من حديد ، هيا معذبتني اشرق لي دفاء يمحي هذا الصقيع ، أنتظر أن تفتح لي باب
لأعبر منه هذا الجحيم ! كم أشتهي أن أصرخ بين ضلوعك اشتقتك ، إني أنتظر
حبيبتي ألم يحن بعد وقت الربيع ! انتظرت كثيراً تلك المرة و لم تأتي فلم أعد أحتمل
كلي ينهار .

: ما بك ؟

بادرني بها توفيق حتى يعيدني من شرودي بكِ ، فأجبتُه بضيق

: ما بي ! لا شيء أنا بخير .

سحب كرسيه و جلس قبالي و رفع عينه بعيني و بعد لحظات صمت بيننا

: كلا لست بخير ، بك شيء ! ألا تعلم يا صديقي أنني أقرئك دون أن تحكي !

: وماذا قرأت ؟

ابتسم و شاكسني

: يا الهي .. تلك التهيدة وحدها يكتب بها مجلدات !

بادلته البسمة بضيق فريت على ركبتي

: ما بك يا صديقي ؟ أشعر و كأنك كبرت ألف عام ! ماذا حدث ؟

رفعت عيني إلى شرفتك و لم أجب

: خبرتني لي لي أن ايما مختفية منذ عدة أيام ! أهذا هو السبب ؟

: وعدتها أن أبتعد عنها !

اعتدل بجلسته و ارتسمت بتقاسيم وجهه الدهشة

: ماذا ؟

: اعتقدت أنني أساعدها ، اعتقدت أنها سـ

ثم صمت و بدأت تزيد غصة بقلبي ، فسألني و هو يحرك كفه باستفهام

: أنها ماذا يا ياسين ؟

هممت واقفا و الضيق يسرق أنفاسي

: اعتقدت أنها ستعود لكن يبدو أنها تصمد أفضل مني بالغياب ! فدائماً هي الأقوى !

لا أعلم أنى لها تلك القوة ! أنى لها الاحتمال !

هم واقفا خلفي و هو يحاول تهدئتي

: اهدأ يا صديقي .

استندت إلى النافذة بكفي و عيناى غارقتين بشرفتك

: كيف لها أن تفعل هذا بي ؟ كيف لا أحتمل وكيف لها الاحتمال ؟ كيف لها تحبها وأنا أموت ؟ كيف لها أن تستعذب الفراق وقلبي يتجمد بالغياب ؟

: ياسين ، توقف عن فعل هذا بنفسك .

التفت إليه ، و قلبي يزداد ألمه

: هل حقا أصبحت بخير من دوني ! فلما أشعر بالانهيار دونها ! كيف تكون أفضل بغيابي ؟ و أحس الضياع بغيابها !

: اهدأ ، ستعود إليك .

: لو تعلم كم قلبي غاضب منها ! كيف لها أن تفعل هذا بي ؟ كيف تتركني أجن ببعدها ؟ منذ غابت عني وأنا أنهار وكل ما بي يغادرنى لأجلها !

أمعن النظر بعيني و هو يشد على كتفي بكفه.....

: ستعود ، أنا متأكد أنها ستعود ، هي تحبك و لن تحتمل غيابك أكثر، و إن كابررت و منعت نفسها عنك سيعيدها كريم ، و لا تنسى هي تظل شريكك ، كل طرقها ستنتهي عندك ، ليس لها سبيل غيرك !

: لم أعد أحتمل ، أنى لك الاحتمالُ معذبتى !

: لما لا تتصل بها ؟

هويت إلى الأريكة فلم أعد أحتمل

: وعدتها أن أبتعد ، لا أستطيع أن أكسر وعدي !

جلس قربي

: هي لازلت شريكك ، و لا دخل لوعد العشق شأن بالعمل !

: لا أقدر أخشى أن أنهار أمامها ، و أعلم أنها الأقوى !

و بغضب يركض بين أحداقي و أنفاسي

: تلك العنيدة كم أرغب بأن أحطم كبريائها الذي يمنعها عني ، أحطم كل هذا العند

الساكن بها ، هذا الذي يقف بيني وبينها هذا العند الذي يقويها لتحارب ظلها !

شاكسني

: أعتقد أنك إن رأيتها لن تحطم شيء سوى ضلوعها ! و أنت تحتضنها بين ذراعيك ،

فأنت غارق بها يا صديقي ، و كل هذا الوجع الساكن بك لأنك تشتاقها !

: آه .. لو تعلم كم أشتاقها ؟ و أشتاق الغرق بعينيها ، و الترحال بابتسامتها ! كم

أشتاق همسات صوتها ، حتى هذا العند الساكن رأسها ! فقلبي يشواق كل ذرة بها ، آه

.. لو تعلم تلك الحمقاء كم أموت اشتياق لأنفاسها !

حينها أمسك هاتفه

: أتعلم سأتصل أنا بها !

اعتدلت من مفاجئته لي

: ماذا ؟

: أنت وعدتها ، أنا لا .

أمسكت الهاتف بيده

: وماذا ستخبرها أنني أموت بغيابها ! و هي من تحييا بفراقي ! أنني أحترق لها شوقا

وهي تظل صامدة !

سحب الهاتف من يدي و هو يفتش عن اسمك

: أنسيت أنها شريكتي ! سأتصل للاطمئنان عليها ، وسأفتح لك مكبر الصوت فتسمع صوتها فهذا قد يرضيك و يهدأ من لوعتك !

: يرضيني ! سيرضيني توفيق ، وهل بيدي أكثر ! أنا من قطع الوعد و أنا من يدفع الثمن ، أنا من يلتزم بعهده فيجب أن أتحمل !

اتصل بك ، و وضع الهاتف على الطاولة بعد أن فتح مكبر الصوت ، و مع كل دقة ترسل لك عبر الهاتف كانت دقائق قلبي تسري بين أثيره ، و حين أجيب الهاتف هوت خيبة أملي فوق نبضي ، أبطنه حتى كاد يتوقف لم تكوني أنتِ
: السلام عليكم .

: و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته ، كيف حالك ايما ؟
فهمست له بصوت لا يكاد يخرج و أنا أشير له بإصبعي بضيق
: ليست هي ؟

أشار لي أن أنتظر ، و جاءنا الصوت الآخر
: عفوا ، لست ايما

: أعتذر منك ، هل أستطيع محادثة مدام ايما ؟

: للأسف ، هي لن تستطيع التحدث إلى أحد !

توقف قلبي و اعتصرتني أنفاسي شعرت بضيق ، فنظر لي توفيق
: لماذا ؟

: عفوا ، هل لي أن أعلم من المتصل ؟

: أنا توفيق شريكها . لماذا لا يمكنها التحدث ؟

جاءني ردها ليفزع قلبي و يزيد ضيق صدري ، و يؤكد حلمي

: للأسف ، هي مريضة و لا يمكنها التحدث بالوقت الحالي .

وضعت رأسي بين كفي و قلبي يكاد ينشق عني ، فسألها توفيق و هو ينظر لي ...

: مريضة ماذا حدث لها ؟

: لا أحد يعلم ما بها تحديدا ، هي لا تستطيع الوقوف على قدميها ، و ليست بحالة

جيدة فلا تقوى على مغادرة الفراش !

ظللت على حالي و أنا أطقق الأرض بقدمي بحنق يطير برأسي ، فسألها

: منذ متى و هي على تلك الحال ؟

: تقريبا منذ أسبوع الآن ، يوم وصلت يوم غُشي عليها ولم تغادر الفراش من وقتها .

رفعت رأسي فنظر نحوي و كأنه شعر بي

: ألا يمكنها التحدث ، أريد أن اطمئن عليها ؟

: أعتذر منك كثيرا ، هي متعبة لا يمكنها التحدث الآن .

هممت واقفا و لم أعد أحتمل أكثر ، فأنهاى المكالمة

: لا بأس ، بلغيتها تحياتي وتمنياتي لها بالعافية .

: شكرا لك ، السلام عليكم .

أغلق الهاتف و نظر لي ثم بادرنى بنظرة زادت وجع قلبي

: يبدو أنك تحتمل أكثر ! يبدو يا صديقي أنك من صمد تلك المرة !

النقطت سترتي من فوق الكرسي و هممت خارجا فوقف أمامي

: ماذا تظن نفسك فاعلاً ؟ إلى أين أنت ذاهب ؟

: أحقا تسأل ؟

نظر إلى الساعة

: أحمق أنت ؟ الوقت متأخر على الذهاب إلى أي مكان !

انتبهت أن الوقت قد تأخر ، فتراجعت و جلست و قد ملأنتي خيبة الأمل و الوجد
يعتصر قلبي الملتاع عليك ، فشاكسني و هو يعاود الجلوس

: ثم أنك لن تستطيع الذهاب ألم تعدها بالابتعاد عنها ؟

صحت فيه....

: هي من كسر الوعد ، هي مريضة لأنها ابتعدت عني لأنني تركتها ، و لم تكن تلك
صفقتنا فليس عدلاً أن تخل هي بوعدها وألتزم أنا بعهدي !

ابتسم بخبث أعلمه ، ثم نظر لي و هو يفرك لحيته

: أنت محق ليس من عدل في ذلك ، هي من أخل بشروط الاتفاق لنذهب لزيارتها
معا بعد غداً !

: ماذا تقول أنت ؟ أكاد أجن لأنني لن أطمئن عليها الليلة ، و أنت تريدني أن أنتظر
لبعد الغد !

هم واقفاً ، و وضع كفه على كتفي

: فقط اهدأ ، و لا تنسى كريم ، ياسين فقط يوم واحد حتى لا يرتاب أحد

: بماذا ؟

وضع كفه على مؤخرة رأسي و هو يجذب رأسي نحو رأسه

: بلهفتك تلك عليها ، يوم واحد فقط لتهدأ و تستعيد اتزانك و تحكّمك بذاتك يا صديقي

صمت لحظة و بنظرة جادة ، رفع لي حاجبه و هو يعتصر بكفه الاخرى كتفي

: أقسم بمن خلقك إن لمحك طفل الآن و أنت على تلك الحالة ليقن أن هناك شيء يدور بينكما ، و هذا كريم من نتحدث عنه ! يوم واحد ليس بنهاية العالم لكن إن ذهبت هكذا ، ستقع نهاية العالم على رأسيكما !

استقر حديثه برأسي و سكنت له عواصفي ، فتنهدت بضيق و عاودت جلوسي و مسحت وجهي بباطن كفي أحاول عبور لحظاتي بين عقلاً يدرك كل ما قاله و قلباً ملتاغ لفراقك يكاد ينشق عني ليطمئن عليك فجلس بمقابلتي و هو يقول

: و أيضا حتى نعرف عنوان خالتها تلك ! فأنت لا تعرفه أليس كذلك ؟

: أتعتقد ؟

علت ضحكته و شاكسني بخبثه

: يا الهي .. ألا تترك شيء يعبر من كفيك ؟ ألا يوجد شيء لا تعلمه ؟

: إن كان هذا الشيء يخصها فلن أتركه يعبر من يدي !

ضحك كثيراً ، وظل يـُشاكسني حتى يلهيني عن التفكير بك ! جاريته و تظاهرت بأنني هدأت ، غادر توفيق بعد أن بدا له أنني هدأت !

عدت و عُطقت بشرفتك و عقلي قبل قلبي يعصف بي لأجلك ، أعلم أن توفيق محق لكن ما بيدي فقلبي كيف له أن يهدأ و يستكين و هو يعلم أنك تتألمين ! فكل ما بي كان يئن خوفاً عليك ، و يستجدي اللحظات و الثواني كي تمر ليتمكنني أن أحظى بقربك ، سألني أن أنتظر يوما فيراه بضع ساعات لن توقف العالم ! و أراه دهرا أراه

عمرا يحول بيننا أراه يقف بيني و بين نبضي الساكن ضلوعك ، يقف بيني و بين
أنفاسي بصدرك !

فيا ربي أعيني على طغيان عشقها بقلبي !

كنت أعلم أنني بدأت أتخطى كل مراحل الجنون بعشقتك ، لكن ما بيدي
و أنا الغارق ببحور الهوى في عينيك ، المتيم بكل حرف في قصيدة عشقتك ، كيف
لي أن أعلم أنك مريضة ! و لا آتيك مهرولا ! أثنائي عنك توفيق تلك الليلة بمعجزة !
لكن لم يستطع منعي بعدها و خوفا من أن تصيبيني احدى نوبات جنوني في عشقتك !
أتى معي لزيارتك و قد اتصل هو بكريم و أخبره أننا سنذهب لزيارتك ، رحب كريم
كثيرا بالزيارة لكنه اعتذر عن ملاقاتنا فلدیه موعد هام !

ذهبت الى بيت خالتك كي أطمئن عليك ، حين دلفنا أخبرها توفيق أننا أصدقاءك و
شركائك بالعمل ، لكنها حين دخلت إليك يبدو أنها لم تخبرك سوى أنه أتى أصدقاء
لزيارتك ، و هذا بدا جليا من الدهشة التي ارتسمت بمحياك حين رأيتني أمامك !
فبادرتني بدهشة عارمة

: ياسين ، ماذا تفعل هنا ؟

أسرعت خالتك بالتقدم خطوة و من خلفها ميس فكانت هي الأخرى عندك ، و قالت و
هي تنتظر إليك بغيظ

: ايما منذ متى تفنقري إلى الأصول ؟ هل يقابل أحدا ضيوفه بتلك الطريقة ؟

ثم نظرت إلينا ، و هي تشير بالجلوس

: أعتذر منك بشدة فهي مريضة لا تعي ما تقول ، تفضلوا بالجلوس .

وقفت لحظات بمكانك تنتظرين أرضا و يبدو الارهاق و التعب جليا على وجهك ،
فابتسم توفيق إلى خالتك

: لا بأس فهي متعبة و ليست بحال جيدة .

رددت ميس و هي تبتم و تهتم بالجلوس

: بالفعل هي كذلك ، يبدو أن تلك الحمى أثرت على كل ما بها !

ابتسمت لهما و أنا أنظر إليك و لازلتِ تنظرين أرضا

: لا مشكلة فما فائدة الأصدقاء و الأحباب ان لم يتحملونا وقت الشدة

لم أقل شيء آخر فكلي كان معلق بكِ تلك اللحظة كلي كان يتحرق شوقاً إليك ، لم

يكن بخاطري تلك اللحظة التي ارتويت فيها بكِ من جديد بعد كل هذا الغياب الذي

طال بي دهور ، سوى كيف أتركك و لا مجال لتعويض قلبي عنك ! فإن فقدتك

فأكون فقدت روحي و عقلي ، فلن أترك نهري يجف و هو بين يداي !

وقفت ميس و هي تسأل خالتك عن كرم الضيافة ، همت واقفة و أصرت أن تحضر

لنا الطعام ، حاولنا التوصل إلا أن اصرارها كان قاطع ، اتجهت إلى المطبخ فتبعتها

ميس ، ثم خرج توفيق إلى الشرفة بحجة إجراء مكالمة هامة ، فبقينا وحدنا هممت

واقفا تقدمت خطوات إليك و كلي معلق بكِ و لازلتِ تنظرين أرضا، فبادرتك

: كيف حالك الآن ؟ أتمنى أن تكوني بخير .

: لقد وعدتني ياسين !

أملت رأسي قليلا و بصوت متزن

: و أنتِ من أخلف وعده ! و ليس أنا !

: أنا !

أملت رأسي قليلا باتجاهك و كلي يرتوي من أنفاسك

: وعدتك أن أبتعد ما دمتي بخير ! أبتعد لتصبحي أفضل حبيبتي !

: أنا بخير حال !

ابتسمت بسخرية

: هذا يبدو جليا عليكِ ! يبدو أنكِ بأفضل ما يكون حقاً !

: ياسين .. أرجوك لقد قطعت لي عهدا !

: و أنتِ حبيبتي كسرتيه فلا تسألني المزيد ! أنتِ من أضاعت الفرصة حين وانتهت ، و

لم تلتزم باتفاقنا فلما تسأليني الالتزام !
اتكأت إلى الطاولة والدموع بدأت تملأ عينيك

: أتعلم أنني أدعو الله كل ليلة أن تكون واهما بي ! أدعوه أنني أحلم و أنك لست هنا
أنك و كل هذا العشق بيننا وهم ! حلم جميل سأفوق منه في الصباح !
أمسكت كفك الأيمن الصغير و وضعته على قلبي

: حبيبتي لو تعلمي أن كل دمة تسيل على جبنيك هي جمرة نار تُلقي بقلبي ، كل
لحظة حزن تقرب صدرك تشعل براكين بصدري ! فأنا هو من لا يحتمل أن يري هذا
الحزن والألم يسكن قلبك !

: أحبك ياسين ، و لم أعد أحتمل كل هذا ! إذا كنت أنا معذبتك ! فإن عشقك يقتلني
!

رفعت أصابعي لأمسح عن جبنيك دموعك

: أفعل أي شيء لأجل أن أرضيك ، إلا ابتعادك حبيبتي فهذا يقتل كلانا ، فلا تُفجعي
قلبي ثانية برحيلك عنه و عني !

زادت بسمتك الدافئة ، و ضغطت قلبي بقوة بأناملك الرقيقة

: كل ما أرغبه أن يتوقف قلبي عنك ! أن يتوقف عن عشقك ! لا أطلب أن أكرهك !
لكن فقط يتوقف عن حبك ! فكيف له أن يزيدك كل يوما عشق ؟ كيف له أن يتعذب
بكل لحظة في بعدك و مع هذا يزيدك كل يوما شوقا ؟ فقط أريده أن يتوقف عنك ! لم
أسأله ألا يحبك و لكن أسأله أن يتوقف عند هذا الحد ! أصبحت أنتفسك لا أرى سواك
!

رفعت أناملك اليسرى لترتحل بجبيني ، و ابتسامتك الامعة تُكبلني كلي

: دائما ما تسألني أنى لك الصمود بوجه عشقك ؟ لكنني لم أخبرك يوما أنني بعشقتك
أضعف من وليد بين أحضان أمه ! أنني بعشقتك أضعف من ورقة شجر في مهب
الريح! لم أخبرك أن صمودي بعشقتك هو هدنة يائسة تعلن قبل الاستسلام ! فلم أعد
أقوى احتمال فيضان اشتياقي إليك ! لقد اغتالني الحنين لعينيك وقضى على آخر أمل
لي بالصمود في هواك !

يا الهي .. خلاصة حبيبي حين تهاست لي شفتاك بما في قلبك ! حين تطلقي العنان
لإحساسك ليحكي ما بداخلك! حين تنفلت مشاعرك من قبضة كبريائك ، كم تأسريني
صغيرتي بعفوية عينيك حين تثرثر لي بما يخفي عني فؤادك ! فماذا أفعل بك ؟ و هل
بعد شغفي بك شيء كي أصل له بعشقتك ؟ و هل بعد قلبي شيء أقدمه لك ليعبر عن
امتنائي بحبك ؟ و هل بعد إدماني و جنوني بك شيء قد يحدث لي من غرقي ببحرك
؟ وجددتي أسرق قبلة من ثغرك ! أنا هو الذي أفرط بالشوق فثمل من شهد لُقياك !
وجددتي أقبل عينين غرقت ببحورهم من نظرة بأسهم العشق رُميت ! أقبل جبيننا
خطفني بابتسامة بلون الورد رُسمت ! و وجددتك أنت الصامدة بالعشق أضعف !
وجددتك ببحور الهوى أكثر مني غرقا ! كلما ارتويت منه زدت ظمأ ! لم أفق من ثملي
إلا بأنفاسك تتهامس لي

: حبيبي .. ياسين توقف !

لم أدري حين تهاست بها أنفاسك “ حبيبي ” أفيق من عشقتك ! أم أزيد فيك
غرق !!

حاولت لملمت ما بقي من عقلي الذائب فيك و اقتربت من أذنك و همست لك ...

: أقسم بمن رمى عشقتك بقلبي ، أقسم بمن جملك و كملك بقلبي صوت و صورة ،
بأن كل طريقا ستهرب إليه سينتهي عندي ! كل سبيل بالكون ستخطينه سيبدأ و ينتهي

بي ! فأنتِ نهري الذي أعشق الغرق فيه ! وهذا وعدي لكِ الذي لن أكسره و لن أتركِ تكسريه ! خبرتكِ سابقاً و سأكررها حتى آخر أنفاسي أنتِ لي .. !

رفعت وجهي عن عنقك ، كانت عينيكِ و أنفاسك بعالم آخر ليس به أحد سوانا ، و لم يعيدك سوى صوت ميس المرتفع قادم من المطبخ لتنبهنا أن خالتك قادمة ، هممت واقفة و جلست أنا إلى الكرسي و دلف توفيق من الشرفة ، فبادرتي ميس و هي تضع أطباق الطعام إلى الطاولة

: هي فقط تتدلل تريد أن تعلم كم هي غالية كم هي مهمة ، أليس كذلك ؟
ابتسمت خالتك ، و بصوتها الهادئ

: أعتقد أنها محقة فلتكفي عن هذا الدلال ، و تكبري قليلا طفلي !
ابتسم توفيق و هو ينظر إلى ميس

: أعتقد أنها إن قضت بضعة أيام بالمزرعة وسط الطبيعة و الخضرة و روعة الخيل ستصبح بألف خير ، أليس كذلك ميس ؟
ابتسمت ميس

: دون أدنى شك ، فالطبيعة لها تأثيرها الخاص .
ثم التفت إليك و شاكستك

: و أما الخيل فيبدو له مفعول السحر ! حتى أن وجهها أشرق منذ الآن ! أليس كذلك خالتي ؟

فنظرت إليك خالتك

: ميس محقة أرى أن وجهك عادت له الحياة
داعبك توفيق

: حسنا فلتعدين كل ما يخصك ايما لأننا سنختطفك ، و لا أعتقد أن كريم سيمانع بهذا ! لكن بعد الغداء لأن الرائحة شهية جداً .

صمت و جالت منك نظراتك ، فاستحثتك ميس على القبول

: هيا ايما لا ترفضني سنقضي وقتا ممتعا ، و ستتحسن صحتك أنا متأكدة من ذلك !

أجبتِ بتردد ...

: لا أعلم ؟

أجبتكِ و أنا أجلس إلى الطاولة بالكرسي المقابل لكِ

: لا تفكري لأننا لن نقبل برفضك و خاصة أنها مزرعتك و نحن هم ضيوفك بها ، و

كما أخبركِ توفيق إن لم توافقي سنختطفك !

ابتسمت خالتك و هي تعود إلى المطبخ لتحضر شيئاً

: هيا حبيبتي لا تكوني عنيدة هذا سيفرج عنكِ و يريح أعصابك المرهقة .

حدثتك بصوت منخفض بعد مغادرتها

: ارفضني ! و سأختطفك ! سأفعل أي شيء لأجل أن أرى ابتسامتك تعود لجبينك و

أرى اشراقه عينيك من جديد، فلا أكرث سوى لسعادتك .

أسبلتي عينيكِ خجلاً ، و ساد صمتنا لحظات فقطعه ميس بمشاكستي

: ياسين هناك سؤال ملح أريد أن أسألك إياه ؟

وجهتي عيني نحوها

: ماذا تريدان أن تسألي ميس ؟

: ألا تفكر أمك بإنجاب أخ لك ؟

ابتسمت منها و بادرها توفيق و هو يبتسم

: ماذا ؟

: فقط أريد ان أتأكد لأنه إن كانت تفكر بالموضوع سأنتظرها لأحظى بأميري !

ضحك توفيق بشدة ، و نظرت إليها بغیظ

: هلا توقفت عن هذا ؟

: ماذا ألا يحق لي البحث عن مجنوني أنا الأخرى ؟

عقدت لها حاجبيك بغضب فصمتت ، فداعبني توفيق

: إذن ميس تبحث عن مجنونها ، و أنا وجدت مجنوني ، فماذا تريد أنت يا ياسين ؟

نظرت إليكِ

: أن أرى تلك الابتسامة الخاطفة لكل دقة من دقائق و هي تملأ وجهك الدافئ ، و
تشرق ليلا طال ظلامه منذ غبت عني !

أسبلتي جفنيك خجل و زادت حمرة جبينك ، فأمسكت ميس بذراعك
:

ايما إن لم تتجب أمه غيره و لا تفكر ! ألا يمكنني استنساخه ؟

فانفجر توفيق بالضحك ، فأملت وجهك ناحيتها بتعجب ، فاسترسلت و هي تهز كتفها
.....

: ماذا نسخة واحدة فقط ! و أقسم أنني سأعيده إليك !

زادت بسمتي من مشاكستها ، فرفعت أنت حاجبك لها و بغيظ

: لماذا أعتقد أنني إن قتلتك الآن لن يلومني أحد !

أشار إليك توفيق و هو لازال يضحك

: انتظري ايما فأنا سألومك إن قتلتها !

نظرت إلى توفيق بتعجب أما ميس فزادت بسمتها

: رأيت هناك من يهتم لأجلي !

: حقا ايما سألومك إن قتلتها ، فلن يقتلها غيري !

فهزت رأسها بتعجب

: و لماذا ؟

: لأنني أحتمل واحد منه بمعجزة من رب السماء ! و أنت تريدين واحد آخر ،

اتركيها لي ايما فلن يقتلها غيري !

خرجت منك ضحكة عفوية رن صداها بالكون حبيبتي و زلزلت أرجائي ، و عادت

على إثرها خالتك إلى الطاولة ، و هي تردد

: ليتكم أتيتم منذ زمن حتى أسمع تلك الضحكة العذبة ثانية .

نظرت إليها ، و قد زادت بسمتك التي عادت تحيي قلبي من جديد ، و تنزع عنه

تعاسته التي احتلته و احتلنتني منذ غبت عني فدونك ماذا أكون ؟ غريب ضائع دون

أهل دون وطن .

و بالنهاية رضختِ لإلحاحنا عليكِ بالذهابِ إلى المزرعة ، فاتصلتِ بكريم و بلغتيه
برغبتكِ بالذهاب ، و بالطبع كان مرحب جدا بالفكرة ، فهو الآخر يريد استعادتكِ إلى
جواره ، و هذا بالنسبة إليه كل ما يبغى أن تظلي جواره ! فهو لا يستطيع سوى
امتلاكك كما يمتلك سيارته أو منزله ، و لم يحلم يوم بأن يسكن قلبك أو يكون له به
مكان !!! أما أنا فكنت أسعد من بالكون لاستعادتكِ جوارى ، و امتلاك قلبك لأنك
عدتِ إلى قلبي التائه دونك ، فقلبي هو عالمك و قلبك هو وطني حيث أنتمي !

إن كان الغرام خرافة فأنت أجمل خرافات حياتي ؛ و إن كان
العشق اثم فأنت ذنب لا أجرؤ توبته ؛ و إن كان الهوى ضلال
فلن أرتد عنك مهما عصفت بي ذنوب الغرام

مسجون قلبي بفلك هواك ، يأتيني عشقك من كل اتجاه فأحس بك
تجتاحيني بصحوٍ و منامي من أعلاي و من خلفي ، فكلي غارق بين حنايا حضورك
الطاغي بقلبي ، و كل ما بات ينقصني هو أن تكوني لي ! دون أن يشاركني بك أحد
، لا أعتقد أنني سأحتمل أكثر ، و كلي أصبح محاصراً بك محصوراً بهواك ، فغيابك
عني تلك الأيام الماضية أشعل جحيم قلبي ، و جعل عقلي يشعر و كأنه يقع في فراغ
يتلوه فراغ ! فكلي حوصر بين طيات الضياع بغيابك ، فتوغل بي عشقك و لم يعد
لقلبي مع عينيك سبيل ! فأحس هواك معتق بفؤادي من ألف عام ! فأنت هي سعادتي
التي ادخرتها لقلبي منذ خلقت ، فكل أحلامي معلقة بين أناملك و ابتسامتك !

جاء كريم إلى مكتبي ، زيارة انتظرتها منذ وقت فقد بدأت تعثراته بالخروج عن سيطرته
، غير أن الكثير من مستشاريه الهندسيين بدأوا بالتمرد ! و ذلك لسوء ادارته و
محاولات انفراده بالقرارات التي لا يفقه عنها شيء، و صدقا لم يكن لي يد تلك المرة ،
هذا لم يتطلب مني أي تدخل ، فهو جيد بما فيه الكفاية لإفساد الأمور من حوله .

: أهلا شريك ، كيف الحال ؟

بادرته بها بابتسامة هادئة حين دلف إلى مكتبي.....

: بخير حال ياسين . كيف هي أحوالك أنت ؟

: الحمد لله . لن يكون أفضل من هذا .

ابتسم و هو يتخذ مجلسه

: هذا جيد .

صمت لحظات ، فبادرته و أنا أستند إلى كرسي ...

: و سأكون أفضل و أفضل حين أستلم منك العنبر الأول بنهاية الأسبوع ، كما هو
المتفق عليه .

وضع يده اليسرى على المكتب و قد بدأ يتوتر

: أجل .. بهذا الشأن أعتقد _

ثم صمت لحظات ، هممت واقفا و أنا أعلم ما هو قادم ، فتصنعت الجهل بما يحدث
.....

: ماذا ؟ ماذا هناك يا شريك ؟

: بهذا الشأن أطلب أن تُمد تلك المهلة لأسبوعين آخرين .

تصنعت الدهشة و تساءلت باهتمام

: ماذا تقول يا كريم ؟ لما تحتاج إلى أسبوعين ؟ أو ليس الاتفاق ينص على أن أستلم

العنبر الأول بنهاية هذا الأسبوع ؟ إلا إن كنت مخطئ بحساباتي ؟

هم واقفا و هو يحاول شرح موقفه

: كلا لست مخطئ هو الموعد المحدد ، لكن بالحقيقة هناك مشكلة بسيطة مع

المقاولين ! أنت تعلم أن الأسعار كل يوم بارتفاع لكن اطمئن فأنا مسيطر على كل

شيء .

جلست إلى الكرسي المقابل له ، و أشرت إليه بالجلوس بمقابلي

: لا تُخبرني أنك أنفقت الدفعة الأولى بالكامل ، والآن تحتاج إلى أموال أخرى لكي

تواجه تلك الزيادة؟

: أعدك أنني سأصلح كل شيء قبل موعد تسليم العنبر الثاني .

: كريم هذا _

: لا تقلق يا ياسين أخبرني توفيق أنه يمكنني أن أقترض من البنك بضمان أرض ايما التي عليها المزرعة ، و حينها سيكون لدي السيولة الكافية للتسليم قبل الموعد المحدد ، إن ساعدتني بالطبع أخبرني توفيق أن أكثر أعضاء مجلس ادارة البنك أصدقائك .

اتكأت بذقني إلى باطن كفي.....

: لكن –

: لكن ماذا ياسين ؟

: هل ستوافق زوجتك أن تقترض من البنك و تعطيك المال ؟

: أخبرتك سابقا هي بيدي و ستفعل ما أريده .

رفعت له حاجبي و بنبرة هادئة و جادة

: لكن أي كان القرض لن يكون مبلغ كبير لا تتسى هي لها نصف الأرض فقط ، و

إن تعثرت و لم تستطع أن توفي بالتزاماتك معي لن تستطيع تسديد البنك ، حينها

سيحق للبنك أن يستولي على نصيب زوجتك بالأرض و هذا سيكون سيء ، أليس

كذلك حتى أنها قد تُسجن !

اعتدل بمجلسه و دون أن يفكر

: كلا لن تصل إلى هذا حتى و إن خسرت الأرض لا يهم ، لا تفكر بهذا سأوفي لا

تقلق المهم أنت موافق أن تؤجل الاستلام قليلا و تُساعدني بأمر القرض هذا ؟

فشردت منه لحظات ثم ابتسمت له و كل ما به يستحثني أن أقبل

: حسنا موافق لكن سنكتب بعض الأوراق التي تقول بأنك واجهت بعض العثرات

فأجلنا الاستلام لموعد آخر متفق عليه !

: و لماذا لا نفعها بشكل ودي ؟

: أنت تعلم كل شيء يتم مراجعته ، و هناك مجلس إدارة هو من يُشرف على كل شيء ، و إن كان بالطبع اشراف صوري ! إلا أن كل شيء يجب أن يتم بشكل قانوني ! أنت تعلم هي فقط مجرد شكليات ليس أكثر ! لكن لا تقلق ليس لأحد حق التصرف غيري ، فلن يضرك شيء و أنت ستسلمني بالموعد الجديد أليس كذلك !

: بالتأكيد ستسلم العنبر الأول و الثاني معاً هذا وعد .

: إذن لا شيء تخشاه و هذا وعد مني لن يطالبك أحدا بشيء قبل موعد التسليم الثاني ، ماذا قلت ؟

لم يفكر !

: موافق سأوقع لك ما شئت . متى يمكنني الحصول على القرض ؟

: يومين فقط سأحدث إلى مجلس إدارة البنك ، و أنهي كل شيء أهذا يرضيك شريك !

زادت بسمته

: أنت هو أفضل شريك .

: أعلم

ثم غادر مكتبي و هو يكاد يطير من السعادة ، و عقلي يكاد يجن من حماقته ! فكيف له أن يأمل كثيرا بالقدام ؟ رغم أنه لا يقدم للحاضر شيء! فما الذي زرعه بالحاضر حتى يجني ثماره بالمستقبل ؟

و بالرغم من ذلك أعطيته كل ما طلب ! فأعلم أنه سيستمر بإفساد كل شيء ! لكن لا بأس فقد نجح توفيق بإقناعه بمسألة القرض كما طلبت إليه ! تلك ستكون آخر قشة يتعلق بها ، الآن سيصبح كل ما تمتلك هي بعيدا عن يده ! و حين يطبق على نفسه

المقصلة بإحكام لن يكون لديه منفذ آخر ، لن يكون لديه ما يتكأ إليه ، و هذا كل ما يهمني و ما أسعى إليه !

بكل يوم يمر أشعر أن طرفنا تتلاقى أكثر ، فكل يوم بات يقربني منك و من أحلامي بك و لك أكثر ، كل ما يفكر به عقلي هو كيف يخلق كل السبل أمامك و لا يبقى لك سوى سبيلي ! كل شيء يسري حسب ما أريد للآن ، فقد حصل كريم على القرض الذي يريده ، و بالطبع حرصت على أن يتم هذا بأقل ما يمكن من قيمته و أعلى ما يمكن من فائدة ! فبالنهاية لم يحصل سوى على نصف المبلغ الذي كان يأمل به ! وقعت الأوراق للبنك على مريض منك لكن كما أرى و يرى الجميع و يتفاخر كريم كثيرا بهذا فأنت تخافيه كثيراً ، و تخشينه لحد يجعلني أتساءل دائما لما أنت خائفة منه إلى هذا الحد ؟ لما تلك الرهبة تملئك كلما رأيته أمامك ؟ لكن قدرتي لم يتركني بحيرتي كثيرا فعلمت لاحقا سر هذا الخوف منه ! لكن الأهم أنك عدلت عن فكرة الرحيل و الابتعاد عني ، حتى و إن كان لكريم النصيب الأوفر لعدولك عنها بعد

درس يبدو قاسي لغيابك عن البيت و ذهابك إلى خالتك رغم رفضه ! و رفضه القاطع
عودتك إنجلترا ، أو حتى مغادرة المنزل ثانية دون أوامره !

كنت قريبا من مزرعة الخيل فذهبت إلى هناك ، و لا أعلم حتى الآن لما ذهبت إليها
ذاك اليوم ! فحين وصلت كنت أنت هناك !! كنت تجلسين وحدك قريبا من الخيل
هادئة صامته ، يفوق جمال هدوءك و سكونك جمال ما خلق الله من خيل على ظهر
الأرض ! فوقفت أرقبك من قرب ليس بعيد لتمتلي روعي من فيض حضورك الملائكي
، و كأنك كائن سماوي خلق من نور و هبط من الخيال من الأحلام إلى واقعي
ليخطف قلبي و يسرق عقلي ! فكنت هائمة بالنظر إلى الخيل و هي تجول بمربطها
بدلال و سكينة ، و بعينيك بريق و ألق لافت يمتزج به سحر الهدوء و جموح الرقة
بجمال أنوثة و عفوية تركض بثقة و عزة بين جفونك ، فأنت يا حبيبي امرأة استثنائية
تحملين كل التناقضات بين رحاك ! أنت المتمردة بطاعتها ! الثائرة بسكونها !
الجامحة بهدونها ! الملكة ببساطتها ! و المستبدة بعفويتها ! أنت هي المعترزة
بتواضعها ! تستعمر قلوب برقتها ! امرأة خلقت ليدور الكون بين نبضها و رحاها !
امرأة خلقت من أجلي وحدي ! لتكوني و بدون منازع أنت ملكة عرشي و أكون العبد
الراضي و الطامح لرضاك مولاتي ! و أنا من قبلك حطمت جميع الملكات ! كيف
لأجل هواك أهدم كل قصوري و أقبل بقصر من أحلام فوق سحب و أدافع عنه و
أحطم و بكل يقين ؟ فكيف لعينين بتلك الرقة أن تغزو وتدمر كل دفاعاتي وتحصين
سنين ؟ لأعلن عصرك بداية مولدي في الحياة فعبودية قلبي بعشقتك أسمى معاني
الحرية !!!

بينما كان كلي غارق بحضرة وجودك مولاتي انتبعت إلى وجودي ، نظرت نحوي و
بسمتك الملائكية تغزوني ، فدعبتني

: أكاد أجزم بأنك كنت ترغب بأن تكون ضابط أو شيء من هذا القبيل !

سألتك بتعجب و أنا أزداد بقربي منك

: و لماذا ؟

زادت بسمتك ، و زاد معها انفراط عقد صبري في هواك

: أنت تعشق التلصص ياسين !

علت ضحكتي ، و أنا أجلس إلى الكرسي المقابل لك

: هذا فقط من تأثير اشتياقي إليك .

وضعت يديك على الطاولة أمامك ، و لمعت بعينيك اشراقاً

: لما أنا ؟ فلديك نساء كثيرات !

: لا أريد امرأة غيرك ، أنت كل ما أبغي .

تعلقت عينيك بعيني

: سيفعلن أي شيء لأجلك !

: وأنا أطوي الكون لأجلك أنت .

نظرت نحو الخيل ثم عاودت النظر لي

: ليس لدي ما أعطيك !

: لديك قلبي ! يكفيني هذا و يزيد !

بنظرة أنثوية اخترقتني حتى نبضي

: لن تحتلم قريباً بلا وصال ! لن تصمد أمام عشق بلا أمل !

لمست أناملك بأطراف أصابعي

: عينيكِ ستجعلني أحتمل ولأجل أنفاسكِ سأصمد ، لم أعود يوماً صبراً و لأُحقق حلمي بقربكِ سيكون لدي جبلاً من صبر! سأنتظر بدال اليوم دهنراً فالموت بدفتر أحلامي على أمل لقائكِ ، يجعل من العلقم شهداً و من أشواك الصبر طريقاً للجنة، يجعلني أتصالح مع الانتظار لأجلكِ و أصادق كل الأيام لقربكِ!
تألق سحر الشرق و الغرب برقة نظراتك و عذوبة همساتك

: اترك لي قليلاً من عقلي ألا يكفيك أن استحوذت نبضي و سرقت أنفاسي !
: من قال منك أكتفي أو بغيرك أرتضي أو ليس العدل أن نتعادل ! و قدر ما أخذت تعطي !
ابتسمتِ بدهشة لمعت بين أحداقك

: لم أأخذ منك شيء !!
: الحق أن تقولي لم أترك منك لك شيء !
زادت حمرة وجنتيكِ جمالكِ تألقا و زهو

: كيف لهم ألا يروا هذا الملاك الساكن روحك ؟
: لأنه لم يولد سوى يوم أن سكنتِ أنتِ روحي !
فاض بي اشتياقي و قضى عليّ غزو عينيكِ
: يا ويلي .. أي ذنباً ارتكبت أنا بك ..؟

: ملاك مثلك لا يعرف للذنب طريق فبقاء قلبك أكبر من أن يُمس بذنب .
أغمضتِ عينيكِ
: توقف ياسين !

: أتوقف عن ماذا حبيبتني ؟

وصل همسك جسرا يغزو أرضي و سمائي

: عن سحرك هذا الذي تُلقيني به عن تعويذة عشقك الذي يعبث بي ، توقف عن زلزلتي بأنفاسك ، عن كونك حلماً يشعل ليلي ويملاً كوني ، حلماً يشعر نبضي بأمان مات داخلي منذ سنوات ، توقف عن كونك أملاً يخطو بي فوق السحاب يعبر بي البحور و يضعني بين النجمات ، يضعني حيث لا أجرؤ أن أحلم يوماً أو حتى أتخيل ، توقف عن كونك لي حياة !!!!

انفلت مني عقد دقاتي بين يديك نهرا

: يا الهي .. حبيبتني ، أفعل بك كل هذا ؟

: هذا ما أجد كلمات تعبر عنه !

: لكنني أعتقد أن هذا جيد ، فلما تريدني أن أتوقف !!

: لأنه وهم ياسين و لن يكون يوماً واقع !

: سأحرص على أن أحوله واقعاً ! تأكدي من هذا .

: لم يغير أحداً القدر .

أمسكت يدك بين يداي

: إنني سأحرص على أن أمحي هذا القدر لأسطر لكِ قدراً جديداً قدراً يجمعني بكِ

يمنحني كل ذرة منك ، قدراً يجعلك ملكي !

تبسمت بخبث أنثوي لمع بين أمواج عينيك

: عشق أم امتلاك ؟

: أعشقتُك ، لكني لا أملكُك ، و حين أُسَطرُ قدري الجديد ستكونني عشقي و ملكتي
و ملكي .

زادت بسمتك

: الرجل الشرقي يظل شرقي مهما حدث !

: أهي وصمة عار يجب أن أتيراً منها ؟

زادت إشراقة عينيك

: على العكس ، فشرقيتك تلك أكثر ما عشقت بك !

: تعشقينني أعلم .

عبر محياك ضحكة رقيقة عصفت بأشواقي ، ثم علا وجهك هدوء ألقني

: ما بك حبيبتني ؟

: أخاف كثيراً مما هو قادم يا ياسين !

: معي .. كيف لك أن تخافي ..؟

بدأت عيناك تمتلئ بالدموع

: حبيبتني .. لما تلك الدموع التي أراها ؟

: لا شيء ! أنا بخير .

اقتربت منك و أنا أحاول الإمساك بعينيك الهاربة مني

: كلا .. لست بخير ، ماذا يحدث ؟

: أخاف كثيراً ، و قلبي يؤلمني من شدة الخوف .

شرد عقلي بسرك الصغير

:أهناك شيء يجب أن أعلمه ؟ شيء تُداريه عني ؟

انتفضت فجأة ...

: كلا ليس من شيء ؛ عن ماذا تتحدث ؟

أيقنت لحظتها أن بغرفتك المظلمة ما لا أعلمه لكنني تخطيتها و رفعت يديك لفمي و
قبلت باطنها

: لا شيء فقط تأكدي حبيبي أنني لن أسمح أن يمسك مكروه لن أترك —

: أخاف عليك أنت .. أنت من أخشي أن يصاب بمكروه ياسين !

: أكل هذا الخوف لأجلي ، كل تلك الدموع لي أنا ؟

: ياسين .. لن أحتمل أن يحدث لك شيء .

: يا الهي ... كم أنا سعيد حتى أن قلبي يكاد يطير من بين الضلوع !

: حقاً .. وما السبب ؟

وضعت أناملك على فمي و روحت أتحسسها بشفائي

: كيف لي ألا أكون أسعد من خلق على تلك الأرض و ملكتي تخاف فراقني تخشي أن
يمسني مكروه ، إن دموعك الملائكية التي تهتز لها سمائي تسيل خوفا علي من أن
يمسني سوء !

: ياسين —

أسكتك

: أحبك ؛ و خبرتكِ سابقا لا تخشي شيء و لا حتى عليّ أنا بخير ، لا أريد أن أرى تلك الدموع ثانية حتى و ان كانت تسحرنني و تأسرنني بسمائها خلاصة الجمال و حبات المطر تتساقط منها فقدر ما تأسرنني بجمالها قدر ما تحرق قلبي ، فلا أحتمل ما يؤذيك عشق عمري حتى و ان كانت لأجلي !

أملت رأسك بالطاعة ، و هذا أسر قلبي و مس روحي فكم يزداد جمالك حين يخضع كبريائك و يُخضعني ذاك العنيد ، بعدها غادرت حين أنت ميس ؛ و لا تعلمي حبيبيتي كم ارتجف قلبي سعادة حين تهامست لي شفتاك بخوف قلبك لأجلي ، أحسست معني أن يكون لديك أحدا يخشى عليك ، يخشى لأجلك كم هو إحساس رائع أن تشعر أن هناك من يخاف فقدك يخشى الكون دونك ، يبكي خوفا من أن يمسخ مكروه .

بعد بضع ليالي استيقظنا جميعنا قرابة فجرها على طرق شديد على الباب ،
حين فتح الباب و كنت وصلت منتصف الدرج ، كنت أنت من يقف بالباب !! دلفت
و أنت تعذرين عن القدوم بهذا الوقت و الدموع تنهمر من عينيك ، أخذت أمي و
عمتي بتهدئتك

: ما بك ايما ؟ ماذا حدث حبيبي ؟

: لا أعلم شيء شخص ما اتصل بي قال أنه طبيب بالمشفى و أن كريم هناك !
تعجب الجميع ، و بادرك جدي

: ماذا حدث ؟

نظرت نحوي

: قال أنه تعرض لحادث .

سألتك أمي ...

: أي حادث هذا ؟

: لا أعلم شيء .. هذا كل ما قاله ، و لا أعلم ماذا أفعل فأنا وحدي و لا —

قبل أن تكلمي ، حدثك جدي بحدة

: أنت لست وحدك ، تحرك ياسين لما تقف هكذا !

حينها انتبهت فحقاً كنت غائباً بدهشتي

: خمس دقائق سأرتدي ثيابي .

أشار لأمي

: هيا أنتِ أيضا معها .

: أكيد يا عمي دون أن تطلب .

ارتديت ملابسى سريعا و كل ما بي مشتت ، دلفنا إلى السيارة جلست أمي إلى جوارى و جلست بالخلف ، حضرت عمتي هي الأخرى و زوجها بسيارتهم . حين وصلنا إلى المشفى خبرونا أنه بالدور العلوي ، كان لايزال بغرفة العمليات لم يخبرنا أحد شيء ! جلس الجميع مبهمين كنتِ متوترة أخذت أمي تربت على يدكِ و قفت و زوج عمتي نتحدث نحاول أن نفهم ماذا يحدث لكن لم نجد من يجيبنا ، بعد دقائق كثيرة من الانتظار ، ظهر أحد أصدقاء كريم شخص كنت التقيته مرة أو اثنتين ، و معه ضابط للشرطة تقدم نحونا ، حينها أشار صديقه إليكِ و خبر الضابط أنكِ زوجته فتقدم خطوات إليكِ ، بعد أن ألقى التحية و اعتذاره عن ما حدث ، و اعتذاره عن كونه يريد أن يسألكِ بعض الأسئلة و يعلم أن الوقت غير ملائم إلا أن هذا عمله سألك ...

: أنتِ هي زوجة السيد كريم ؟ مدام ايما أليس كذلك ؟

أومأت له إيجابا ، صمت لحظة و بادرك بسؤال أسكت الجميع

: من تعتقدين أنه يريد قتل زوجك ؟

توقف الجميع بمكانه ، أم أنتِ فلم تحركي جفنا ، فبادره زوج عمتي

: قتل !! عن ماذا تتحدث ؟

: يبدو أنكم لا تعلمون شيئا !

أجابه هو ، فظلت لحظات ألمم نفسي من شدة المفاجأة

: كلا نحن لم نصل إلا منذ لحظات و لم يخبرنا أحدا أي شيء .

التفت إليكِ

: ما ورد إلينا أن السيد كريم تعرض لإطلاق النار عليه أثناء خروجه من أحد الملاهي الليلية و ليس لدينا شيء بعد !

حينها كنت بدأت ألمم نفسي و أتدرك ما يحدث فتخطيت الضابط و اتجهت إلى صديقه

: ماذا حدث ؟ ألم تكونا معاً ؟

هز كتفيه و هو ينقل النظر بيني و بين الضابط

: لا أعلم كما خبرت الضابط منذ لحظات ... لقد أنهينا السهرة و ذهب كلا منا باتجاه سيارته ، حين أنت سيارة مسرعة قطعت الشارع فجأة و توقفت أمام سيارة كريم ، و خرج منها شخصين ملثمين و بدؤوا إطلاق النار باتجاه كريم ، حينها ركض كلنا منا يحتمي خلف سيارته ، لكن إحدى الرصاصات قد استقرت به ، ثم فروا حينها أتيت به إلى هنا هذا كل ما حدث .

استرسل الضابط و هو ينظر لي ...

: يبدو هذا شخصيا ، لأن صديقه هنا لم يطلق باتجاهه طلقة واحدة .

ثم نظر إليك و أستكمل حديثه

: يبدو أن من حاول قتل زوجك كان يريد به هو تحديداً لا أحد آخر ! فهل لديك أي فكرة أو شيء قد يفيد بهذا الشأن عن تعاملاته أو عداا بينه و بين أحدا ما ؟

عاودت صمتك و أومأت برأسك نفيا ، فأطال بك الضابط النظر

: مدام ايما صمتك هذا لن يفيد زوجك أو يفيدنا بشيء، أقل القليل منك سيكون جيد !

حينها وقفت أمامه

: أعتقد أنه ليس الوقت المناسب لذلك ، نطمئن عليه ثم من لديه شيء سيمدك به ، نحن أكثر من يهمله أن تجد من فعلها .

و قبل أن يقول شيء خرج الطبيب من غرفة العمليات أخبرنا بأنهم أخرجوا الرصاصة ، و أن إصابته بجانبه من الظهر و ليست بمكان خطر ، و أنه سيكون بخير فقط يحتاج إلى بعض الراحة و سيتم نقله إلى غرفة العناية المركزة للاهتمام به .

باليوم التالي لم أذهب إلى العمل لم أشأ أن أترك بهذا وحدك ، جاء توفيق إلى المشفى حين علم بما حدث ، طلبت إلى أمي وعمتي الذهاب إلى البيت لينالوا بعض الراحة ، طلبت أمي إليك أن تذهبي معها لكنك رفضت ، و ذهب زوج عمتي إلى مديرية الأمن ليعلم كيف يسري سير التحقيق و إن كانوا توصلوا لشيء ما . طلبت إلى توفيق أن يحضر بعض الطعام فلم تأكلي منذ ما حدث ، ذهب ليأتي ببعض المعلبات حينها لم يبقى سوانا ، حين أتيت إلى مجلسك لأطمئن عليك و كنت تضعين رأسك بين كفيك و تتظرين أرضا و قبل أن أقول شيء بادرتني بصوت غاضب

: أخبرني أن ليس لك علاقة بما حدث ؟

: ماذا ؟

رفعتي رأسك إلى الأعلى و شهقاتك المتقطعة في صوتك

: أرجوك ، أخبرني أنه ليس أنت يا ياسين !

: عن ماذا تتحدثين ؟ أتعتقدين أنني من حاول قتله ؟

بدا بعينيك شك لم أراه من قبل ، و مسحت عينيك من الدموع و أنتِ تهمين واقفة
.....

: لم أعد أعلم ماذا أعتقد !! و ها أنا أسألك وأعلم أنك لن تكذبني القول !

جذبتك من ذراعك بقوة ودفعتك نحو الحائط خلفك ، كنت غاضب و زادت ثورتي
بنظرات الشك بعينيك حتى أنني لا أعرف لماذا

: انظري بعيني و أخبريني أنتِ هل فعلتها ؟

صمتِ لم تتفوهي بشيء

: أخبريني ، ماذا ترين حبيبتي ؟ أنا من فعلها ؟

كنتِ تنظرين لي كالمغيبة فأطبقت كفاي على ذراعيك و صحت فيك

: هل فعلتها أنا تكلمي ايما ؟

أومأتِ برأسك و شهقاتك تسابق صوتك

: كلا لم تفعلها مستحيل أن يكون أنت !

: و كيف لكي أن تعرفي ؟ قد أكون أنا من فعلها حبيبتي ؟

: ليس أنت فأنا لم أحب قاتل فأنت لست مثله ! فإن كنت أنت من فعلها فأين الفرق
لم أكره شيطان لأعشق آخر !

أنت تلك العبارة لي مبهمة غير واضحة المعالم أو السبل ، حينها لم تكوني بوعيك
كنت تحت تأثير الصدمة لذلك تخطيتها و لم أقف عندها ، لكن فيما بعد فهمت ماذا
كنت تعنين ! تجاهلتها و ترفقت بكِ و هدأت من ثورتي و أجلستك

: أقسم بمن خلقك و جعلني أعشق كل ما بكِ ليس لي يدا في هذا ، لا أنكر أنني قد
أفعل أي شيء لتكوني لي ، لكنني أوقن أنك لن تكوني لي إن فعلتها ، أعلم أنك لست
المرأة التي ستقبل برجل قتل زوجها و ان كانت تعشقه و تكره هذا الزوج ! ما منعي
سوى عشقي لكِ تأكدي من هذا حبيبي .

قبضتي بكفيك على يدي و تعلقت عينيك بي و قد تبخرت نظرات الشك بين أحداقك ،
و وضعت رأسك على كتفي و أنت تجهشين من شدة البكاء ، فقبلت رأسك و خاطبني
عقلي (بريئة أنت يا صغيرتي تعتقدين أنني لا ارتكب الأخطاء و أنا هو جبل من
الذنوب لكن هذا الذنب لم ارتكبه ! لأنني أعلم أنه سيحول بيننا أكثر من قدرنا ! لا
أنكر أنني فكرت بحلول كثيرة لتكوني لي ، وقد يكون راودني بلحظات يآسي لكنني لم
أفعلها لأنني أعلمك جيداً و أعلم أن هذا سيقف بيننا ، سيخلق سدا بيني و بينك
فلست المرأة التي ستقبل بهذا الحل) و حين غادرتي إلى الحمام لتغسلي عن وجهك
دموعك وجدت توفيق يقف إلى جوارنا و يبدو أنه سمع الحديث الذي دار بيننا ،
فنهضت عن مكاني نظر نحوي بصمت و أطال التحديق بي ، فبادرته بضيق ...

: ماذا أعتقد أنت الآخر بأنني من فعلها ؟

: كلا فأنا أعلم أنك لم تفعلها ، بريئة ايما لا تعلم أنك لو أردته ميتا لكنت الآن ترتدي
الأسود و تقرأ له الفاتحة .

: هذا مشجع جداً ، أعتقد أن معنوياتي وصلت عنان السماء الآن ، شكرا على الدعم
يا صديقي !

ضحك بخبث اغتظت منه أكثر

: على الرحب و السعة ، بأي وقت أنا هنا لأجلك !

ثم استرسل بجدية ...

: لا تلمها يا صديقي هي فقط مجهدة و مشتتة التفكير فالصدمة لها كبيره ، و
التوقيت هو ما وجه شكها إليك !

أومأت له و رغم غضبي من نظرات شكك بي إلا أنني لم أكن ألومك ، حينها وصلت
ميس كانت متوترة ، تلهث الأنفاس و بعينها الخوف

: هل لي بكلمة معك وحدنا ياسين ؟

: قللي ما شئت ، فتوفيق أخي .

: أنتم لديكم رجال للحراسة ، أليس كذلك ؟

أدهشني سؤالها كثيراً

: هذا طبيعي أن يكون لدينا رجال للحراسة ، لما تسألين ميس ؟

: لما لا تضع بعضا منهم هنا ليكونوا بجوار ايما

تبادلنا و توفيق النظرات و الدهشة تملأ كلانا و قبل أن أقول شيء بادرتني

: أقصد تحسبا لأي شيء قد يحدث !

سألها توفيق بتعجب

: أي شيء تقصدين ميس ؟

: لا شيء محدد ، فقط أخشى أن من حاول قتله يحاول قتلها !

عاود توفيق سؤالها

: و لما يحاول قتلها ؟ هل تعرف من حاول قتله ؟ و ما علاقتها بكل ذلك ؟

: هي ليس لها علاقة بشيء و لا تعرف شيء ! لكن حتى يمسكوا من فعلها فلنرفع احتياطات الأمان قليلا ، فلا أحد يدري من التالي !

هتقت بها ميس بضيق ، حينها خرجت عن صمتي و أنا أحاول فهم ما يدور

: ماذا هناك ميس ؟ ماذا يحدث ؟

: لا شيء ، يبدو أنني متوترة أكثر من المفروض !

حينها أتيت فهمت لمقابلتك ، و قبل أن تتخطانا قالت بصوت خافت

: إن كنت تحبها لا تدعها تغب عن عينيك تلك الأيام !

الآن صارت دهشتي بجرأ ، نظرت إلى توفيق و أنا لا أفهم شيء مما يحدث و أغرب مما قالته ميس ما حدث بالدقائق التالية !!!

حين التفت بك أمسكتك من يدك و جذبتك للوراء بضع خطوات ، حتى لا يترامى إلى مسامعنا شيء ثم تحدثت إليك كنت صامته فقط رددت كلمة واحدة بدا اسما !! و حينها بدا عليك الخوف تراجع للخلف و استندت للحائط و بدا الاضطراب جليا على وجهك !! كانت تتلفت كثيرا و كلما مر أحدا بجانبكما صمتت ثم تعود و تستكمل كلامها ، حينها حدثني توفيق بصوت يمتلأ قلق

قلبي يـُنبئني بأن شيء سيء يحدث !

حينها لم أحتمل ذهبت إليكما ، تبعني توفيق و حين اقتربنا تعلقت عينيك بي و أشرت إليها فصمتت ، و حين اقتربت لمحت دمعة ورايتها عني

: ماذا يحدث ايما ؟

: لا شيء ؟

تقدمتي خطوة فتبعتك و توقف كلاهما

: ايما !!

لم تجيبني و زادت خطاك ، فعاودت نداءك و مددت يدي أمسك يدك كي أوقفك
فالتفت و دفعتي يدي بعيداً ، و صحت بغضب

: ابتعد عني و ارحل من هنا ، لا أريدك هنا ، ارحل يا ياسين !

: ماذا ؟ ماذا تقولين حبيبتي ؟

نظرت بعيني ، و بحزم لم أراه بك قبل تلك اللحظة

: ابتعد يا ياسين.. ابتعد و لا تقترب مني ما حييت لا أريدك هنا لا تأتي إلى هنا
ثانية ، أنا لا أحبك !

صمت لحظة ثم عاودت بنبرة أكثر حدة و عينيك معلقة بعيني و الدموع لاحت
بأحداقك

: لا أحبك ، ابتعد عني !

وقفت متسماً بمكاني ، حتى أكاد أجزم أنني حين سمعتها منك كاد قلبي يُغادرني و
أنفاسي تتوقف ، فقد شقت صدري نصفين !

حينها اقترب توفيق أمسك بيدي و جذبني ناحيته ، قال شيء لكنني لم أسمعه ! حينها
لم أرى و لم أسمع غير صوتك و هو يشق صدري “ لا أحبك ” ثم أفقت و هو
يجذبني بشدة ، و يعيد بعض من رشدي الذي فقدته أمام حروفك التي سلختني من
ذاتي بتلك اللحظة

: ياسين هيا الجميع يمعنون النظر بكما ، ياسين هيا .

أمسك بي توفيق و سحبني من يدي و اتجه بي بعيدا حتى وصل إلى السيارة ، فتح لي باب السيارة أدخلني و كنت لا أعني و لا أدرك شيء من حولي ، سكنت الأرض و جفت البحار و توقف الزمن بي عندها ! قاد توفيق السيارة أغمضت عيني و عبر بذهني كل ثانية من عمري منذ تلك الليلة التي رماني قدرتي بسهم هواك ، فقد أخذتني غفوة بعشقتك غفوة بك ، أنت هي الحنون القاسية الباكية الباسمة الثائرة الطائعة ، كل ما مر بنا من لقاء و غياب من عشق و عناد ؛ المرة الأولى التي سمعت بها ضحكاتك ، تلك اللحظة حين تنفستك ، أول مرة سمعت قلبي تقولين أحبك ، حين ضممتك إلى صدري ، حين غرقت بثغرك ، خطواتك نظراتك همساتك ، كل ما بك كان يدور برأسي دوامات تنهمر هائجة ما بين دهشة و غضب ؛ حتى وصلنا مزرعة الخيل هبطنا من السيارة وقفنا بالقرب من مربط الخيل ساد الصمت طويلا حتى كسره توفيق

: لابد أنها متعبة هي لا تعني ما قالته !

ظلت صامت و نظري يجول بمربط الخيل و هي تتبش الأرض بأقدامها و ذكرياتك تتبش بقلبي ، تلاحقني ثورتك المفاجأة ضدي و ألاحق عشقي لك ، فكلي أصبح محصورا داخل كونك ، كان غضبي يركض بقلبي أشعر به ماء يسيل بين ضلوعي لا يمكنني لملمته ، أرى قدرتي عاد يتلاعب بي ، لازال زمني يعبث بأحلامي بك ، ثم توقف كل شيء فجأة ولم يبقى سوى عبارتك التي راحت تركض بعقلي حتى أنني رددتها بصوت مرتفع و أنا أهم واقفاً

: “ أنت لست مثله ! لم أكره شيطان لأعشق آخر ” !!!!

اندهش توفيق من العبارة و سألني

: ماذا تعني بما قلته ؟

: قالتها لي ايما حين شكت بي ، هي اعتقدت أنني من حاول قتله ثم تراجعته و قالت
أنني لست مثله !

التفت لتوفيق و أنا لا أزال أحاول ترتيب حروفك و ترتيب القطع بلغزك مُعذبتني

: و نحن نتحدث عن قتله ، فهذا يعني ؟

: أنك لست قاتل !

: هي قالت تحديداً ' لست مثله ' !!!!!

أمال توفيق رأسه بدهشة غزت ملامحه

: إذن ، فمن قتل هو ؟؟؟؟؟

: أعتقد أنني أعرف من لديه الإجابة !

أرسلت طلعت إلى المشفى كي يظل قريب منك حتى يطمئن قلبي و
 لأهلوعته ، غير أنني انتظرت أن يهاتفني و يبلغني حين تغادر ميس المشفى !
 فهي من لديها حل لغزك حبيبي الذي آن أوانه كي تتفك عنه طلاسمة ! فهي من
 تعلم الطريق الى غرفتك المظلمة ! و قد اكتفيت من أسرارك و اكتفى قلبي من أمواج
 بحرك المتقلبة ! حان الوقت لنهي تلك اللعبة و تكوني لي للأبد !

و بعد يوم من انتظار ... أبلغني طلعت أنها غادرت المشفى عائدة الى منزلها
 لإحضار بعض الأشياء ، و بالفعل عادت ميس إلى شقتها ، و حين دلفت إليها وقفت
 دقائق مطرقة ، كانت عيناه المدهوشتان لا تحرك جفنايكاد يَغشى عليها من هول
 المفاجأة ، فبادرها توفيق

: ما بك ميس هل رأيتِ شبحاً ؟

: كيف دخلتما إلى منزلي ؟

ابتسم توفيق و بنظرة زادت توجسها

: أنتِ أدكى من أن تسألني ميس ؟ و إن كان غير مرحب بنا فقط اطلبي الينا المغادرة
 ، و بالطبع سنغادر لكن بعد أن نتحدث قليلا !

التفت نحوي و التوجس و الرهبة يملئونها لم أقل شيء فقط نتبادل و هي النظرات
 لبضع لحظات ، حتى أخرجنا توفيق من بحر صمتنا

: لما لا تجلسي ميس ؟

نظرت إليه ثم التفتت نحوي و لازالت واقفة

: لما أنت هنا يا ياسين ؟

اعتدلت بجلستي و رفعت ساق فوق الأخرى و بنبرة زادت توجسها

: ربما لأن لديك كل الإجابات التي أفتش عنها !

: عن أي إجابات تتحدث ! أعتقد أنك تطرق الباب الخطأ ، اذهب إليها و اسألها ما شئت ، أنا لا أعلم شيء !

تقدم إليها توفيق خطوات و هو يشير نحوي

: أعتقد أنه لا يصدقك ، و لكن منصفين فهو محق !

تراجعت و القلق و الرهبة اعتلت محياها ، و ببسمة ساخرة منه

: كل شيء كان يسير بأفضل ما يكون حتى ظهرت أنتِ بالمشفى ، ثم انقلب الوضع كله رأسا على عقب ! بداية من رفع احتياطات الأمان ! نهاية بانقلابها ضده ، بعد أن كانت تحتمي بين ذراعيه دفعته بعيدا عنها ! و الآن تخبريه أنك لا تعلمين شيئا ! حاولي مجددا لكن تلك المرة بجهد أكبر !

ثم نظر نحوي و عاود النظر إليها و همس بأذنها بصوت مسموع لي

: صدقا لا أعلم إلى متى يمكنني السيطرة على غضبه ! و أعتقد أنك لازلت تألمي بالحياة ميس ! أم أن الليلة سيكون السطر الأخير بقصة حياتك !

وصلت أنفاسها إلى مجلسي ، و طفى العرق بكل أرجائها ، تخطت توفيق و أوصالها تنتفض خوفا ، تركتتا خلف ظهرها و بتلعثم رعبها

: أخبرتكما لا أعلم شيء ، و ليس لدى ما أقوله .

هممت من مجلسي و اتجهت نحوها

: حسنا هناك شيء تخفيه ايما عني ، و أنتِ تعلميه و ستخبريني به الآن !

: خبرتك .. لا أعرف عن ماذا تتحدث يا ياسين !

أمسكتها من ذراعها و غضبي يركض بصدري نحوها

: ماذا تفعل يا ياسين ؟

انقضت بها ميس ، اقتربت منها و بنبرة وعيد انخلع لها قلبها ، و أنا أطبق على ذراعها بقوة تأوهت لها

: دعيني أخبرك أنني سأفعل أي شيء بالكون لتكون ايما لي ! و سأحطم كل ما يقف بيني و بينها ، فلا تدعيني أضعك برأس القائمة !

ثم دفعتها الى الأريكة بقوة تألمت لها و اندفعت نحوها بغضبي ، لويت بعض من خصلات شعرها حول معصمي ، علا صوت تأوهاتنا و تعلقت عيناها بتوفيق تستجير به ، رفع كفيه في الهواء باستسلام

: أنتِ هي من تريد استتساخه ! هيا تفضلي انسخي منه ما شئت !

جذبت شعرها بحنق فتحولت عينيها لي ، علت تأوهاتنا و انفطرت دموع ألمها ، فصحت فيها بغضب انقضت له

: لما لا تبدئين بإخباري ما أريد ! لأنني سأعرفه بأي طريقة كانت ! فلما لا تختاري الطريقة الأسهل ، لأنك لم تري الأصعب بعد !

: لا أعرف شيء، أقسم لك لا أعلم أي شيء

التفتت خلف الأريكة ، و جذبت شعرها بمعصمي للخلف بغضب أعتى

: لماذا جميعكن يفضلن الطريق الأصعب !

صفعني ما صرخت به !! صفعني سرك الصغير معذبتني !! زلزل كل أرجائي مثلما زلزلها عشقك ، حتى أن سرك أفقدني النطق لحظات و أفقدني التوازن ، أخرجني من

الزمان و تعدى بي حدود الواقع و الخيال تماما كهواك ، فزعتني حين صرخت به بألم و وجع

: ايما تزوجت مرة من قبل ، كريم ليس زوجها الأول !

صفعتني ما قالته ! أوقفني دون حراك انعقد لساني عن الكلام ، شعرت بأن عقلي توقف عن التفكير شعرت به يسقط في الفراغ و اعتدل توفيق بمجلسه و الدهشة تملئه ، ساد الصمت الفادح بنا جميعا لحظات ، تخلله صوت تأوهاتنا و هي تتحسس رأسها المتألم بعد أن تركت شعرها من يدي ، ثم تساءل توفيق و كأنه لم يسمع

: هل قلتي تزوجت من قبله ؟

: نعم تزوجت حتى تُلقت من قبضته إلا أنها لم تفلح ، فعاد و أطبق عليها !

تقدمت و جلست إلى الكرسي المقابل لها أحاول لملمة ما بقي من عقلي الذي تبدد بين طياتك و ألغازك حبيبي ، ألغازك التي لا تنتهي ، أحرق أنا اعتقدت أنني لو فككت طلاس لغزك ستنتهي حيرتي إلا أن الإجابة ألقنتي باليم ! ألقنتي ببحر ليس له قاع و لا يبدو له شط ، فقد سحبنتي من سماء التيه و ألقنتي بشاطئ الحيرة ! لم يخرجني من تقلبات دوامات الأفكار بي سوى ما تساءل به توفيق

: ما معنى أنها تزوجت لتهرب منه و أعادها ؟ لما لا توضحي كلامك ميس ؟

: اعتدلت و رفعت رأسها للأعلى و لازالت شهقات الألم و الدموع بنبرتها

: قبل ظهور كريم في حياتها بفترة قصيرة تعرفت إلى شاب عربي لم يكن مصرياً ، لكني لا أنكر من أي أصل هو ، عدنان ، حين رآها بإحدى المقاهي التي يتردد عليها العرب فُتن بها بدأ يتودد إليها ، بالبداية كانت تصده ثم بعد ذلك تعلقت به ، حين ظهر كريم بالصورة و بدأ ملاحقتها و بدأ عمها بالضغط عليها للزواج به حتى يخرج من ضائقته المادية و هدد بأنه سيجبرها الزواج منه ! أقنعها عدنان بالزواج كي لا

يجبرها الزواج من كريم ، بالبداية رفضت لكن مع تهديدات عمها و ملاحقة كريم وافقت ، و بالفعل تزوجها عدنان دون أن يعلم عمها ، ثم خبرته بعد ذلك .

سألتها و لازلت أحاول لملمتي من صفعتي

: اذن كيف انتهت مراكبها بشواطئ كريم مرة أخرى ؟

صفعنتي بإجابتها الثانية

: قُتل عدنان بعد أسبوع من زواجهما !

اعتراني فزع مفاجئ من صدمتي الثانية ، انتفض توفيق هو الآخر من مجلسه و بادرها

:ماذا ؟ قُتل !

رفعت عينها نحوه و بصوت بدا هادئ على عكس كلانا

: نعم ، قُتل ! فقد صدمته سيارة أثناء سيره على الرصيف ! قالوا أن السائق كان مسرفاً بالخمير فخرج عن مساره و أغلقت القضية ! و لم يمسكوا بالقاتل حتى الآن ! و لا أعتقد أنهم سيمسكون به !

ثم التفت نحوي

: ثم تزوجها كريم بأخر يوم بعدتها و لم يعلم أحدا أي شيء عن مسألة عدنان من بدايتها إلى نهايتها !

حينها ترامى إلى عقلي ما فعل كريم ، و ماذا كانت تعني سابقا بأنني لست مثله ، تساءل توفيق بغباء و كأنه لم يفهم بعد

: هل تقصدين أن كريم من فعلها ؟

ابتسمت ميس بسخرية من سؤاله

: حسنا لنقل أن الصدفة كثيرة بهذا العالم ، و الشخص الوحيد الذي وقف إلى جانبها و حاول أن يحميها من كريم ، تصدمه سيارة و هو يسير فوق الرصيف ! و لم يرى أحد شيء أو يقبض عليه ! لا أعتقد أن القدر سخي معه إلى هذا الحد !

عاد و سألتها توفيق و لازلت على صمتي

: ربما هي صدفة ! هل من دليل على أنه من فعلها ؟

: هل أنت أحمق توفيق ! أعتقد أن كريم سيترك لهم دليل يدينه !

ثم صمتت لحظة و عاودت النظر نحوي

: بعد زواجهما بفترة قصيرة عاد ذات ليلة منتشي فتشاجرا و طلبت منه ايما الطلاق ، فذكرها بأنه يخشى أن يحدث لها أو أحد تهتم له مثلما حدث لعدنان ، و هدها بأنها لن تكون لغيره و لن يقربها سواه فهي ملكه حياً أو ميتاً !

حينها بدر إلى ذهني سبب خوفها الشديد منه لحظتها فقط أيقنت سر ثقته بأنها ملك قبضته ، لما يتحكم بها كما يشاء فخرجت عن صمتي و سألتها

: هذا سبب خوفها منه و تلبية كل ما يريد ؟

أمالت رأسها إيجاباً

: و لذات السبب تبعدك عنها بكل الطرق ! فهي تخشى عليك منه إن علم بما في قلبيكما أن يمسك بسوء ، فهي لم تسامح نفسها على ما حدث لعدنان ، و تخشى أن يحدث لك ما حدث له ! لذلك حتى و إن تركت كريم فلن تكون لك ، فأنت لا تعلم كم تحبك ! و إن حدث لك مكروه لن تحتمل ! ما بالك إن كان هذا المكروه بسببها !!!

حينها دار بعقلي بأن هناك شيء مفقود ، هناك شيء لم تخبرني به بعد

: و ما الذي حدث بالمشفى تحديدا ؟ لما انقلبت ضدي ؟

صمتت و هي تُلَب نظراتها بيني و بين توفيق ، فصرخت فيه

: ميس !

انتفضت من مجلسها فزعة

: حسناً ، لنقل أن بعض من أصدقائنا المقربين بإنجلترا أخبروني أنهم سمعوا بأن إخوة
عدنان كانوا يحتفلون أمس بأحد الملاهي الليلية لأنهم انتقموا لموت أخيهم !

هم توفيق واقفا ، و هو يتساءل

: تقصدين أنهم من حاولوا قتل كريم ؟

: أخبرني أنت ؟ هم يحتفلون بنفس توقيت محاولة قتل كريم ! ألا ترى توفيق أنك
تؤمن كثيراً بالصدف؟

هممت واقفاً

: لذلك طلبت إليّ حمايتها خوفا من أن يحاولوا قتلها ؟

: لست متأكدة ، لا أحد يعلم بما يفكرون ؟ ربما يعتقدون أنها السبب ؟ فيحاولون قتلها
هي الأخرى ! غير أن لا أحد يعلم كيف سيكون رد فعلهم عندما يعلموا أن كريم لم
يمت !

صمتت لحظة

: لذلك أبعثتك عنها اليوم ؛ فلا تريدك أن تتأذى ، لا أحد يعلم ماذا سيحدث ؟ لا
تريدك أن تتورط بهذا فالوضع أصبح الآن أسوء ، كريم من ناحية و إخوة عدنان من
ناحية، تخشى أن تُصاب بمكروه وسط دوامة لا قارب لك بها أو شرع !

تقدمت نحوها خطوة

: إن كانت هي وسط تلك الدوامة ، فكل قواربي بها !

و بعد أن التفت لتوفيق عدت و التفت إليها و رفعت لها حاجبي بحزم

: سأخمن أن لا شيء آخر لا أعرفه أو تواريه أنتِ أو هي عني ؟

: كلا أقسم لك لا شيء آخر ، هذا كل ما أعلمه !

: لا أريدها أن تعلم أنني كنت هنا أو أنكِ خبرتتي شيء !

: حسنا لك ما تريد

تقدم توفيق نحوي

: ما الذي تنوي فعله الآن ؟

: سأخبرك في الطريق .

غادرنا منزل ميس و قد انكشفت أمام عيني حقائق كثيرة كنت أجهلها ، كل ما كنتي تواريه عني ، أخذت تجري بي أفكاري بكل مضمار تارة ، عقلي مشتت يحاول ترتيب كل جزء بجوار الآخر ، قلبي مفزوع ينتابه الخوف و القلق عليك ، تولاني الهم و الحزن تخوفاً مما هو قادم ، ظللت غارقا بدوامتي إلى أن التقطني منها توفيق

: أتعتقد حقا أن كريم هو من قتله ؟ أنا أعلم أنه أحمق و قد يفعل أي شيء ، لكن القتل ليس أي شيء ! أتعتقد أن كريم يفعلها ؟

: كلا لا أعتقد ! أنا متأكد أنه فعلها . أنت لا تعلم كم تخافه و إلى أي حد تخشاه ، إن رأيت الرعب الذي يملئها منه كنت أيقنت أنه فعلها ! كنت أعلم أن هناك شيء يجعله يتحكم بها ، لكن لم يصل بي شيطاني إلى القتل !

نظر توفيق نحوي بقلق

: ما الذي تنوي فعله الآن ؟

: لديك الكثير من المعارف بإنجلترا أليس كذلك ؟

: نعم ، فلدينا الكثير من المعارف الذين تجمعهم بعض الأعمال بأدهم ، لكن لماذا

تسأل ؟ بماذا تفكر يا ياسين ؟ و ماذا تريد ؟

توقفت بالسيارة إلى جانب الطريق ، و التفت نحوه

: كل شيء ، أريد أن أعلم كل شيء ابتداءً مما قالتة ميس عن زواجها بعدنان حتى

حادثة قتله ، و الأهم هو كل شيء عن إخوته و كيفية الوصول إليهم !

انتفض بمجلسه و هو ينظر نحوي و القلق يعتريه

: الوصول إلي ، إيلام تخطط يا صديقي ؟

: ستعلم فيما بعد .

: ليس من بعد ياسين ؛ ستخبرني الآن ما تنويه !

نظرت له بضيق

: توفيق —

قاطعني و هو يضع كفه على كتفي

: أنا أخاف عليك يا صديقي نحن نتحدث عن القتل !! هو قتل و هم يحاولون قتله

كل الحسابات اختلفت الآن ؛ وإن تغاضينا عن إخوة عدنان فليس لهم بك شأن ! فماذا

عن كريم إن علم أنك تسعى خلفها ؟ إن كان فعلها مرة فلن يتوانى عن فعلها ثانية !

أرى أن ايما محقة بقرارها ابتعد عنها لا تلقي بنفسك بدوامة سيسقط كل من يخطو

داخلها !

صحت فيه بضيق ملاً صدري

: لن أتركها توفيق لن أتركها ، و هذا ليس قرارها ليس من حقها أن تُلمي على قلبي ما يفعله ! لا يحق لها أن تُقرر عني ! لا يحق لها أن تُهلك قلبي بحبها و الآي تُهلكه بغيابها ! كيف يحق لها أن تدفعني عنها خوفاً عليّ ؟ و لا يحق لي خوفي عليها ! و كيف لي أن أُجن بها عشق و أتخلى عنها ؟ أي عشق هذا الذي يجعل قلبي يقف يرقها و هي تُمس بأذى و لا يحرك ساكنا ؟

خفض عينه و هو يحرك رأسه باستسلام

: أعلم أنني لن أستطيع أن أُنثيك عن ما تريده ! سأقوم ببعض الاتصالات و سنرى إلى أين سنصل ! لكن عدني أنك لن تفعل شيء قبل أن تُخبرني به أولاً !

عدت و انطلقت بالسيارة بعد أن وعدته بما أراده ، فوعدي بأن أخبره لن يوقفني عن فعل ما أريده ! لم أذهب إلى المشفى يومين متتاليين متعللاً ببعض الاجتماعات و الأعمال الهامة ، و لم أستطع ترك طلعت هو الآخر حتى لا يلفت الأنظار بوجوده الدائم ! خاصة بعد أن اتصل بي و أبلغني أنك طلبت إليه الرحيل و أصررت على هذا ! فأمدني توفيق بأحد أفراد الحراسة الذين يعملون لديه و يثق به ؛ فليس أمامي إلا أن أرضخ أمام ما تبتغيه ، فقلبي يُلي لك كل ما ترغبي دون تفكير ، فأنت هي العنيدة التي أتعبني ضعفي أمامها و خنوع روحي لها !

باليوم الرابع ذهبت إلى المشفى مع جدي للاطمئنان على صحة كريم ، أراد جدي الذهاب إلى حجرة الطبيب للتحدث عن حالته الصحية قبل الدخول إليه، حينها ذهبت وحدي إلى غرفة كريم لم أراك بالممر و كان باب الغرفة موارب قليلاً ، و قبل أن أدق الباب للدخول عليه سمعت صوته منزعجاً ! وحين اختلست نظرة من بين

طيات بابه ، كان يرقد إلى السرير نصف مستلقي ذراعه اليسرى معلقة إلى رقبته و بيده اليمنى يمسك بمؤخرة عنقك بإحكام يُّقربك إليه عنوة ، و هو يصرخ بوجهك بحدة مكظومة حتى لا يسمع أحدا إلا أنها تسلت إلى أذني

: حمقى يعتقدون أنني من قتله ! لكن بالحقيقة أنك من قتلته حبيبتي ! أنت من قاده إلى هلاكه إن لم تحتمي به لكان حي يُّرزق ! رأيت أنتِ هي من وصل بنا جميعا إلى هذا الوضع !

حاولت الإفلات من يده لكنك لم تستطيع ، فسابت دموعك تأوهاتك المكظومة ، فاسترسل

: و تلك ستكون الحال لكل من يقربك عشقي ! لا تعتدي أنك ستفلتين من يدي ايما ! فأنت لي ! و لا تفكري بأنك تستطيع الهروب مني كما حاولت السفر دون رغبتني ! هذا يثير غضبي و أنت لا ترغبين بهذا حبيبتي ؟

أومأت له برأسك و أنت تٌجيبين بصوت متألم

: كلا لا أريد اغضابك .

حينها دفعت بقوة حتى أنك اصطدمت بالحائط خلفك ، اعتلاني الضيق و رغبة جامحة بفتح الباب و الإجهاز عليه فلا يحتمل قلبي رؤيتك تتألمين ؛ إلا أنني تمسكت بما بقي لدي من عقل تراجعت خطوات للخلف حين ظهر جدي بالأفق و هو يسير بجوار طبيبه ، أمسكت هاتفها متظاهرا بأنني أنني مكالمة ، دلف الطبيب و تبعه جدي ثم تبعتهما ، لحظتها كنت تهمين بالخروج من حمام الغرفة ، ألقيت التحية إلى جدي و أنت تغتصبين بسمة على وجهك للجميع ، تجاهل كلانا النظر إلى الآخر ! اطمئن الطبيب عليه ثم غادر ، تبعته متعلقة بإحضار بعض الطعام الذي صرح به الطبيب ، سأله جدي عن إن كان يعلم شيئا عن من حاول قتله ؟ لكنه بالطبع نفى أي فكرة لديه عن من فعلها ، و أقر بأن ليس لديه خصومات مع أي شخص قد تصل

إلى القتل ! حاول التطرق إلى العمل لكن جدي نهاه عن التفكير بشيء أهم من صحته ، أما أنا فلم أقل شيئاً كنت صامتاً طوال جلستنا إلا من بعض الإيماءات و الابتسامات المصطنعة ، إلى أن أتى جدي اتصال يخص العمل لكنه لم يرغب بتلقيه فطلب إلي الرد بدلاً عنه فخرجت من الغرفة لتلقي الاتصال ، و بعد أن أنهيته حين التقت بالجهة الأخرى وجدتك تقفين بنهاية الممر أمام النافذة و كعادتي سبقتني خطاي إليك

: ألم أخبرك سابقاً أنني لا أريد أن أراك تبكين ! حتى و إن كان دمك ساحراً إلا أنه يؤلم قلبي !

انفضت يبدو أنك كنت غائبة بعالم آخر و كفك يسبقك ليمسح دموع عينيك التي حاولت أن تواربها....

: ياسين ، ماذا تفعل هنا ؟

: اطمئن على شريكتي و صديقتي و حبيبتي و قلبي و -

: ياسين ، توقف عـ

وضعت أصابعي على فمك و أنا أداعبك

: دعيني أخبرك سرا فأعلم كم تعشقين الأسرار !

تتهدت فطارت أنفاسك تحيي صدري بعبيرها

: أحبك هذا قرار قلبي و اختياره و قدره ، أنت هي إدماني و لن تمنعيني إدماني بك !

أنت هي أنفاس قلبي و لا يملك أحداً بالكون أن يوقف أنفاسي ، فهي بيد من خلقها و من خلقها هو من أتى بك إلى عالمي ، فقدي يريدي أن أنتفسك فما بيدي ؟

ابتسمت و دموعك تتراقص بأحداقك فمازحتك

:فمن أنتِ لتعترضني على قدرتي ؟ أو تُقرري لقلبي ألا يتنفس ؟

: لا أحد !

رفعت حاجبي و زدت مشاكستك

: خبرته الأحمق بذلك ! لكنه لم يستمع ؛ و عن الغرق ببحور الغرام لم يمتنع !

تعجبت ملامحك بابتسامة ، فأجبتك دون سؤال

: أقصد عقلي الأحمق ، لكن أتعلمين بماذا أجابني ؟

هزرتِ كتفيكِ بحيرة و زادت بسمة عينيكِ ، فُعدت و استحثثتكَ الحديث

: هيا خمني ايما ؟ تعتقدين بماذا أجابني الأحمق ؟

تتهدت مستسلمة و لازلت صامته ، فبادرتك

: حسنا قال لي أنت هو الأحمق ! فهي نبضك و أنفاس روحك ، جوهر ذاتك و ما يجري بشرايينك، هي ما يدُبُّك على قيد الحياة ، قمر ينير دروبك يخشاه ظلام لياليك ، هي الشك و طريق اليقين ، الواقع و أوهام الخيال ، هي الحقيقة و بحور السراب ، الأرض و حدود السماء ، هي الرشد و الضلال ، الممكن و درب المستحيل ، هي البداية حلم ليس له نهاية ، شمسة تشرق من عينيها و تغرب بكفيها ، و روحك تدور برحاها ! هي من صار اشتهاؤك لقربها أشد من رغبتك بالحياة ! هي نهرك !

صمت لحظة ، و قد غرقت عينيكِ ببحري ، و اقتربت خطوة منك

: حمقاء حبيبتك إن اعتقدت أنك قد تبتعد عنها ، فمن يعشق لا يملك خيار الابتعاد ، فالفراق رفاهية لا يمتلكها العشاق ! قرار ليس بيدك و لا بيدها ! كأس لم يحتمل كلاهما مرارته سابقاً فلما ستحتملون الآن؟

: ياسين –

أسكتك بحركة من أناملي على فمك

: أُحبك ايما و مهما فعلتِ و مهما حاولتِ لن أتخلى عنكِ ، ليس الآن و ليس لاحقا و لا بعد ألف عمر على عمري ، أنا هنا و لن أُغادر إلى أي مكان و لن يمسك مكروه ما حييت ، هذا وعد قلبي لكِ و لن تُثنييني عنه أو عنكِ مهما حدث و مهما فعلتِ فأنتِ لي مُعذبتِي !

: تقول عني بأنني هي العنيدة ! فماذا تكون أنتِ ؟ ملك العند بالكون ! ألا تعلم للاستسلام سبيل !

رفعت لكِ حاجبي و باعتزاز قلبي بعشقتك و امتنانه لحبك و غروره بهواك

: أنا فقط أُحبك ! وإن كنتِ ما كِ فلأنكِ حبيبتي و قلبك لي وطن ! و استسلامي أعلنته و أقررت به دون قيد أو شرط أمام عينيك بأول نظرة ألقيتني بها بسهم هواك الذي أصاب القلب و سلب العقل و امتلك الروح فصرت أسير هواك ! وكلي أقسم لكِ بالحب والغرام فسلسلتي شيطاني يُجلسه عشقتك على بساط الأدب و الطاعة ! فما عاد يري غيرك و لا يسمع سواك ! فرققاً بأسيرك في الهوى مولاتي ! ترفقي بي في العشق و في الغرام ، فلم أخطو قبلكِ في عشق الملكات دروب ! و زيدي ترفقا بالقلب في الهجر و ليالي الغياب فنبضي أسير قلبك لا يحتمل آلام الفراق ! ترفقي ملكتي فمن شيم الملوك في الغرام و الملكات الرفق بأسير وقف بمصافهم ملك ما أحنى قلبه سوى سحر عيناك !

همست لي بلمعة دمعاتك بين جفونك

: أُحبك لا تكفي قطرة من أنهار غرامك بداخلي ! ما من شيء يصف طغيان هواك بقلبي ! يصف جحيم قلبي بغيابك ! لكن يمكنني احتمال كل هذا ! يمكنني تحمل عشق بيننا بلا أمل ! يمكنني تحمل أن تكون أمام قلبي و لا يجرؤ اقترابك ! يمكنني

تحمل استبداد اشتياقي إليك ! لكن ما لن يحتمله قلبي أن تُمس بأذى ! فلن أحتمل أن
يمسك مكروه بسـ

: الحياة و الموت بيد من خلقهم فقط ، لا يملك أحد أن يعطيهم أو يسلبهم غير من
وهبهم حبيبتني ، فلن يمسنني شيئاً إلا حين يأذن له ربي بأن يمسنني ، و هو لن يكون
ذنبك بل هو قضاء ربي و مشيئته !

: و نعم بالله . لكـ

وضعت اصبعي على فمك فصمتي باستسلام ، ابتسمت لك و قلبي ذائب بنظراتك
الرائقة التي تبددت بسماؤها غيوم الدموع ، فأغرقتني بعذوبتها و سحرها الدافئ بليل
شتوي عاصف دفاء نبضاتي و سكنت له عواصف روجي ! فامتدت أصابعي تمسح
عنك دموعك ، حين فاجئني جدي بندائه لي ! انتفضت و تراجعت خطوات للخلف و
عينيك تبدد صفائها و مألها الخوف ! فأشرت إليك بأن تظلي بموضعك و لا تتحركي
، ثم التفت إليه و تقدمت نحوه متصنعا الهدوء و بابتسامة هادئة اقتربت منه وتساءلت
...

: هل انتهيت يا جدي ؟

فشاكسني

: هل انتهيت أنت ؟

التفت نحوك بنظرة خاطفة متصنعا عدم المبالاة

: هو ليس بالحديث الهام هو عن العمل و المزرعة ، غير أنني حاولت معرفة إن
كان أخبرها كريم أي شيء عن من حاول قتله ؟

: و هل أخبرتك شيء ؟

: كلا ، قالت كما قال هو بالداخل ، لا يعلم !

ابتسم جدي و هو يدب بعصاه الأرض

: لندعو الله أنها انتهت إلى هذا الحد ، فبدأت أخشى من عودته ، أشعر أنه لم يعود وحيدا !

نظرت إلى جدي بتعجب و دون أن أسأل أجابني

: يبدو أن الأحمق عاد و لديه من المتاعب ما سيوصله إلى قبره !

سألته باهتمام و كنا قد وصلنا إلى السيارة

: أنت لم تصدق أنه لا يعلم من حاول قتله ؟

: جميعنا لدينا أعداء ، فعالم المال و الأعمال هو أفضل مكان لتكتسب أعداء و تخسر الأصدقاء ! لكنها تظل بالنهاية عداوة و لا تخرج عن اطار الصراع على الصفقات ، تظل حربا لأجل المال حربا تزُهق بها المبادئ و المُثل ! ضحاياها الأخلاق و الضمائر ! لكن لا تزُهق فيها الأرواح ! و حين يحدث هذا فاعلم أنك تخطيت الحدود ! اعلم أنك وضعت قدمك ببداية نهايتك ، والأمر ليس بمعضلة أو أزمة كونية فحدود القتل تظل معلومة فلا يُطالب بالدم إلا من سُفك له دم ! و لا يسعى خلف القتل إلا من قُتل ! لا يهم الطريقة فالقتل بالنهاية واحد ! و لا أعتقد أن ازهاق الأرواح ذنب قد يتوه عنه صاحبه ! فكل نفس تعلم بما أثمت يداها ! فقد ينسى العبد خير فعله أو يتوه عن طاعة أقدم عليها ! لكنه لا يتوه عن وزر ارتكبه أو خطيئة اقترفها مهما صغرت ! فما بالك بالكبيرة التي قد تدفع صاحبها للسعي خلف انتقام طريقه الدم !

ثم التفت إليّ و هو يتكأ بباطن كفه على عصاه

: الأحمق يعلم من حاول قتله ! و مادام هوصامت فقلبي يُنبئني أنه يستحق ! صدري يوسوس لي بأنه اقترف ما يستحق عليه ما حدث له ! تلك هي الحياة “ كما

تدين بها تدان ” فربك ليس غافل عن ما يفعله عباده ! لكن لكل منا موعده ، كُتب له وقت معلوم سيُحاسب فيه على ما اقترفه من ذنوب ! فلا يغرنك بالدنيا خدائِعها و لا تستبطيْ جزائك ربك فيها ! كلُّنا ستأتيه ساعة حسابه و سيُجازى بما قدمته يداه فلا مهرب له و لا مفر !

هذا هو جدي بحكمته و فطنته ! بجلسة واحدة معه و بضع لحظات اكتشف ما يواريه !

بعد بضعة أيام خرج كريم من المشفى و عاد إلى المنزل ، و لم يستغرق الكثير من الوقت حتى عاد إلى ما كان عليه ! عاد إلى السهر و الإفراط في الشراب ، كأن ما حدث لم يكن ! توالى الأسابيع التالية ثقيلة فكلي متخوفاً مما هو قادم أخاف أن يمسخ مكروه ! حتى خبرتني ميس أن أزواج أختيه بإنجلترا تحدثوا إلى إخوة عدنان و بالطبع حاولوا التصل من قتل كريم لأخيهم ، فليس لديهم دليل على أنه من قتله ! لكنهم بالطبع لم يصدقوا ! هم يوقنون بأن كريم من فعلها . و هذا زاد تخوفي و توجس قلبي مما هو قادم ، حتى هدأت لوعتي عليكِ حبيبتي ، ذلك بعدما تأكدت بأنهم أخرجوك خارج دائرة انتقامهم ! رفعوا أيديهم عن كريم بالوقت الحالي ، و ذلك بعد اتفاق بيني و بينهم !!!!

فقد نجحت بمقابلتهم ، بعد أن قام توفيق بترتيب لقاء بيني و بينهم بلبنان دون معرفة أحد ، أو هكذا اعتقدت ! فقد حرصت ألا يعلم أحدا عن هذا اللقاء أو حتى مغادرتي إلى لبنان من البداية ، و بالطبع لم يتركني توفيق فقد صاحبني نصف عقلي بتلك الرحلة الخاطفة ، لكن كان هناك شخص آخر يعلم ! و أيضا تلاعب بإخوة عدنان و جعلهم يعدلون عن عنادهم ! لكن ما يهمني أن هذا انتهى لصالحني ! كل ما همني و حرصت عليه هو أن يكون أمانك حبيبتني قبل أي شيء ، أن تظلي بخير خارج أي صراع هو النقطة الفاصلة التي لن أقبل بها نقاش أو مفاوضة ! فانصب كل حديثي معهم حول ابعادك عن دائرة حنقهم و غضبهم دائرة انتقامهم تلك الدائرة المفرغة التي

لن تقف عند حد ! فالانتقام لا يصل بأحد إلى أي مكان هو فقط أن تقف وسط اللا
شيء أن تغرق في الفراغ ! و لن يقبل قلبي بأن تسقطي بينهم صريعة قدر ألقى بكِ
وسط بحر ليس لكِ به ملاذ ! أما فيما يخص أمان كريم فهذا أمر كان له اتفاق آخر
!!!!!!!!!!!!!!

حُوصِرَ قلبي بهواك و ضاع بغيوم العشق ؛ فأبحر ببِحور الغرام
دون قارب دون شراع مُتد بغرور الأوهام ؛ فانقلب عليه بحر
الغرام ؛ و أضحي غريقك في الهوى ؛ أسير عينيك بسلاسل
الأشواق

توالت الأيام هادئة بعد صخب الفترة السابقة بكل ما حملته بين طياتها من ألم و تخوف من المجهول ، زاد توغل العشق بي و كلي ممتنا لهواك مستبشرا بعينيك ، أراك على فترات متقطعة قد تخلو كافة لقائنا الخاطفة من الحديث ! و الذي قد يكون متعمداً منك ، إلا أن رؤيتك كل ليلة تلصصاً من غرفة المكتب تُهدأ لوعتي و تُزيح الكثير عن قلبي ، كل شيء يسري حسبما أريد ، أحوال كريم المادية تزداد كل يوم سوء ، زادت خسارته على طاولات القمار زادت عثراته مع المقاولين و الموردين و التي قد يكون لي بعض الشأن بها ! زادت تقلبات مهندسيه ضده ! حتى أن بعضهم قد انسحب من مكتبه الهندسي لسوء إدارته ، حاول إقحام نفسه ببعض الأعمال الأخرى و بعض المناقصات الهندسية التي لا يعلم عنها شيء ! مما زاد من سوء أوضاعه ؛ أتى إلى مكتبي و سألني أن أعطيه الدفعة الثانية من أموال الاتفاق المستحق بيننا قبل موعدها المتفق عليه ! و رغم أنني أعلم أنه يريد لها ليغطي بها خسارته بطاولات القمار ! إلا أنني أعطيته و بالطبع وقع الأوراق التي تفيد استلامه لتلك الأموال مني بغرض الإسراع بتسليم العنابر الثلاثة و التي لم يبدأ حتى بالأول منهم ! فحقيقة كنت أعتقد أن إفساد أموره سيتطلب مني مجهود إلا أنه يقوم بالعمل الشاق وحده ! أعلم أنه جيد بإفساد أموره لكن صدقا لم أعتقد أنه بارع إلى هذا الحد بتدمير كل شيء ! لكن العقبة الوحيدة بالنسبة لي كانت الوقت ! و بالرغم من انفلات عقلي و قلبي بهواك إلا أن توفيق كان يسيطر على هذا الجانب مني قدر الإمكان ، فدائماً يذكري بأن كل شيء يجب أن يأخذ مسار طبيعى حتى لا يشك أحدا بشيء ! حتى تلك الليلة لم أراك بالصباح كعادتك مُعذبتى ! و حين عُدت من العمل و جلسنا جميعاً إلى المائدة سألت أمي لي لي عنك ! تحديداً عن صحتك ! حينها تساءلت سحر عن ما بك ؟ فأجابت لي لي بأنك سقطي و تورم وجهك ! حينها ألمني قلبي و انسحبت من العشاء متعللاً بأنني أكلت مسبقاً ، حتى لا تلح أمي بتناول الطعام . دلفت إلى حجرة المكتب و كلي معلق بشرفتك يغزوني القلق لأجلك ، أمسكت هاتفى حاولت الاتصال بك لكن هاتفك كان مغلق ، حاولت مرارا و تكرارا و بكل مرة تكون

الإجابة واحدة هاتفك مغلق ، بدأ يسري بقلبي الشك و يزداد القلق به ، توجست بي الأفكار ، هاتفك ميس أتساءل عنك فأجابتي بأنها لا تعلم سوى أنك سقطي و هي لم تراك ، ركض بي جنون عقلي بالذهاب إلى لي لي و السؤال عنك و بعد أن هممت للخروج و سؤالها عدت و تمسكت ببعض من عقل يغادرني خوفا عليك ، و بعد بضع ساعات مضت ثقيلة و أنا أنتظر بالنافذة لعلني أراك لكنني لم أظفر بطيفك ! زاد توجس قلبي خوفاً ، و بعد منتصف الليل بقليل و بعد أن خلد الجميع إلى النوم و لازلت أنتظرك بالنافذة ! و لازلت عني تمتنعين ! قرر قلبي أن تعتريه نوبة جنون لعله يحظى برؤياك و الاطمئنان عليك !

قادني شوقي إليك ، قادني إلى بابك ! فوجدتني أدق بابك بعد منتصف الليل ! مجنون ! أعلم لكن ما بيدي و الشوق إليك يعميني ! فما عدت أرى أو أسمع و ما غيرك بالكون يعينني !

وقفت أمام بابك يتهمني كل ما بي بالجنون ، وضعت اصبعي على الجرس و رفعته مرتين توقفت لحظة ! خاطبني لسان حالي و عن تخطي الجنون في عشقك ي حاكيني ! استمعت له و التفت مغادرا ! وقفني قلبي و هو ي خاطبني عن شوق إليك ي ولم صدري و يكونني ! عدت و التفت إلى بابك و دقت الجرس ! و خاطبتهما قائلاً : جنون العقل أحتمله أم جنون قلبي فيكونني ! و بعد أن انتظرت دقائق ولازلت أدق الجرس جاءني صوتك من خلف الباب لي حبيبي

: من بالباب ؟

انتفض موضع خفقاني مع همساتك

: هذا أنا حبيبتني !

: ياسين !

: نعم ياسين ، من يموت شوقا و اشتياقا و خوفاً عليك !

استدت بكفائي إلى الباب و شعرت بكفأك تلاصق رحاي من خلف الباب

: أجننت ؟ ماذا تفعل هنا الآن ؟ فكريم ليس هنا !

ابتسمت

: يبدو أن الجميع يعلم بجنوني الليلة إلا أنا !

صمت لكن أنفاسك وصلتني من خلف الباب الواقف بيننا

: أعلم أنه ليس هنا ، و أوقن أنه لن يأتي الآن .

كسرت صمتك بصوت متقطع بدا لي باكيا

: ماذا تريد الآن ؟

: فقط أن أراك ، خبرتني لي لي أنك سقطي يريد قلبي أن يطمئن عليك !

حاول صوتك إسكات دمعك

: الحمد لله أنا بخير .

ابتسمت و لازالت رحاي معلقة ببابك

: هذا كل ما أرغبه أن تكوني دائما بخير !

: هلا ترحل الآن ؟ أرجوك لأجلي ياسين ارحل !

: ألا يمكنني أن أرتوي بنظرة واحدة إليك كي يهدأ قلبي فلو تعلمي أنه سيُجن خوفاً

عليك و لا يمكنني منعه حبييتي !

صمت لحظة ثم عاد يغزوني صوتك الباكي

: ارحل ياسين ... أرجوك !

: نظرة واحدة فقط حتى أستطيع السكنة و النوم !

: صدقني أنت لا ترغب بتلك النظرة على الأقل ليس الليلة !

خطوة للخلف و قد طار جنون خوفي عليكِ بصدري

: إذن لن أرحل ايما !

: ياسين ، أرجوك -

: لن أرحل سأظل ببابك حتى أراك ، أو يأتي هو ! فحقا لم أعد أكثرث ، أو تعلمي

شيئا أقسم أنك إن لم تفتحي الآن أنا هو من سيخبره بكل هذا العشق بيننا !

: خبرتك سابقا أنك مجنون ، كنت مخطئة ، فأنت هو الجنون بحد ذاته !

عدت و تشبثت يداي ببابك

: أقسم لك حبيبتي أنني في عشقك أتشبث بكل ذرة في عقلي ! فإن انفلت مني عقد

صبري و تعقلي معك و في هواك قد أقتل كلانا !

لم تتفوهي بشيء ، فصمت لحظات ثم عدت و استرسلت لك و أن أقبض بكفي على

بابك ، و أسند جبهتي إليه هذا الذي يحول بين قلبي و بين عينيك

: افتحي حبيبتي ، كل ما يريده قلبي أن يراك ! لماذا تغلق هذا بي ؟ ي غادرني قلبي

لأجلك سيد جن خوفاً عليك ، كل ما أريده أن أطمئن عليكِ ترفقي بي مُعذبتني فقلبي

يؤلمني حبيبتي !

: لا أريدك أن تراني هكذا !

: حبيبتي هذا ي زيد من قلق قلبي عليكِ ! غير أنني أحبك و لا أكثرث لكيف تبدين ؟

أنت محفورة بقلبي أجمل نساء الكون ، ايما أرجوك حبيبتي لا تفعلي هذا بي !

بعد لحظات بدت لي دهرا تتسلل فيها اليأس إلى صدري ، و بعد أن بدأت أفقد الأمل
بأنني سأحظى برؤياك فأعلم كم أنتِ عنيدة ، سمعت قفل الباب يُدار ، كاد قلبي
يُغادرني فرحاً لأنني سأنعم بلحظات يطمئن فيها قلبي الملتاع عليك . حين فُتح الباب
كنتِ تتوارين خلفه أطلتِ بنصف وجهك فقط ! و أسدلتِ شعرك على نصفه الآخر !
غير أنكِ تواريتِ بجانبك خلف الباب الموارب ! حين تلاقت عيني و عينك ابتسمت
لي ابتسامة قلبك الصافي و أنتِ تمسحين عن عينك الدموع

: ايما ! حبييتي .

زادت بسمتك و أنتِ تمسكين الباب بيدك و تتوارين خلفه

: أنتِ مجنون ، و يجب أن تتوقف عن هذا الجنون ، أخبرني أنكِ تتعاطى شيئاً !

: بالطبع أتعاطكِ أنتِ مُعذبتني !

: ياسين .. لابد لهذا أن ينتهي ! يجب أن نتوقف عن هذا !

قلتيها و أنتِ تهزين رأسك بعفوية ، و حينها تحركت خصلات شعرك التي توارين بها
نصف وجهك عني ، و لمحت ما تحاولين أن تُداريه عني ففتهدت بألم اجتاح صدري
، وجددتني أمد يدي اليك و أرفع عن عينيك و وجهك شعرك المتدلي عليها ، مددتِ
يدك ل تمنعيني ! نظرت إليك بنظرة صارمة أن تترك يدي ، فأمسكتِ يدي بقوة و
عينيك عادت تطفو بها الدموع من جديد

: ياسين .. أرجوك لا تفعل !

زاد فضولي أن أرى ما تواريه عني ؟ و لماذا ؟ رفعت عن وجهك كل خصلاتك حينها
اقتلعتني الدهشة و الألم لما وجدت وجهك عليه ! فقد كان لونه أزرق و متورم بشكل
كبير ، و عينك تكاد تكون مغلقة من شدة تورمه ، و شعرت بكِ الألم حين لمست
أصابعي جبينك ، سألتك و قلبي يكاد ينشق عن صدري

: ماذا حدث ؟ ما الذي فعل بك هذا ؟

أغمضت عينيك و أنتِ تعودين للخلف بظهرك حتى استندتِ بظهرك للحائط

: لا شيء ، فقط سقط !

عاودت النظر بوجهك و التأمل به و لا أعلم لما لم أصدقك ! فلم أصدق أن كل هذا التورم كل هذا الذي بوجهك كل هذا الألم و الوجع فقط لمجرد أنك سقطت

: كيف سقطتِ ايما ؟

: فقط سقطت ، سقطت ياسين !

: هو من فعل بك هذا ؟

: كلا .. أنا من فعل هذا بي ! أنا فقط سقطت ليس أكثر !

حينها زاد غضبي ، فكل ما بداخلي ينبئني أنك تكذبين و أنني محق

: إذن أخبريني كيف وقعتِ ايما ؟

: كنت نائمة ، و ذهبت لأشرب فتعثرت و سقطت على وجهي !

ابتسمت بسخرية و أنا أمسك بذقنك و أرفع وجهك لأعلى

: خبرتك من قبل أنك كاذبة سيئة أليس كذلك أضيفي إليها أنك أنتِ هي الأسوأ على الإطلاق حبيبتي!

: لقد وقعت —

و قبل أن تكلمي رفعت عينيك نحوي فأعلم أنك لن تكذبي و أنتِ تنظرين بعيني

: حسنا لنرى الآن ، انظري بعيني حبيبتي و أخبريني أنك وقعتِ !

حينها غمرت الدموع عينيكِ و تعالت شهقاتك و ارتميتِ بين ذراعي ، و تلك كانت المرة الأولى التي تتدسين فيها بأحضاني ! كنت تبكين من الخوف و الألم ، كنت أشعر بقلبك و هو ينتفض بين ضلوعي ! شعرت بكِ تختبئين داخلي ، طوقتك بذراعي بقوة أذابتكِ بين ضلوعي ، و بصدري بركان غضب كم أود الآن لو أقتلع رأسه ، و بعد قليل بدأت نوبة ذعرك تخبو ، سألتك و لازلتِ بين أضلعي

: ماذا حدث ؟ لما فعل هذا بك ؟

: لم يكن واعيا ، فقد أفرط في احتساء الخمر ، لقد زاد إسرافه بكل شيء و زادت نوبات غضبه !

ضممتك إلى صدري و أنا أهمس لكِ بحنق

: أنتِ محقة لابد لهذا أن ينتهي !

: ياسيب

وضعت يدي على فمك ، و لمست جبينك المتورم بحنو إلا أنه ألمك

: حين يعود أخبريه أنني أتيت إلى هنا !

: ماذا ؟ ماذا تقول يا ياسين ؟

رفعت خصلاتك إلى خلف أذنك و أنا أغوص بعينيكِ

: افعلي ما أقوله ، خبريه أنني أتيت إلى هنا و أريده غدا يأتي إلى مكتبي بالمصنع هل هذا مفهوم حبيبتي!

: ياسين .. ما الذي تتوي فعله ؟

زادت بسمتي و أنا أداعب ذقنك بأصابعي

: فقط افعلي ما طلبته إليك ! اتفقنا حبيبتي !

أومات برأسك لي إيجابا و لم تقولي شيئا ، بدا أنك غرقتِ ببحور الدهشة و الحيرة ،
عدت و ضممتكِ إلى قلبي

: أعدك أن كل هذا العذاب سينتهي قريباً !

ثم قبلتك في جبينك و ذهبت ، عدت إلى غرفتي استلقيت بالفراش و كلي نائر لما
فعله بك ، فيكفيني صبرا على كل هذا إلى الآن ، أعتقد أن وقت التعقل قد انتهى !

باليوم التالي أتى كريم إلى المصنع ، طلبت إلى طلعت أن يجعله ينتظر
بالاستقبال بعض الوقت ثم بعد أن بدأ يفقد أعصابه و يتوتر دلف إلى مكنتي . كنت
لا أزال منشغلا بمراجعة أحد الملفات أمامي ، رفعت وجهي نحوه بصمت و أشرت له
بالجلوس ، عدت إلى النظر بالملف و بعد لحظات من صمتنا بادرني هو

: ماذا يحدث يا شريك ؟ خبرتني ايما أنك سألت عني بالأمس ؟

: أجل كنت أريد التحدث إليك بموضوع هام ، لكنني لم أجدك .

ابتسم بتوتر

: موضوع هام ! أقلقنتي يا شريك .

اتكأت إلى المكتب بساعدي

: إن لم أكن مخطأ بحساباتي ، فقد مر أكثر من أسبوعين بعد الموعد المتفق عليه
بيننا لاستلام العنبرين الأول والثاني !

وضع كفه على المكتب و هو يطقطق بإصبعه بتوتر

: أمهلني أسبوع واحد و مُدني ببعض المال و سأنجز كل شيء .

بسخرية و أنا أهم واقفا ، و ألتفت للجلوس بالكرسي المقابل له

: أعتقد أنني أمهلتك الكثير قبل الحادثة و بعدها ، أما بالنسبة للمال فقد دفعت لك
بالفعل الدفعة الأولى و ساعدتك بالحصول على القرض ، و أيضا أعطيتك الدفعة
الثانية قبل موعدها على أمل أن أستلم ثلاث عنابر غير أنني لم أستلم شيئا !

: ياسين أنت تعلـ

قاطعته بحزم

: ما أراه أنني أمهلت الكثير و دفعت الكثير و لم أحصل على شيء ! فالبناء متوقف
بشكل تام بالفعل منذ عدة أيام ، غير أن ما تم إنجازه لا يتعدى بعض أعمال الحفر و
الأساسيات البسيطة بالعنبر الأول ! فلا أرى أي شيء على أرض الواقع قد يجعلني
أعطيك المزيد !

اعتدل و هو يحرك يديه بتوتر ، و العرق يطفو بتقاسيم وجهه القلق

: أخبرني المقاول أنه تأخر من المورد ، غير أنه رفع السعر أكثر من مرة ! و لا
أستطيع مجابهة تلك الزيادة ! فماذا يجب أن أفعل ؟

: أعتقد أنه نمت إلى علمي أن هذا المقاول لم يستلم دفعاته من أمواله التي لديك ،
حتى أن أغلب مستشاريك الهندسيين لم يحصلوا على دفعاتهم هم الآخرين !
انتفض من مجلسه و هم واقفا و هو يتلثم

: ماذا تقول يا شريك هذا كذب و افتراء أعطيتهم كل أموالهم ، إنها شائعات !

: و الشائعات أيضا تقول أنك خسرت الكثير من الأموال على طاولات القمار !

: هذا لم يحدث يا شريك ، هناك من يحاول تدمير صداقتنا يا ياسين

ابتسمت و أنا أهم واقف

: جيد أنها شائعات ، متى سأتسلم العنابر ؟

: دعني أعدل أموري يا شريك !

: كريم لا دخل لي بأمورك ! بيننا اتفاق و مواعيد للتسليم ! فمتى ستسلمني ؟

: لما لا تدعني أتحدث إلى جدك ! لأعفيك من أي حرج أمامه !

ابتسمت بسخرية

: لن أخبرك أن لا شأن لجدي بهذا ! و لن أخبرك أن هناك مجلس إدارة للمصنع و

جدي لا يحق له التدخل بشيء! لكنني سأخبرك بأن جدي هو من ثارت ثورته لأجل

هذا التأخير! و أنا من يمنعه عنك!

علت وجهه الدهشة و علامات التعجب الممزوجة بخيبة الأمل فبادرته

: اسمع يا كريم كل يوم يتوقف فيه العمل بتلك العنابر أخسر أموال كثيرة ! فلا تتسى

أن المصنع يعمل بنصف طاقته لأجل تلك التوسعات ، و أنا أيضا لدي التزامات

يجب أن أوفي بها ! فلما لا تلتزم بجانبك كما التزمت أنا ! فلا أتذكر أنني قصرت

بشيء معك يا شريك ! فذكريني إن كنت قصرت بشيء!

انتبه من شروده ، و أجايني بتلعثم

: كلا ، لكن يا ياسيـ

: إذن فلتلزم بما يخصك من الاتفاق ؛ و لا تتسى بأن هناك شروط جزائية إن أخل
أحدنا بالعقود ! هل أنا واضح لك ... يا شريك !

تقدم خطوة نحوي و هو يشير بيده فتخطيته إلى مكتبي
: ياسين -

وقبل أن يكمل رفعت سماعة الهاتف و طلبت من طلعت أن يأتي إلى مكتبي ثم
رفعت وجهي نحوه

: أعتقد أن تلك المقابلة قد انتهت ، سأنتظر أن أستلم العنبر الأول بنهاية هذا الأسبوع
، و أكون بذلك فعلت أكثر مما يمكن فعله معك ! و لا تلم بعدها سوى نفسك هل أنا
واضح بما فيه الكفاية لك !

: هذا لا يمكن ياسين .. نهاية الأسبوع ! هذا مستحيل ياسيـ

: انتهى الحديث !

ثم وجهت نظري نحو طلعت الذي دلف لحظتها و بنبرة أكثر غضب و حدة
: أوصل كريم بك الى سيارته !

رمقني بنظرة غاضبة ، تمنى لو هدم المكتب فوق رأسي ، إلا أنه غادر و كل ما به
يشتعل غضباً ، حتى أنه دفع طلعت من أمامه أثناء مروره بالباب !

و كما توقعت فإنه غادر مكتبي متوجها إلى جدي ! ليتحدث معه و يطلب إليه تأجيل
الاستلام متعل بما مر به من عثرات صحية و بعض العثرات المادية ، لكن جدي
خبره أن لا شأن له بالعمل فأنا هو المسؤول عن كل شيء ، و ليس له حق التدخل

لكنه سيحاول التحدث معي ، و في نفس الوقت طالبه بتسديد جانبه من الاتفاق ، غير أنه أخبره بشكل غير مباشر أنني كنت متساهلا معه لأقصى درجة ، و أن هذا يُعد خطأ في إدارة العمل ! و كان رد فعل جدي صادم له تماما كما حرصت أن يكون ! فصدقا لم يكن هذا رد فعل جدي حين تحدثنا بصباح ذلك اليوم فكان لازال متأملاً فيه خيرا ! حتى أنه طلب إليّ التمهّل و إعطائه فرصة أخرى ، لكنني حرصت أن يُغير وجهة نظره تلك حين أخبرته أن عثراته المادية التي يتحدث عنها بسبب خسارته على طاولات القمار ! حينها اختلفت نظرة جدي لكل شيء و أصر هو على إنهاء تلك الحماسة كما وصفها ، حتى أنه لام نفسه كثيرا لأنه توقع من كريم أن ينجح بهذا ، و أن يعيد بناء نفسه و لملمة خيباته المتتالية و بداية حياة أفضل !

ذهب كريم إلى البنك محاولا الحصول على قرض آخر ، إلا أنهم رفضوا لأنه لم يقدّم بتسديد القرض الأول ، حتى أنه تأخر عن دفع الأقساط الأولى له ! قام بالعديد من المحاولات معهم إلا أنني أيضا قمت بمكالمة هاتفية لهم و أخبرتهم أنه لا يملك تسديد القرض الأول و ليس لديه ما يقدمه للقرض الثاني ! و لديه الكثير من الأزمات المالية لذلك رفضوا إعطائه القرض و طالبوه بتسديد القرض الأول أو سيستولي البنك على الأرض و بيعها بالمزاد العلني ، و إن لم توفي السداد سيلجئون إلى المحكمة لكنه لم يهتم كثيرا لتهديدات البنك فلا شيء باسمه !

خبرتي ميس أنه حاول الاقتراض من أختيه و أمه إلا أن أزواجهم رفضوا التدخل بأي من مشاكله ، خاصة أن الأمر تخطى العقود التي بيننا أو الشرط الجزائي بها فأصبحت تلك أقل مشكلاته ! بعد أن طالبه مهندسيه بمستحققاتهم التي لم يحصلوا عليها و أيضا المقاولين الذين تعاقد معهم ، غير ظهور بعض الشيكات التي يدين بها على طاولات القمار ، و هدد الجميع بالجوء إلى النيابة للحصول على أموالهم ؛ حينها زادت أزماته و كثرت الأبواب المفتوحة ضده ! و قد حوصت ألا تُغلق تلك الأبواب رغم محاولاته المستميتة للخروج من أزماته ، أو حتى تأجيل بعضها ببعض

الوعد التي لم يعد يمتلك غيرها ! حتى أن يأسه دفعه بالذهاب إلى توفيق و طلب
منه شراء حصتك بالمزرعة ، فوافق توفيق لكنه عرض سعر أقل من قيمة حصتك إلا
أنه وافق و قام ببيع مقر مكتبه الهندسي ، لكن المبلغ الذي جمعه لم يكفي سوى
لتسديد أحد الشيكات التي وقعها على طاولات القمار !

نستيقظ بكل يوم و لا نعلم تحديدا ما يخبئه لنا القدر ، و إن كان بكل يوم
نحيا هناك دائما ترتيب جديد و خطة جديدة قد أعدها لنا ، هناك ما نجهله و لا نعلم
عنه و الأسوأ من جهلك به أنك لا تعلم إن كانت تلاعبات القدر بك هي لصالحك أم
أنها ضدك !حين يُفاجئك بأشياء لا تعرفها فلا يمكنك الجزم إن كانت معك أو ضدك
، فكما فاجئني بك و ألقى بك في طريقي كان لازال بجعبته بعض المفاجآت المدوية
لأجلي !

بعد ليلة صاخبة بيني و بين سحر تشاجرنا بها لإصراري رفض زواج أخيها بلي لي ، استيقظت مؤرق منها و من اشتياقي إليك ، حين أفقت من نومي لم تكن بالغرفة ، ذهبت إلى الحمام كي أغتسل ، فكم كنت محتاج إلى حمام بارد كي يعيد لي قليلا من عقلي الذي أفقده بينك و بينها و بين العمل و العائلة !

أنهيت حمامي ، و لأنني كنت شارد بكِ و عقلي غارق بما هو قادم مع كريم لتنفك عنك قبضته ! حين التقطت المنشفة سقطت من يدي فابتلت تلفت حولي لم أجد غيرها ! اتجهت إلى خزانة المناشف الموجودة بالحمام و انتزعت واحدة غيرها ، فسقطت أكثر من واحدة على الأرض و حين هممت لالتقاطهم سقط من إحداهما شيئا ! وضعتهم إلى الرف و انحنيت لألتقط ما سقط ، و كانت تلك صاعقتي التي أعدها لي قدري ! و حينها فقدت صوابي و كل قدرة لي على التمهل أخذت ما وجدته ، و ارتديت ما طالته يداي من خزانة الملابس ، و ركضت خارج الحجرة كنت أصرخ بأرجاء القصر الذي اهتز كل ما به من فرط غضبي ، انتفضت أمي مسرعة على صرخاتي و دخلت عمتي من الحديقة ، كان جدي يجلس ببهو القصر و لي لي و أنت ! إلا أنني لم أراك حينها ! كنت تلك اللحظة لا أرى و لا أسمع سوى صفة قدري لي ! انتفض الجميع من مجلسه على صراخي

: سحر ، سحر :

قابلتني أمي أولا كانت تقف أمام السلم و قد وصلت آخر درجاته

: ماذا بك ؟ ماذا حدث ياسين ؟ لما تصرخ هكذا ؟

: أين هي ؟

تساءلت أمي

: سحر ؟

: أين هي ؟

: بالحديقة ، ما الذي حدث ؟ ماذا فعلت ؟

لم أجبها و قبل أن أتجه نحو الحديقة ، و بينما جدي يسألني بدهشة

: ماذا حدث ؟ لما تصرخ هكذا ؟ ما الذي فعلته ؟

دخلت هي منزعة على صوت صياحي ، و بينما كانت تتقدم نحوي

: ما بك ؟ لما تصرخ هكذا ؟

حين وقفت أمامي ، لم أشعر بذاتي إلا و أنا أصفعها على وجهها بقوة طرحتها أرضا ! سقطت تحت قدم جدي ، و سالت الدماء من فمها و أنفها ، سكن الجميع من الصدمة حتى أنك انتفضت من المفاجأة ! و اندفعت نحوي عمتي لتقف أمامي و تمنعني عنها ، صرخت بي أمي و هي تتحني عليها

: أجننت ماذا تفعل ؟

جدي لم ينطق حرفا واحدا ، اقتلعتة الدهشة و أخرسته فتلك مرتي الأولى التي أفعالها و تمتد يدي إليها ، بالرغم من كل حماقاتها و ما تفعله بي إلا أنني لم أضربها سابقاً فصرخت عمتي بوجهي

: ما هذا يا ياسين ؟ هل فقدت عقلك ؟

أم أنت و لي لي فلم تحرك أي منكما ساكنا ، و هي فقد كانت تنظر لي بعينين مدهوشتين و الدماء تسيل منها و أمي تمسحها عنها فألقيت بما وجدته بالخزانة بوجهها و أنا أصرخ بها

: هلا تخبريني ما هذا ؟

انحنت عمتي و أخذته و حين نظرت إليه صمتت ، فانحنيت إليها و انتزعتها من يد
أمي و أمسكتها من شعرها بحنق كدت أقتلع رأسها به

: هلا تخبريني يا سليلة العائلة العريقة ما هذا ؟

صرخ جدي بوجه عمتي

: ما هذا ؟

لم تجب عمتي فأعاد السؤال بغضب فأجابته بتلعثم

: إنه دواء يا أبي !

سألته أمي بعد أن همت واقفة لترى ما بيد عمتي

: لما فعلتي هذا ؟

جن جدي و صاح في غضب

: حقا أنت مجنون ، أتضربها لأجل دواء !

ابتسمت بحنق ملأ صدري ، و جذبت شعرها بقوة فتأوهت

: فلتخبري جدك لأي غرض هذا الدواء !

صمتت و هي تُجهش بالبكاء فعدت و صرخت بوجهها

: هيا أخبريه يا ابنة الحسب و النسب ! أخبريه لأي غرض هو ؟

صرخ جدي بالجميع

: ما هذا الدواء ؟ فليخبرني أحد ماذا يفعل هذا الدواء !

أجابته عمتي

: إنه دواء لمنع حدوث الحمل يا أبي !

سقط جدي بمقعده دون أن يتفوه بشيء ، و كأن الصدمة كانت أكبر من احتمالها هو الآخر! فسألتها و الجنون يكاد يخرج من أحداقي

: منذ متى ؟ منذ متى و أنتِ تخدعيني ؟

صرخت بألم ، و هي تجهش بالبكاء

: منذ تزوجنا .

حينها فقدت كل قدرة لي على التمسك بعقلي فزاد جنوني ، و أخذت أدفع رأسها بالأرض دون وعي مني ! حاولت أُمي و عمتي انتزاعها من يدي ، لكن لم يستطع أحد أم جدي فلم يُحرك ساكناً ، نزلت أرضاً و أمسكت بي من ذراعي بقوة و أنتِ تصرخين بي

: اتركها ياسين .. ستقتلها .. اتركها أرجوك .

إلا أنني لم أتركها فكنت كالمغيب ، و لم يستردني من جنوني ، إلا حين صرخت فيَّ بقوة و أنتِ تدفعيني بعيداً عنها و تحولي بينها و بيني

: اتركها ياسين .. اتركها لأجلي .. اتركها ستموت بيدك !

فتركتها ، ضممتها إلى صدرك ، و أنتِ تمسحين الدم عن وجهها ، جلست مكاني أرضاً وضعت رأسي بين كفاي و شعرت بأن كلي قد سقط مني ، كانت تلك الصفحة أقوى من كل ما سبقها ، شعرت بغصة قلبي ، نزلت أُمي و لي لي قربي ، وضعت أُمي يدها على كتفي و الحزن قد ملئها ، كم تمنيت تلك اللحظة أن أرتمي بين ذراعيها و أفرط في البكاء و لا أتوقف حتى يغشى عليَّ بأحضانها ، إلا أن كبريائي منعني ! عم الصدمت بضع دقائق ثقيلة تأبى الضي ، سكن كل شيء بالقصر حتى أوراق الشجر كفت عن الحركة و هدأت الأغصان عن الحياة ، و تحول المكان إلى قبر

ليس به سوى صمت يتلوه صمت ، بعدها حاولت لملمة ذاتي حاولت تمالك نفسي ، و حين هممت للنهوض شعرت بأنني لا أستطيع ! اتكأت إلى ساعد الكرسي حتى استطعت الوقوف ، كان جدي ينظر نحوي و بعينه حسرة شعرت بها في نظراته و أنفاسه ! فهو من أصر على تلك الزيجة من البداية رغم رفضي لها ! إلا أنه أصر على زوجي منها ، وقفت على قدمي كان الجميع ينظر نحوي و كنت أنظر إليها ، ثم ناديتها

: سحر

رفعت وجهها نحوي ، و لازالت تبكي بأحضانك ، و كانت مغطاة بالدماء ، ثم رفعت عينيك نحوي ، و بعد أن ارتحلت عيني بينك و بينها ! نطقت بكلمتين فقط ! انتفض لهما الجميع و أنت أولهم ، و أوقفوا جدي في مجلسه

: أنت طالق

و قبل أن ألقى يميني الثاني

: أنت طا—

زاد انزعاجي جدي و جال غضبه و هو يصيح بي

: ياسين .. و لا حرف آخر !

نظرت إليه ثم عاودت النظر إليها

: أنت طالق

و قبل الثالثة صرخ جدي و هو يدب بعصاه الأرض

: أقسم بمن رمى حبك دون الكون بقلبي إن تفوهت بحرف آخر فلن يقتلع رأسك قبل رأسها غيري !

نظرت له و كأنني لا أراه ! عاودت النظر إليها و قبل أن أنطق حرف آخر و لازالت أنوي الثالثة ، لم يكن لدي نية بالتراجع عما عقدت عزمي لحظتها عن فعله ، دق بعصاه الأرض ثانية لكن تلك المرة بغضب أكبر و قد قرأها بعيني فهو يعلمني خير من نفسي ! و صرخ بحزم و عينين أعرفهما جيدا و هو يتقدم نحوي وقف أمامي و صرخ فَيّ

: اياك أن تفعلها ، اياك يا ياسين أن تجرؤ و تتحداني !

فهمت أمي بوضع يدها على فمي ، و عيناها ترجوني ألا أنطق بشيء ، و جذبتني عمتي من ذراعي و هي تدفعني بعيدا عنه ، انتزعت سترتي و قبل أن ألتف خارجا ووقفت هي على قدميها و كانت قبالة جدي فنظرت له و هي تجهش بالبكاء و بقايا الدم على وجهها فأدار وجهه عنها لكنها نادته بصوت باكي

: جدي أنا —

التفت إليها و صفعها على جبينها فارتمت على الأريكة فأمسكت به لي لي ، فصرخ بوجهها

: تلك غلطي أنا ! فأنا من أجبره زواجك ، و قد فعلتي فعلتك دون اعتبار لي ، أنا هو من أهنته بتصرفاتك ، و كما أجبرته زواجك سابقاً سأجبره أن يُعيدك مرة أخرى لأنه أحمق يعتقد أن طلاقك عقاب كافي لك ، كلا فالعقاب الذي تستحقينه أنه كما أجبرته عليك سأزوجه غيرك ! فأنا من سيأتي له بأخرى ، و ستظلين زوجته هذا هو ما تستحقينه !

حينها تعلقت عيني بك ، ثم خرجت و تركت الجميع خلفي .

غادرت البيت و كلي يحتدم بالصراع ، تتقاذفني الأفكار يكاد عقلي يغادرني
من هول صدمتي، طُفْتُ بسيارتي لساعات على غير هدى ، لا أعلم أين أذهب ؟
ماذا أفعل ؟ فكلي مشتت ، لم يلتقطني من دواماتي سوى عينيك ، وجددتني أعود
بالسيارة مرة أخرى إلى البيت ، لكنني لم أصل إليه فقط و قفت بالسيارة بالشارع الخلفي
للقصر ، اتصلت بك على هاتفك ، أجبتني بالمرّة الأولى

: ياسين . هل أنت بخير ؟

: أريد أن أراك الآن !

: لا يمكنني يا ياسين

حينها صرخت بكِ دون أن أفكر

: الآن ايما ، فأقسم لك أن كل ما رأيت أو سمعت عن سيئاتي ليس بحرف في كتاب
! أنت لم تدقي الباب بعد ! فلا تختبري صبري الليلة لأنني أفرغته حتى آخر قطرة !

: ياسين ، أنا -

: خمس دقائق أنتظرك بالشارع خلف القصر ، و أقسم بمن ألقاني بعشقتك إن لم تأتي
سأتيك أنا الآن و أمام الجميع ، و كم أسأل الله الليلة أن تثبت على عنادك حبيبي و
لا تأتي !

أغلقت الهاتف و لم أنتظر رد ، كان كلي يثور بي حتى أنني أخذت أدفع مؤخرة رأسي بالكرسي خلفي ، كانت تهيج بصدري رياح الحنق و الغضب من كلاكما ، حتى أنني أقسمت إن لم تأتي أن آتيك أمام الجميع حينه كان غضبي يعميني و توغل بي السخط على كل شيء ! و ما أوقفني سوى أنك أتيتي !

حين رأيته تقتربي من بعيد سكنت روحي و هدأت عواصفي كلما تقدمت نحوي ، كنت متوترة و تتلفتين عن يمينك و يسارك حتى وصلت إلى السيارة ، وقفت أمام الباب ، نظرت إليك و لم أتفوه بشيء و بعد لحظات من تردد دلفت إلى السيارة ، جلست لحظات صامتة و قبل أن تقولي شيء أدت محرك السيارة

: ماذا تفعل يا ياسين ؟

لم أجيب فاسترسلت بقلق و تخطيط و أنت تتقلبن عينك بيني و بين الطريق خلفنا

: ماذا تفعل يا ياسين ؟ إلى أين نحن ذاهبون ؟

لم أجب و زدت من السرعة حينها صحت في بخوف ملاً صوتك

: ماذا تفعل إن عاد كريم الآن -

: لا تقلقي هو لن يعود الليلة

صمت لحظة ثم ابتسمت بسخرية أغضبتهك

: لديه الليلة من هي أهم منك ! لا تخبريني أن صورهم لم تصلك بعد ! فقد أرسلتها بنفسني !

أغمضت عينيك و الغضب المكظوم يملئك

: أريد العودة الآن !

: ستعودين حين أريدك أن تعودني !

سكنتِ و لم تتفوهي بكلمة و ظللتِ مطرقة طوال الدقائق التالية ، عينيكِ معلقة بالطريق و لكنها لا ترى شيء ، حتى دخلنا بالسيارة إلى موقف السيارات بأحد البنايات ، حينها عادت و اعتلتك الدهشة لكنك لم تتفوهي شيء حتى أوقفت السيارة و طلبتِ إليكِ النزول ، لكنك لم تُجيبني و حين أعدتها عليكِ رفضتِ النزول و طلبتِ أن أعيذكِ إلى الفيلا مرة أخرى ، خرجتِ أولاً ثم اتجهتِ إلى بابك و فتحتته و بنبرة قاطعة و نظرة غاضبة

: الآن !

و بعد نظرة طالت بيننا من خوفك و من غضبي ! خرجتِ ! دلفنا إلى المصعد و كان كل ما بكِ ينتفض ، و قفتِ خلفي لم ألتفتِ إليكِ ، خرجتِ من المصعد و أشرتِ إليكِ بالخروج ، بالبداية و قفتِ مكانك لا تتحركي ، لكن بعد نظرة صارمة مني خرجتِ تبعتِ خطاي بالممر ، إلى أن وصلنا إلى باب شقة بأخر الممر ، أخرجتِ المفاتيح و فتحتِ الباب ثم أشرتِ إليكِ أن تدخلني ، لكنك تسمرتِ مكانك شبكتي ذراعيك و أنتِ تتظرين أرضاً و أحسستِ برجفة تعتلِكِ ، فتراجعتِ عنكِ خطوة حتى أصبحتِ خلفك و ملتِ إلى أذنكِ

: الآن حبيبتني ، لا يجب أن يخرج أحدا و يرانا هكذا !

لكنك ظللتِ مطرقة فأعدتها بحزم

: الآن .. ايما !

انتفضتِ ، ثم دلفتِ إلى الشقة كنتِ ترتجفين و كلكِ غارق ببحر من الخوف و القلق ! و تسحبين أكمامك حتى اندثرتِ أصابعك داخلها ، كنتِ تحاولين السيطرة على توترك الواضح ؛ تجاهلتِ خوفك ! و دلفتِ خلفك أغلقتِ الباب ، تقدمتِ خطوات حتى وصلتِ إلى الاستقبال ، و بعد توقفك لحظات استسلمتِ و تبعنتني بخطوات مترنحة ، خطوات مترددة ، وضعتي يديك بجيبك و عينيك تائهة بكل ركن و زاوية ، تقدمت و

جلست إلى الأريكة و أنا أنظر إليك و لازلت على حالة التيه التي تجتاحك ! جلست صامت أخرجت علبة السجائر و أشعلت واحدة ، تقدمت نحوي و جلستني إلى الكرسي المقابل لي و بعد صمت طال بيننا

: ما الذي يحدث يا ياسين ؟

نظرت إليك لكنني لم أجيبك بشيء ، فسألنتي

: هل أنت بخير ؟

لم أجيب بشيء ، فقط أملت رأسي بحيرة ، فحقاً لم أكن أعلم هل أنا بخير أم لا

: بعد مغادرتك تعالت الأصوات بالقصر ، وخبرتني لي لي أن هناك عاصفة قادمة !

وقفت و قد زاد الضيق بصدري

: لا أريد الحديث عن هذا الأمر !

: آسفة لم أقصد ، على كل حال كما تشاء .

و بعد أن صمتي لحظة عتي و سألتني بتلثم

: لما أتينا إلى هنا ؟

نظرت إليك و أنا أنحني لأطفئ بقايا سيجارتي ، و أنتِ تهمين واقفة

: لأنني أريد أن أكون معك دون أن أتلصص ! فقد تعبت من سرقة لحظاتي بقربك ،

و تعبت أكثر من كل هذا الوضع ! فلم أعد أحتمل أن أراك معه !

: خبرتك سابقاً أنك لن تحتمل !

: و خبرتك أنني أحتمل ، لكن أعتقد أنه يكفي كلانا احتمال إلى هذا الحد ! فلسنا من حديد ! حتى أن الحديد إن أكثرتِ من الضغط عليه يلين ! و تأجج نار الغيرة بصدري تكفي ليلين لها الصخر

رفعتِ كفيك في الهواء مستسلمة

: ماذا تريدني أن أفعل ؟

: حين يعود خبريه أنك تريدان الانفصال عنه !

تخطيتي ، و قد زاد قلقك

: الأمر ليس بتلك البساطة ياسين

: لما لا ؟ أنت لا تريديه ! فقد أرغمتِ زواجه و يخونك ! و بينه و بين القضبان

خطوة واحدة و هذا حقاك بأن تنفصلي عنه !

: لا يمكنني -

و قبل أن تكلمي شيء جذبتك من ذراعك نحوي بغضب

: أتحبيني أم لا ؟ تريدني أم لا ؟ أجيبني ايما !

صرختِ بدموعك

: أحبك ، أقسم أنني لم أحب يوما سواك .

: و أنا لم أعشق امرأة غيرك ، و لم أعد أحتمل أكثر حين يعود تطلبي الانفصال عنه

: لا أستطيع ! لا يمكنني ! ياسين أنت لا تفهم

صحت فيك بغضب

: لقد اكتفيت ! لا أريد أن أفهم سوى شيء واحد فقط لما تخشينه الى هذا الحد ؟ لما

كل هذا الرعب يملئك منه ؟

صمتِ لم تجيبي بشيء ، فدفعتك إلى الأريكة خلفك ، و انحنيت نحوك

: أخبريني ايما لما تخافيه ؟

: أنا أخشى عليك ، إن علم كريم أنني أحبك !

ثم صمتِ و قد فاض الدمع بعينيكِ ، فبادرتك بما اهترت له أوصالك.....

: تخافي أن يفتلني كما قتل عدنان !

تعلقت عينيكِ بي ، و قد حاصرتهم أمواج الدهشة و الحيرة ، و غزتهم أسئلة كثيرة لم تُسأل ، طاف بنا الصمت دقائق ، ثم كسرتيه بنبرة متخوفة

: أنت تعلم ؟

جلست إلى الأريكة قريك و أنا أهز رأسي بضيق ، فوضعت يدك على كتفي.....

: ياسين ، أنا أحبك و لن أحتمل أن يمسك مكروه ، لن يتركك كريم إن علـ

صحت فيكِ

: لما لا تحاولين فتح عينيك ! كريم انتهى ! لم يعد يستطيع أن يفعل شيء ! فهو عاجز عن انقاذ نفسه ، فكيف له أن يمسنني بمكروه !

ثم هممت واقفا و بنبرة حادة

: الليلة ستطلبين الانفصال عنه !

وقفتِ خلفي و أنتِ تحاولين تهدئة حدتي

: ياسين -

صرخت في وجهك بغضب و دفعتك إلى الحائط خلفك و ضربت الحائط من حولك

....

: ايما تقدمي خطوة واحدة كي أعلم أنك تريدني كما أريدك ، أنا أقدم كل الخطوات كي أصل إليك و لا أريد منك سوى خطوة واحدة ، ألا أستحق منك بعد كل هذا العشق بعد كل هذا الجحيم خطوة واحدة لأعلم أنك تتمسكين بي ، و أنني لا أطارد سراب وحدي ! لما لا تثورين ضده كما تثورين ضدي ؟ فبعد كل ما أعانيه منك و لأجلك ألا أستحقها ؟ أنت لا تعين كم أحتاج منك تلك الدفعة إنني ألهث أنفاسي الأخيرة فلا تتركين يدي تشبثي بي كما أتشبث بك !

غمر الدمع عينيك كنت ترتجفين و أنت تهزين رأسك ايجاباً ، و لم يلتقطني من حدتي و غضبي سوى صوتك الباكي

: أحبك ياسين ، و لا أريد بالكون سواك ، أفعل أي شيء لأظل جوارك ، و إن كنت أخشاه فلأنني أخشى عليك ، سأفعل كل ما تريد كل ما ستطلبه سأنفذه لك ، هل هذا يرضيك حتى يهدأ قلبك ؟

انتزعت بها عني الغضب و الضيق ، و بسمه عينيك الباكيتين كانت كفيلة بأن تُخرجني من بحر غربتي و تهدأ لوعة قلبي و عقلي الغارقين ببحرك ، لوعة احتراقي بنار غيرتي في عشقك لمطر صدري بالسكينة و الراحة و تُحييني بعد موتي ، غرقت ببحر أنفاسك بين ضلوعي ، وجددتني أزيد اقترابي منك و رفعت يدي اليسرى لأمسح بها دمعاتك من فوق جبينك ، ثم أرخيتها حول كتفك الأيمن حتى و صلت خصرك فالتفت به ، عينيك تحملني على أجنحة الحب بسماء العشق ليخبلني الغرام بصدى نبضاتك التي لامست صدري ، أحنيت وجهي على كتفك الأيسر و شففتي المشتاقتان لك تمران على عنقك بلهفة قلبي الملتاع من غيابك ، لتسافرا بي في صحراء الاشتياق و الحنين لعشقتك و قربك ، و تطفئ من جحيم عقل طارت به مراكب الغيرة لتلقي به بشواطئ الشك و العذاب كلما اقترب منك أحد ! كل ما أردته تلك اللحظة أن أشعر الأمان بين يديك ، فلم أرغب بك تلك اللحظة سوى لتهدئي خوفي و تقتلعي التيه التي سكنت بي ، كل ما أراه قلبي أن يستعصم بك من غربته أن يعود بك إلى رشده ، أن

يوقن بأنك له وحده و لا يشاركني بك أحد ، و بعد أن زدت بضمك إلى صدري حتى
أنني اعتصرت دقاتك بصلوعي ، تداركت ذاتك التي هربت لي و سبحت بشرائيني و
ذاب كلك بين أوصالي ، أبعدت يدي عن خصرك و أنتِ تحاولين تمالك ذاتك ، و
تتظرين أرضاً

: ياسين

تراجعت خطوة إلى الخلف و أنا أُللم ذاتي من سكرتي بعشقتك ، و ابتسمت

: اطمئني حبيبتي ، فأنتِ تفاحتي المحرمة التي لن أتذوقها إلا برغبتها ! و الأهم حين
تكون لي وحدي ! فأنا رجل لم يقبل بالمشاركة في امرأة رغبها ! فما بالك بامرأة
يعشقها !

ثم أمسكت بذقنك و رفعت وجهك نحوي و بنبرة صارمة

: و من الليلة لن يشاركني بك أحدا ! ليس بقلبك و لا بعقلك و لا بجسدك هل أنا
واضح ! من الليلة و من تلك اللحظة لن يقربك أهذا مفهوم حبيبتي ؟

أسبلت جفنيك و أملت وجهك إلى الأمام دون أن تقولي شيء ، بعدها أعدتك ثانية
إلى الفيلا و حرصت على ألا يرانا أحدا ، ثم عاودت الرجوع إلى الشقة فلم أعد إلى
البيت .

قضيت بضعة أيام بعيدا عن البيت ، لم أكن أرغب العودة في تلك الفترة ، حاولت أمي و لي لي الاتصال بي لكنني كنت أغلق هاتفي طوال الوقت ، كنت غارق ببحر صراعاتي أحاول لملمة شتاتي كنت أحتاج إلى إعادة التفكير بكل شيء من حولي إلا أنت ! كنت أمكث بشقتي الخاصة ، شقة كنت قد اشتريتها بغرض التجارة ، لا يعلم عنها أحدا إلا طلعت و أنت و توفيق بالطبع ، فهو الآخر أراد مني المكوث لديه فلم يكن يرغب بتركي وحدي و أنا على تلك الحالة ، إلا إنني رفضت فكننت أعلم أنه أول مكان سيبحث به جدي و أمي ! و على كل حال فلم أكن لحالي تماما ! توفيق كان يقضي أغلب الوقت معي ، و أيضا طلعت حين يفرغ من العمل كان يأتيني بأخبار الشركة و تطورات ما يحدث مع كريم !

خبرني توفيق أن جدي يفتش عني بكل مكان ، و أمي متلهفة شوقاً و خوفاً لأجلي ، أبح توفيق كثيراً بأن يطمئن لي لي لأنها ستشتت خوفاً علي ، إلا إنني رفضت و أقسمت له إن فعلها فلن يقرب لي لي ما حبيت ولا حتى بعد وفاتي فامتنع ، لكن أكثر ما كان يحزنني من حزن أمي و جدي هو جنا خبرني أنها لم تكف عن البكاء منذ رحلت ، و رغم أن هذا وحده كان يعترضني و يؤلم قلبي ، فطفلتي الصغيرة هي كل ما كان يؤرقني أثناء غيابي ، إلا أنني لم أكن مستعدا بعد للعودة . أتاني توفيق ليقضي بعض الوقت معي و حاول إقناعي بالعودة فأسبوع بعيدا عن البيت كافي ، خاصة أن جدي يكاد يجن و هو يفتش عني بكل مكان

: ألا ترى أنك أخذت ما يكفي من الوقت للتفكير ؟

بادرني بها توفيق بعد أن دلف إلى شقتي و قبل أن يجلس ، ابتسمت منه

: لما لا تجلس أولاً ، ثم تبدأ بإعادة تلك الأسطوانة

: وماذا ستخسر أنت ، أنت هنا تتعم بالهدوء و الراحة و العالم بالخارج مُنقلب رأساً على عقب لأجل اختفاء سيادتكم !

جلست و قد علت ضحكتي

: لما أشعر ببعض الحسد بصوتك ، ربما لأن لأحد يكثرث لأحمق مثلك !

: أتضحك أعلم أن موتي سيكون على يدك !

: و ماذا فعلت أنا لك الآن ؟

زادت نظرات الغيظ بعينيه و هو يجلس بالكروسي المقابل لي

: ماذا فعلت ! أتسأل حقاً ! أنت لا تعلم ماذا ستفعل بي أختك إن علمت أنني أعلم مكانك و لم أخبرها ، ستقتلني يا ياسين ، أنت لا تعلم ما الذي فعلته بي حين علمت أنك كنت تعلم بشأننا و لم أخبرها ، و هي على كل حال لم تُصدقني حين خبرتها أنني لا أعلم مكانك

زدت في الضحك من نظراته المتخوفة منها ، و زدت مشاكسته

: ذكرني أن أخبرها أنك من أقنعني بالاختباء ، و أنك منعتني من محادثتها وطمأنتها !

قفز من فوق الكروسي

: من ؟ أنا ! كلا لم يحدث ، ستقتلني لي لي ، خبرتك موتي سيكون على يديك ! ياسين لا تمزح بهذا الشأن فأختك مجنونة ، ستصدق أي شيء ستخبرها به

: أيضا ذكرني أن أخبرها أنك وصفتها بالمجنونة

جلس و هو يتصنع الجدية

: لما لا تتوقف عن المزاح و أخبرني متى ستعود أمك تكاد تُجن ، ألا يكفيك كل هذا الوقت للتفكير !

غابت البسمة عن وجهي و نظرت إليه بصمت ، فعاد و خاطبني بجدية

: اسمع يا صديقي ، الآن أو بعد عام بالنهاية ستعود ، و أعتقد أنك أخذت ما يكفي من الوقت للتفكير بكل شيء ، غير أن ابتعادك بالوقت الحالي سيفسد كل ما تخطط إليه بشأن كريم

أسندت ساعدي إلى ساعد الكرسي و اتكأت بجبھتي إلى باطن كفي ، فاسترسل لي ...

: غير أنني لا أفهم لما أنت حزين كل هذا الحزن ؟ إن ما حدث كان لصالحك فقد تخلصت من عقبة وجود سحر في حياتك و إلى الأبد !

: سحر خدعتني ، تلاعبت بي من البداية لقد خاننتني توفيق ، حرمتني من حقي بأن يكون لدي أطفال! دون أن تترك لي الخيار بأن أرفض أو أقبل !

: أعتقد أنه من حسن حظك أنها فعلت ذلك ! الآن و بعد طلاقك لسحر أصبح الطريق مفتوح أمامك للوصول لايماء ، خطتك بإزاحة كريم من طريقك اكتملت و أوشكت على الانتهاء !

: و إن لم تكن ايماء بحياتي ؟

: لم تكن سحر اتخذك !

اعتلتني الدهشة و نظرت نحوه بتعجب ، فبادرني

: ألم تسمع من قبل بأنه إن سافرنا إلى الماضي و غيرنا به شيء ، يتغير الحاضر و المستقبل ، فإن تغير ماضيك و لم تستوطنه ايماء ! ما كان ليصبح هذا مستقبلك مع سحر ! الأقدار مترابطة فإن تغير أحدهما تغير الآخر ! انظر للنصف الممتلئ يا صديقي الآن لن يلومك أحدا إن تزوجت ألف امرأة ، غير أن عمك سيد لن يجرؤ على إزعاجك بعد ما فعلته ابنته بك ، و حين تعلن على الجميع رغبتك في الزواج من ايماء لن يعارض أحد و أولهم جدك ، و الأهم بنظري أنك تخلصت من سحر !

ابتسمت بسخرية و أنا أهم واقفا

و ما يُدريك أنني تخلصت منها !

: ألم تُطلقها ؟

: و سأعيدها مرة أخرى !

: ياسين صديقي أفقدت عقلك !

: لكي أحظى بايما فسأعيد سحر إلى عصمتي !

: يا الهي .. أنت لا تمزح ! أنت جاد بما تقوله !

: أنت لا تعلم جدي ، هل تعتقد أنه سيتركني أطلق حفيدته و أتزوج بغيرها و لن يحرك ساكن !

: أنت بالفعل طلقته يا ياسين !

عدت و جلست إلى الكرسي

: إلى أن تنتهي عدتها هي لازالت زوجتي ! غير أنني لم أرمي يميني الثالث ، و يمكنني أن أعيدها حتى بعد انتهاء عدتها !

: بعد كل ما حدث سيعيدها إليك ! و أنت ستقبل و تعيدها !

: هو سيعيدها لي لأنها بالرغم من كل ما فعلته تبقى حفيدته ، و لا يمكنه التخلي عنها بالرغم من كل أفعالها و أخطائها ! و حقيقةً أنا لا ألومه على هذا و لا يمكنني الغضب منه ، فأنا مثله أب و لا يمكنني أن أتخلى عن ابنتي مهما أخطأت أو فعلت ، لأنها جزء مني قد أعاقبها لكن لا يمكنني أن أدير لها ظهري تظل بالرغم من أي شيء مني ، و هذا ما سيفعله جدي !

تساءل

: هذا ما يجعل جدك يُعِيدها إليك ، لكن ما الذي يُجبرك أن تقبل ؟

:سببين ، الثاني ، لأجل ايما فكما قلت أنت الآن إن تزوجت ألف فلن يمنعني أحد !
و أولهما جدي حتى بعد أن أُعِيدها ! لن يحق له أن يمنعني من الزواج خاصة أنه
يعلم و يوقن أنني سأعِيدها فقط لأجله ، لن تكون زوجة لي كما كانت بالسابق ! فلن
يقبل جدي زواجي بايما بسهولة فهي ستكون طليقة كريم و هذا سيعقد الأمور ، لكن
حين أُعيد سحر لن يمتلك الخيار ليرفض ، و هذا سبب غيابي عن البيت حتى الآن
، يجب أن يصل جدي لمرحلة اليقين بأنه فقدني إلى الأبد و حفيدته هي السبب !
فحين أعود لن يقايني جدي عن قبول أي شيء سيدُعِينِي إليه ، و سيقبل بما أريده
حتى إن كان يرفضه ، و حينها سأفوز بايما بمباركة جدي ، و من خلفه الجميع !

عاد بظهره إلى ظهر الكرسي

: هذا السبب الثاني ، إذن ما هو السبب الأول ؟

هممت واقفا ، و بضيق ملاً صدري

: الأول ، و هو الأهم لي سواء أكان بوجود ايما أو لا ، أنني لن أتركها تفلت من
يدي بفعلتها ! كما قال جدي أنني كنت أحقق حين طلقها ! طلقها بلحظة وقوع
عقلي بصدمة ما فعلته بي ، لكن هذا لا يكفيني و لا يريح قلبي مما فعلته بي الآن و
بعد أن هدأت و استعدت توازني علمت أن طلاقها لا يطفى ناري منها لا يكفيني
عقاب لها على خداعها لي ، سأردها إليّ و حينها سأفعل بها ما أشاء و لن يمنعني
عنها أحد و لا حتى جدي فهي زوجتي ! سأنتقم من كل ما فعلته بي الآن و سابقا و
ستتمنى لو أنها ما جرئت على التفكير بالتلاعب بي !

: خبرتك سابقا ذكرني أن أخاف منك !

رفعت له حاجبي بابتسامة ، جلس بعدها قليلا ثم رحل ، و ظللت عاقد العزم على
عدم العودة قبل بضعة أيام أخرى ، حتى يصل جدي إلى اليأس الذي أرغبه ، فأعلم

أن ضميره يؤلمه لأنه هو سبب تعاستي ، إلا أنني عدت باليوم التالي بسبب ما حدث لاحقاً !!!

باليوم التالي دق جرس الباب ، اعتقدت بالبداية أنه طلعت أو توفيق ، لكن حين فتحت الباب توقفت قلبي بموضعه ! شعرت بقلبي يذوب بين حنايا صدري ، ماء يجري بين ضلوعي حين وجدتك تقفين أمامي ، وجدتك حاضرة أمامي توقفت لحظات و قد كفت الأرض عن الدوران و سكنت أمواج البحور ، كنتِ تتظرين نحوي و كل ما بك ينتفض برقة و عذوبة خدرت أوصالي و حركت الدماء بعروقي ، و على وجهك البسام ارتسمت ابتسامة اقتلعتني من ذاتي ، ثم التفت على صوت المصعد و توترت ، فانتهت أنك لازلت تقفين بالباب و لا يجب أن يراك أحدا ، تحيت جانبا فدخلت

: كيف حالك ياسين ؟

بادرتي بها و خطواتك تقف قبالي ، فابتسمت لك

: اعتقدت أنني غادرت الحياة ! أما الآن فقد ردت إليّ روعي !

ابتسمت بخجل ملاً محياك و أسبلتي جفنيك ، تقدمت خطواتك برقة أذابتني ! أغلقت الباب خلفك ، تقدمت خطوات و اصطحبتك إلى غرفة الاستقبال ، ثم توقفت بالوسط و جالت عينيك بالمكان ، تمنع النظر بالأثاث و التصميمات من حولك ، كأنك لم تريها منذ بضعة أيام مضت !!

: إن نوقها رفيع المستوى ، بسيطة بجمال و أناقة مميزة

ابتسمت و أنا أميل برأسي نحوك و غازلتك

: هذا فقط لأنك خطوتي بها !

احمرت وجنتيك كزهرة ربيعية ، ثم رفعت عينك نحوي بنظرة مشاكسة

: أتحدث بجدية إن ذوقك لا بأس به !

: في الحقيقة إن ذوقي خلاب و ساحر لن تجدي له بالكون مثل !

: مغرور !

اتجهت نحوك و أنا أضع يداي بجيبي و أغرق بعينيك

: ليس غرور بل حقيقة ، و إن لم تكوني تصدقيني فانظري بالمرآة و سترين أن ذوقي

لم يخلق بالكون مثله ! أنت هي دليلي على أن ذوقي فاق الحلم و الخيال !

طالت النظرة بيننا و علت أنفاسك حتى وصلت نبض قلبي و كلي غارق بعينيك ،

حاولت تمالك ذاتك و احكام أوتاد قلبك فغيرت مجرى الحديث ، بعد أن عدت تدورين

بنظراتك بكل مكان

: أرى أنك تعشق المساحات الواسعة ، و النوافذ الكبيرة ، بمكتبك و هنا !

: أعتقد أنه كلما كان المكان به متسع و إطلالته واسعة هذا يكون مريح للعين و

الأعصاب ، يساعد على الاسترخاء و الهدوء

اقتربت من النافذة و نظرتي للأسفل و بابتسامة سحررتني و كبلتني بعينيك

: و أيضا يبدو أنك تعشق المرتفعات !

: و يبدو أنك تخافها !

زادت بسمتك الطفولية

: قليلا ، و بما أنني الأسوأ في الكذب ، فحقيقة أنا أخشى المرتفعات كثيرا

ابتسمت منك أكثر ، و سألتني بنظرة حانية خطفت نبضي و سرقت تفكيرني

: هل أنت أفضل الآن ؟ لقد كنت قلقة عليك كثيرا ، خشيت أن يكون مسك مكروه
تلك الأيام الماضية ، فأنت لم تعود حتى الآن !

: اطمئني حبيبتي ، فحمدا لله الآن و بعد أن رأيتك أصبحت أفضل حالا
و اقتربت أكثر منك ، و أمسكت يداك بين يداي

: فليس بالكون بتلك اللحظة من هو أسعد مني و أنت هنا إلى جوارى
ثم رفعت يداك و قبلت باطن رحاك ، فرت دمعة هاربة من عينيك فاعتلتني الدهشة و
رفعت يدي أمسحها عن جبينك.....

: خفت كثيراً أن يكون مسك مكروه ! فأنت كنت بحالة سيئة لم أراك عليها يوم !
:لا تخافي حبيبتي ، فلن يمسنى شيء بإذن الله

ابتسمت بسعادة ملئت صدري فنظرت لي بتعجب ، فأجبتك دون سؤال

: إن قلبي يكاد يطير من بين ضلوعي فرحاً لأنك هنا ، و لأن تلك الدمعة تنزل
لأجلي ، تنزل خوفاً عليّ ، لأنني إن فارقت الحبيب
وضعت أناملك على فمي و بنظرة دامعة بدت غاضبة

: اياك أن تتطققها ، و إن تهامست بها ثانية سأغضب منك إلى الأبد !

أمسكت أصابعك و قبلتها

: إلا غضبك فإنه كافي لقتلي !

ضغط بأناملك شفثاي برقة

: اياك ياسين

عدت و لقت أناملك بشفاي فتنهدت بشوق أفقدني ذاتي و فتك بي ، و اقتربت منك
لأقبلك فوضعتي أناملك اليمنى بين ثغري و ثغرك و أسكنت جبهتك بجبهتي ، و
أصابعك اليسرى راحت ترتحل بلحيتي و ابتسمت و أنفاسك تسبح بشرائيني ...

: تلك المرة الأولى التي أرى بها لحيتك !

ابتسمت و التفت يدي اليسرى بخصرك و يدي اليمنى تسافر بخصلات شعرك و من
بين أناملك اليمنى التي لازالت تلامس شفتاي همست لك

: لأن تلك أول مرة أطلقها لكنها ليست بهذا السوء ، على كل حال كنت سأحلقها !

داعبتها أناملك اليسرى الرقيقة لتشعني و تشعل قلبي لك اشتهاا

: على العكس إنها ساحرة فهي تزيد وسامتك و تليق بك و بشرقيتك هي فقط تحتاج
بعض التهذيب !

ابتسمت و أمسكت أصابعك و هي ترتحل بلحيتي و كلي سقط غريق بهواك ، فأنت
هي من تغويني دون اغواء

: إذا كان هذا ما تريدينه فسأطلقها وافعلي بها و بي ما تشائين فكلي ملك يداك ،
اقتلعي من جذوري أو بين ضلوعك ازرعيني! اصعدي بي بين السحاب أو بموج
البحور اطرحيني! اجمعي أجزاءي أو نصفين اشطريني! لملي شتاتي أو حولك انثريني
! قلبي صفحة بيضاء فسطري بي ما تشائي ! اطلقي لي العنان أو احكمي أوتادي !
ما دام بيداك فلا أبالي ! فبكل ما تفعلين بي قلبي خاضع و راضي !

تخدرت أوصالك و سرت بكِ رعشة عشق انتفض لها نبضي و ضاع معها عقلي و
فاض بركاني ! فزدت قربي و روحت أرتوي من ثغرك و راحت تشتعل دمائي ، كادت
تغزوك يدي المرتحلة بظهرك كما يغزوني شهد أنفاسك ، و قبل أن أطلق العنان
لاشتياق قلبي لهواك

جاءني صوت هاتفك ليُعيُنِي من غرقي بسكرة عشقك ! فقد أفاق كلانا على رنين الهاتف ، أخبرتك ألا تُجِيبِي؟ فأجبتني بهدوء من المتصل ! و أنتِ تُلَمِمي ذاتك و براءة كدتِ أقتلكِ بسببها

: لابد أنها ميس ستصعد الآن !

اعتلتني الدهشة و لازلت بسكرة هواك

: ميس ! تصعد أين !

أجبتني بهدوء أثار غيظي منك و أنتِ تعضين شففتك السفلى بحركة طفولية

: هي أنتِ معي حبيبي !

عدت خطوة للخلف و سألتك و أنا أحاول لملمة ذاتي التي ذابت بين يديك

: و لماذا أنتِ معكِ ؟

صمتِ و اقتربتِ مني خطوة و قبلتني في جبیني ، و رفعتِ حاجبكِ بابتسامة لاحت بها و بأحداقك نظرة أنثوية خبيثة ، حينها بدأتِ أتدرك الأمر فوضعت يداي بخصري و سألتك بغیظ

: ألا تثقين بي لذلك أنتِ و معكِ حارسك الشخصي !

ضحكتِ كثيرا و تمايلتِ مع ضحكك العفوية للأمام و الخلف ، و هذا زاد غيظي منك فعقدتِ حاجبي بغضب ، فتوقفتِ عن الضحك و اقتربتِ مني ، وضعتِ يديكِ حول عنقي و أنتِ تداعبين لحيتي

: هي ليست حارستي الشخصية هي صديقتي ، و أنتِ معي تخوفا من أن يراني أحدا أدخل أو أخرج وحدي ! غير أنها انتظرتني بالأسفل و لم تصعد معي من البداية ، فأردتِ أن أراكِ أولا وحدنا دونها !

ثم قبلتني على جبیني بعذوبة خدرتني و سرقت أنفاسي ، و أنتِ تقولين

: و إن تحدثنا عن الثقة فأنت مخطئ ! إن كنت لا أثق بأحدنا فلن يكون أنت ! أنت الوحيد بهذا الكون الذي أثق به و أعشقه حتى أنني لا أفكر و أنا معك ، و إلا ما كنت هنا الآن معك وحدنا !

و رغم غيظي الذي ملأ صدري منك و منها لحظتها إلا إن ما قولتها هداً غضبي

: فماذا أقول أنا الآن ! ماذا أفعل أمام عينيك التي تسحرني و تجعل قلبي يلبي لها أي ما ترغب ، و مهما فعلت لا أملك أن أغضب منك !

حينها دقت ميس الجرس ، ذهبت لتفتحي لها الباب ، جلست إلى الأريكة دخلت ميس كانت تتحدث بهاتفها ، و ذهبت إلى الشرفة لتكمل حديثها ، فجلست قربي

: ألن تعود إلى البيت ؟ ألا يكفي كل هذا الغياب ؟

: ليس الآن

تعلقت عينك بعيني

: إن لم يرق قلبك لحزن أمك التي تكاد تُجن لأجلك التي لم تكف عن البكاء لرحيلك ، ولا يرق لجذك الذي حالته تسوء يوم بعد يوم ! لقد رأيت بالأمس و حين تحدثنا أشفقت عليه كثيراً ، أنت لا تعلم كم هو مُلتاع عليك ؟ كيف يسكنه الحزن لغيابك عنه؟ و إن لم يرق قلبك لأجل لي لي التي ليس لها بالكون أحدا سواك

استندت بظهري إلى ظهر الأريكة و قلبي يعترضني لأجلهم ، استرسلت ...

: إن لم يشفق قلبك عليهم جميعاً ! فليرق لجنا فهي لم تكف عن البكاء ياسين ! أشفق على قلب أميرتك الصغيرة من الحزن ، حتى أنها لما تأكل منذ يومين !

حينها اعتلاني الضيق و غمر صدري الهم و الحزن ، اقتربتِ مني أكثر و وضعتِ
يدكِ على كتفي

: ألا يرق قلبك لحالي !

: هل فعلتِ ما طلبته إليك ؟ هل طلبتِ منه الانفصال ؟

: أنت تعلم أنه واقع بمشاكل كثيرة الآن ، و لا يمكنـ

هممت واقفا و زاد غضبي و صحت فيك بحدة

: ايما

: حسنا لا تغضب ! إن عدت اليوم إلى البيت سأطلب إليه الانفصال الليلة

: و لما لم تفعلي سابقاً كما طلبت إليك ؟

نظرتِ بعيني و بنظرة دامعة

: لأنني أخافه ياسين و بُعدك تلك الأيام الماضية زاد خوفي ، قريك مني هو ما
يقويني إن كنت قريب سأعلم أنك ستكون موجود لأجلي ، لا أشعر بالخوف و أنت
حولي !

حينها ضممتك إلى قلبي

: سأعود الليلة و ستطلبين الانفصال عنه الليلة أهذا مفهوم ؟

هزرت رأسك بصدري بالموافقة ، أبعدتك عني حين سمعت صوت خطوات ميس
يقترُب ، جلستما بعض الوقت ، زادت ميس في مشاكستي لأنني أطلقت لحيتي ! ثم
عادت إلى الجدية و أبدت تخوفها من غضب كريم حين تطلبين إليه الطلاق ! إلا
أنها أكدت على أنها خطوة لا يمكن التراجع عنها أو تأجيلها حتى تنفلت عنك قبضته
، و أشارت إلى أن هذا هو أفضل توقيت لفعل هذا ، وسط دوامة صراعاته و عدم

قدرته على تحمل كل الضربات المتتالية من كل اتجاه ، و طلبت إليك الذهاب إلى منزلها بعد طلب الطلاق من كريم مهما كانت تهديداته حتى يعلم أنك جادة ، و أنك لن تتراجعي تلك المرة ، لم تتحدثي فقط كنت تستمعين إليها و عينك المرتعبة معلقة بي ، كأنك كنت تعلمين ما فعله بك لاحقا تلك الليلة و الذي لم يمكنني مغفرته له و لا حتى لنفسي حتى الآن ! و ما عجل بنهاية كل شيء! كانت عينيك الغارقة بعيني تُخبرني بما سيفعله بك ! إلا أن عقلي الأحمق لم يستمع !

بعد جلسة طويلة غادرتما على اتفاق بيننا بعودتي بنفس اليوم و بالمقابل تخطين تلك الخطوة الفاصلة بكل شيء ! بعدها غادرت أنا الآخر لكن أولاً إلى المصنع ، ثم عدت في المساء إلى القصر مستعدا لمعركتي مع جدي !

قبل عشقك لم أكن أنا كان غيري يسكنني ! و بعد عشقك
صرتُ أنا و كلي بات يعرفُني ! فدونك أنا الغريب دون وطن !
أنا الطريد دون سكن ! أنا الغريق دون أمل !

دلفت إلى القصر بموعدي المعتاد ، حين رأتي أُمي أخطو إلى داخل البيت
انتفضت من مجلسها و أقبلت نحوي بوجهها الباسم و دمة لاحت بعينها إلا أنها
تمالكتها ، احتضنتني و هي تُعاتبني على غيابي تلك الأيام عن البيت ، و قبل أن
أقول شيء سمعت صوت لي لي يأتيني من أعالي و هي تتادي جنا بصوت عالي
لتُخبرها بعودتي ، هبطت السلالم مسرعة و ألقت نفسها بين ذراعي و قد تعلقت
ذراعها بعنقي حينها خرجت عمتي مسرعة من المطبخ على صوت صياحها و دلف
جدي هو الآخر من الحديقة بخطوات مسرعة سبقته بها جنا و هي تركض نحوي ،
انحنيت إليها و حملتها ، ضممتها بشوق إلى صدري و أنا أقبلها بلهفة قلبي على
صغيرتي التي اشتقت إليها كثيرا لم يُورقني شيء قدر ما أرقني بـُعدّها عني ! قالت
لي بصوتها الحاني و هي تُحكّم ذراعيها الصغيرتين حول عنقي

: اشتقت إليك كثيرا أبي

: و أنا اشتقت إليك شوق يغرق العالم بأسره

رفعت وجهها عن عنقي و نظرت إليّ و قد عقدت حاجبيها بغضب

لكنني غاضبة منك لأنك سمرت دون أن تُخبرني أو تُعطيني قبلة

: أعتقد أنني أخطأت بتلك ، فهذا ذنب أستحق لأجله العقاب ، لكن لما لا تدعيني

أُكفر عن ذنبي و أُلبي أي شيء تطلبه أميرتي الصغيرة

رفعت إصبعها الصغير و هي تتصنع التكفير وسط ضحكات الجميع

: ستفعل أي شيء أطلبه ؟

: أي شيء لك مولاتي !

شاكستني لي لي ، و هي تنظر إليّ جنا

: هيا اطلبي شيء يستحق و سنتقاسمه معا

صاحت جنا و هي تحتضني

: كلا ما أريده لن يقاسمني أحدا به

: اطلبي ما شئت و لن يقاسمك به أحد ، ماذا ترغب أميرتي الصغيرة ؟

عادت و طوقنتي بذراعيها و همست لي بأذني

: أن أنام الليلة بأحضانك أبي ، كنت خائفة كثيرا و أنت غائب عني

زدت في احتضانها

: لا أريدك أن تخافي شيء ، فأنا هنا و جوارك دائما و أعدك أنني لن أغيب ثانية و

إن غبت سأصحبك معي ، هل هذا يرضي مولاتي !

: أحبك أبي ، هل ستتركني أنام إلى جوارك الليلة ؟

: و هل يمكنني رفض النوم بين أحضان أميرتي بالجنة

حينها خرج جدي عن صمته

: هيا جنا يكفي هذا ، اذهبي مع عمك لتكملي بناء لعبتك بالحديقة ، أريد التحدث

إلى والدك وحدنا !

قبلتها بجبينها وكانت تأبى الذهاب ، خبرتها أنني سأنهاي الحديث مع جدي وألحق بها

لنلعب معا فرضخت ، أشرت إلى لي لي بأخذها إلى الحديقة ، وضعت عمتي يدها

على كتفي و هي تنظر إلى جدي

: اتركه يرتاح يا أبي ، يبدو عليه الإرهاق و التعب لما لا تؤجل الحديث إلى الغد !

تجاهلها و نظر لي و هو يتجه نحو حجرة المكتب و أشار بأن أتبعه ، حين همت

أمي و عمتي لتقدم نحو المكتب قال بصوت غاضب دون أن يلتفت

: أريده وحده ! فلا أريد أحدا غيره

وضعت أُمي يدها على كتفي و عينها متلهفة قلقة ، ابتسمت لها و أمسكت يدها و قبلتها و أملت لها رأسي بأن تطمئن ، دنت مني عمتي و هي تربت على صدري

: تمالك غضبك يا ولدي ، فلا تعلم كم كان قلقِ عليك ، و كاد صدره ينشق خوفاً عليك

ابتسمت لها و تبعته نحو المكتب ، حينها اصطدمت عيني بسحر تقف بأعلى درجات السلم ، تقف بقدمها بأعلى السلم مترددة بين النزول و الصعود ، توقفت لحظة بمكاني و أطلت النظر بها فأحنت وجهها ، تقدمت أُمي نحوي و ربتت على كتفي و أشرت لي بعينها للحاق بجدي ، تبعته إلى المكتب و أغلقت الباب خلفي ، كان يجلس إلى الكرسي بجوار المكتب كعادته و هو يتكأ بذقنه إلى عصاه ، تقدمت نحوه و سحبت كرسي و وضعته قبالة و جلست إليه ، ظل مطرق الفكر لحظات ، ثم قال لي بصوته الهادئ المتزن

: أتذكر حين مات أبوك كنت أجلس هنا و بنفس المكان و كنت تجلس إلى جواربي ، و رغم ضيق صدري و انخلاع قلبي حزنا على رحيل ولدي ، إلا إنني حين نظرت إليك عدت و تماسكت و شعرت أن الله لم يأخذ مني ابنا قبل أن يَعْطيني آخر حتى أنك بقلبي غير الجميع و أنت تعلم ذلك ، و لم أشعر أن ولدي فارقني يوم إلا حين رأيتك تغادر ، حين تركتني ورحلت ، حينها فقط شعرت بأن ولدي تركني لأول مرة .

: جدي –

و قبل أنا أكمل حرفا ، رفع عينه نحوي و دق بعصاه الأرض مرتين بغضب

: إن فعلتها ثانية سأقتلع رأسك بيدي أتفهم !

أملت رأسي له إيجاباً ، عاد و أسند ذقنه إلى عصاه و بنبرة قاطعة

: ما الذي يرضيك و يرد إليك كرامتك و يجعلك تُعيدها إلى عصمتك ثانية ؟

ثم نظر بعيني و بنظرة صارمة

: فأنت ستردها ثانية هذا لا جدال فيه ! و ما يرد إليك كرامتك و يريح كبريائك و يهدأ

ثورتك سأقبل به و سيقبله الجميع ! فما الذي ترغب به ؟

: إن كنت بمكاني فما الذي يرد إليك كرامتك و يُعيد إليك كبريائك أمام الجميع ؟

وضع كفه على عصاه و ربت بكفه الأخرى فوقها و بعد لحظات

: لتختار لك أمك و عمك امرأة لتزوجها

ثم رفع طرف عينه نحوي بنظرة اخترقتني حتى النبض

: أو لا داعي لأمك و عمك إن كانت هناك امرأة محددة تريدها دون نساء الكون ،

لترد بها كرامتك و كبريائك !

ثم صمت لحظة و أمال رأسه نحوي

: و الأهم أن ترد إليك قلبك المفتقد منك بغربة ليلاً الطويل الذي ألقته به ! و تعيد

إليك عقلك الغارق بموجتها التي سلبتك روحك ! و تُعيد لملمة ما نثرته يداها من

شئناك بين الأرض و السماء !

صمت لحظات و بسمتي تزداد على جبيني ، ثم هممت واقفا

: أنا بالحديقة مع جنا حين يأتي عمي بالمأذون فليعطيني أحداً خبر

ثم اتجهت نحو الباب و قبل أن أضع يدي على المقبض سألني

: أكنت تعتقد حقاً أنني لن أعرف ما يحدث بينكما ؟

: على العكس

: أعتقد أنني لا أعلم أنك من خطط له كل هذا ؟

تتهدت و أنا ألتفت إليه

: لكن منصفين هو قام بالعمل الشاق وحده ، و أنت توقن أنني لم أوقع به ، بل هو من أوقع بنفسه ، أنا فقط وضعت الوثائق ليس أكثر ، و هو من أحكم لفه حول عنقه !

هم واقفا و هو يُشير بعصاه نحوي

: أيها الماكر أقسم أنك كنت تعلم أنني أعلم منذ البداية !

: كنت أوقن بأنك تعلم من أول يوم ! أو بالأحرى من أول ليلة !

تساءل بدهشة

: فلماذا لم تتحدث معي ؟ لماذا تعمدت لعب دور الأحمق أمامي ؟

: لم أشأ أن أفسد عليك الاستمتاع باللعبة !

و زادت بسمتي

: لم أشأ أن أفسد عليك لذة أن تكون المتفرج الوحيد الذي يرى و يسمع كل شيء من كون أن يرى ، يستمتع بالمشاهدة من خلف ستار خفي ، و لا مانع إن تلاعب ببعض الأشياء من خلف ستاره !

رفع عينه نحوي بدهشة أكبر فأملت رأسي و أنا أتقدم نحوه

: أعتقد أنني لا أعلم من هي اليد الخفية التي أجبرت إخوة عدنان على قبول العرض الذي قدمته لهم ! تلك اليد التي أجبرتهم على الالتزام باتفاقنا و إجبارهم على ترك كريم !

هز رأسه لي و هو يبتسم و يدق عصاه الأرض

: هذا لا يعني أنني راضيا عن ما فعلته و ما تخطط له أو أنني موافق به !
اقتربت منه أكثر

: أعلم .. و لكنك متقبله لأنك تعلم أنه ليس بيدي و لا بيدها ، و تعلم أن كلانا حاول
كل شيء ليبعد و لم يستطع ، و الأهم أنك تعلم أنه لا يستحقها و يستحق كل ما
وصل إليه لا تنسى 'تلك هي الحياة و كما تدين تدان ' ، إن كان أحدنا سرقها و
أخذ ما ليس حقه فليس أنا !
ثم عدت و التفت خارجا

: غير أنك من داخلك لا تلومني على ما أفعله و الأهم أنك لن تمنعني !

توقفت مكاني لحظة و التفت إليه و رفعت له حاجبي و شاكسته

: و إلا ما كنت أرسلتها لي اليوم لتُعيني !!!!!!!!!!!!!!!

ارتسمت الدهشة الممزوجة بالبسمة على وجهه و هم يجلس على كرسيه وضع عصاه
بجانبه ، و اتكأ بظهره لظهر الكرسي ، و رفع كفيه في الهواء مستسلما

: أيها الماكر .. كيف عرفت تلك أيضا ؟

: يمكنك القول بأنه لدي معلم جيد !

علت وجهه نظرة ضاحكة مغتظة

: كنت أنا المعلم و أصبحت أنت الآن المدرسة بأكملها

علت ضحكتي و خرجت من الحجرة ، فابتسمت عمتي حين رأنتي أضحك و داعبتني
أمي مبتسمة

: و أنا من كانت تخشى عليك من غضبه !

زادت بسمة عمتي

: غضب من على من ؟ أبي يغضب من ياسين أو عليه ! حمقاء أنتِ ! إنه ابن جده ، فقد يغضب على الجميع إلا ابنك ،

حينها خرج جدي و هو يدق الأرض بعصاه و ينظر إلى أمي

: لا تخافي على ابنك بل خافي منه

حينها رفعت كفي في الهواء مستسلما ، و تركتهم جميعا خلفي يتشاكسون ، ذهبت للعب مع جنا بالحديقة ، كنت أَلعب معها لكن عقلي كان يُعيد كل ما دار ببيني و بين جدي ، فكنت منذ تلك القصة عن الليل و الموجة و كلي يكاد يوقن بأنه يعلم بما يدور بيننا ! لكن ما جعلني أقطع الشك باليقين هو ما حدث بيني و بين اخوه عدنان !! فبالمرّة الأولى من لقائنا رفضوا مجرد الحديث عن ما يخص كريم و قتله أخيهم ! لكن باللقاء الثاني اختلف الوضع كثيراً و تقبلوا خروجك من دائرة انتقامهم كان على مضض إلا أنهم تقبلوه ! غير أنهم وافقوا على إيجاد حل يرضيني و يرضيهم بالوقت الحالي بما يخص كريم ! و لم يكن من الصعب ببعض البحث الدقيق أنا أعلم من هو صاحب اليد الخفية بذلك ! معرفة ما السبب الذي جعلهم يغيرون موقفهم تجاه الأمر برمته ! ما هو إلا لسبب قوي و ما أقوى من تهديدات و وعيد رجل بثقل جدي ، فهو تلاعب بكل شيء لكن الذي لا يعلمه جدي أن ما جعلهم يقبلوا بتهديداته هو ما وعدتهم أنا به !!!!!!!

أما كيف عرفت أنه من أرسلك ! حين خبرتني أنه جلس معك بالأمس في الحديقة ، و كان قلبه ملتهع لأجلي و يعتليه الحزن والهم لفراقي ، علمت أنه استحكك بحبه لي و بكاء جنا لأجلي كي تطلبي إليّ العودة دون أن يطلب ! هو من جعلك تأتيني حتى دون أن تعلمي أنه أرسلك و يعلم أنني لن أرفض !

بينما كنت مستغرقاً بين اللعب مع جنا و استحواذ أفكارى برشدي ، لمحت عيوني
عينيك تنظر نحوي من الشرفة ، كنت تجلسين بها فأملت لك رأسي بابتسامة أستحثك
بها على إتمام جانبك من الاتفاق ، و يا ليتني ما فعلت !!!

انقضت الليلة بعد أن أتى المأذون و أعدتها إلى عصمتي وسط دهشة الجميع و أولهم
عمي ، الذي أشفقت عليه حين رأيت به و لم يستطع قول شيء لي أو حتى النظر بعيني
، حاولت أمي التحدث معي إلا أنني رفضت التحدث عن أي شيء و اكتفيت بإخبارها
أنني أعدتها نزولاً على رغبتني جدي ، ثم ذهبت إلى غرفة جنا استلقيت إلى جوارها
بالسرير و أنا أضمها إلى صدري ، و كل ما بي يكاد يغادرني ترقباً لما سيأتي به الغد
، فقد اقتلعت منك وعداً بطلب الانفصال عنه بتلك الليلة ، ظل عقلي يجري بي بكل
مضمار تارة ، حاولت كثيراً تخفي قلقي من ردة فعله نحوك إلا أنني لم أتخيل أو
يعبر ببالي ما فعله ، و استيقظت عليه بفجر اليوم التالي !!!

بفجر اليوم التالي كنت مستغرقاً بطيفك حين أيقظتني لي لي ، حين
فتحت عيني وجدتها أمامي كنت أعتقد أنه الصباح ، لكن حين اعتدلت قليلاً و
تداركت نفسي بعد لحظات لم تكن الشمس أشرقت بعد ! نظرت إليها و كانت متوترة
و يبدو عليها الاضطراب ، سألتها و أنا أحاول النهوض

: كم الساعة الآن ؟

: انها الرابعة فجراً

اعتدلت و قد ضاق صدري و سألتها بتوجس

: ماذا هناك ؟

: انها ايما

و قبل أن تكمل انتفضت من مخدعي و سألتها و قد زاد توجسي و خوفي

: ما بها ؟

: أعتقد أنني سمعت صرختها !

تجمد الدم بعروقي و شعرت نبضاتي تتباعد و روعي تثقل على صدري ، سألتها
بخوف ملاً صوتي

: ماذا ؟

: كنت مستيقظة بالشرفة أتحدث إلى توفيق و أقسم أنني سمعت صرختها عالية ثم
رأيت كريم يركض خارجاً !

ركضت خارج الغرفة ، حاولت لي لي أن تستمهنلي لكنني لم أكن أشعر بنفسي ،
هبطت السلالم مسرعا و هي تتبعني ، حينها أفاق جدي على صوت خطواتنا المسرعة
، هم خارجا من غرفته و هو يتساءل ما الذي يحدث ؟ لم ألتفت إليه فلم أكن أعي و
لا أرى شيء أمامي ، ركضت خارج القصر و حين وصلت الفيلا كان الباب مفتوحا ،
زاد التوجس و لوعة القلق بصدري ، دلفت على خطى متمهلة و كلي متعجلا ! و بعد
أن تقدمت خطوات ببهو الفيلا ولا شيء مختلف كل شيء بموضعه المعتاد و الصمت
المُفرع يسود المكان ! التفت ناحية الاستقبال و السلم إلى الدور العلوي ، لحظتها
انخلع قلبي من موضعه و شعرت النار تهتاج بصدري و رياح الخوف و الألم تعصف
بي ، تسمرت لحظة بموضعي ، شعرت بأنفاسي تهدأ بصدري حتى كادت تتوقف ،
شعرت بكلي يسقط بفراغ يتلوه فراغ ، و لا تحس قدمي أرضا فقط يحملني خوفا
ليسقط بي بجحيم رعب قلبي مما رأتك عليه عيني لحظتها ! و لم أفق من صعقتي إلا
على صرخات لي لي و أمي حين دلفوا خلفي على هول ما رأوك عليه ، فعدت إلى
بعضاً من رُشدي و ركضت نحوك ! فقد كنتِ ملقاة على ظهرك بآخر السلم غارقة

ببحيرة من الدماء التي تسيل منك ، كل ما بك كان مخرج بالدماء و كل ذرة بك ساكنة حتى أنفاسك سكنت عنك ! رفعتك إلى صدري ، حاولت سماع أنفاسك التي كانت تُغادرك ! كنت تمسكين القلادة التي أهديتك إياها بين أصابعك ! حملتك بين ذراعي و ركضت بك إلى السيارة ، جلست أُمي بالمقعد الخلفي و وضعت رأسك على صدرها كانت تُحاول إفاقتك ، جلست عمتي إلى جوارِي لا أعلم كيف وصلت المشفى بأقل من عشر دقائق لكنني أتذكر صياحي عمتي بي ‘ هداً من السرعة ستقتلني جميعاً يا ياسين ’ إلا أنني لم أكن أستمع سوى لصوت أنفاسك و هو تُغادر صدري ، حين وصلنا حملتك إلى داخل المشفى هرع إلينا بعض الأطباء و كانت الدماء لاتزال تسيل منك ، ذهبوا بك إلى غرفة العمليات بالدور العلوي ، تركت يدك من يدي و هم يضعونك على السرير النقال و تركت بها قلادتك ! جلست و كانت أُمي إلى جوارِي ، جلست عمتي و لي لي بمقابلي و جدي و عمي شوكت و سحر بالجهة الأخرى فقد كان الجميع حاضراً ، ظهر توفيق هو الآخر بالمشفى فقد كان يُّحدث لي لي حينها و اتصل بعدها ليطمئن فخببرته بما حدث و لحق بنا إلى المشفى ، جلس بجوارِي وضع يده على كتفي كان كلي يرتجف و سرت بباطني رعشة من الرهبة و الخوف من أن أفقدك ، تعلق عيني بجدي و كان القلق و الخوف يسكن أحداقه هو الآخر ، مر الوقت و أنتِ بغرفة العمليات ثقيل كتحرريك جبل من موضعه لا يأبى الحركة ، حاولت الوقوف لكنني لم أستطع وضعت رأسي بين كفاي و أنا أقبض على قلادتك و هي ملطخة بدمائك بكفي و قد أحكم الخوف قبضته بقلبي ! بعد ساعة خرج أحد الأطباء يتساءل عن فصيلة دم تناسبك فقد فقدت الكثير و لم يكن لديهم ما يكفي من فصيلتك فذهبت معه و توفيق لنرى أي منا سيتوافق معك ، لم تناسبك فصيلة توفيق لكننا توافقنا معاً ! و كيف لا و أنتِ هي ما يُّكلمني ! فكيف لا تتوافق دماننا و قد توافقنا أرواحنا ! حاولت أن أسأله عن ما يجري بغرفة العمليات لكنه لم يُّخبرني شيئاً ، مرت بعدها ساعة أخرى لكن تلك المرة لم أستطع الجلوس خاصة حين سألت أُمي و عمتي ما الذي حدث ؟ فخببرتهم لي لي ما خبرتني حين أيقظتني ، تعجبت عمتي و

هي لا تصدق أنه قد يكون فعل بك هذا ! كان كل ما بي ينتفض خوفا عليك و كرها له ، لم أفكر لحظتها سوى بأني من سيقته ! اقترب مني توفيق و طلب مني الجلوس و الهدوء قليلا لأن عيون الجميع معلقة بي ، لكنني لم أكن أكثر وقتها لشيء فما عاد يهمني أن يلاحظ أحدا أو يعرف ما بقلبي لك ، كل ما كان يريد قلبي الملتاع هو أن يطمئن عليك و تهدأ عواصف خوفه التي هاجت بصدري ، و بعد جبال الزمن التي لم تكن تأتي المرور ، خرج الطبيب من غرفة العمليات ، هم الجميع واقفا ، و سأله

: كيف حالها الآن ؟

أمال رأسه بقلق زاد له خوفي

: لست متأكداً ، للأسف هي نزلت كثيراً تلك السقطة كانت شديدة و لامرأة بوضعها كانت قاتلة !

سأله أمي بتخوف

: ماذا تعني بوضعها ؟

صمت لحظات و هو ينظر باتجاهي

: آسف أن أخبركم أن زوجتك كانت حامل

حينها وقف الجميع مطرقين و توقف كلي بموضعه و سكنت أنفاسي من هول المفاجأة ، و لم يستعديني من صدمتي سوى صيحت سحر به

: هي ليست زوجته

: عفوا لم أقصد لكن هذا ما اعتقدته

حينها تساءلت عمتي و كنت لا أزال مأخوذا بصدمتي

: ماذا تعني بكانت ؟

: للأسف لم نستطع إبقاء الجنين ، فقد خبرتكم أنها وصلت بحالة حرجة و نزفها الشديد و قوة السقطة كل هذا أدى إلى إجهاض الجنين

تساءلت لي لي

: الأهم كيف حالها الآن ؟

: لن نستطيع الجزم بأي شيء بالوقت الحالي ، سننتظر إلى أن تستقر حالتها ثم نأمل بالقادم ، فليكن الله معنا

ثم صمت لحظة و قال و هو ينظر بيني و بين زوج عمتي

: سنضطر إلى إخبار الشرطة !

سأله زوج عمتي

: لماذا ؟

: لأن تلك السقطة لم تكن من اختلال توازن ، بل إنها نتيجة دفعة قوية ، هناك من دفعها بقوة من مكان مرتفع ، و هذا أدى إلى سقوطها و بلك الحالة هذا يُعد بشروع بقتل ، و يجب أن أبلغ فهذا واجبي و عملي !

قالت عمتي

: لكن -

و قبل أن تكمل قاطعها بحزم

: أعتذر منكم ، لكن أنا أقوم بعملتي و هذا شروع بقتل و لنتمنى أن لا يصبح القتل

قتيلين !

ثم انسحب من المكان و انسحبت مع كلمته روعي ' القتل قتلين ' التي ظلت تترد بأذني فشعرتُ بها تؤولم قلبي و تسرق أنفاسي من بين ضلوعي ، طلب جدي من الجميع المغادرة و تبقى أمي معك ، فرضخ الجميع له ، لكنني جلست بمكاني و حين طلبت أمي مني المغادرة ، رفضت ، تعجب الجميع من إصراري إلا أنني لم أهتم ، و ما زاد دهشتهم هو رد فعل جدي الذي خبرهم بأنني لن أرحل إلى أي مكان ! و لكن بالنهاية رحل الجميع و لم يبقى معي سوى أمي و توفيق ، أشرفت الشمس و أن أسأل الله أن يُعيدك لي فلن يحتمل قلبي أن يفقدك ، لن يحتمل أن تغيب شمسك عن حياتي ، تعلقت عين أمي بي و الدهشة و الحيرة تملأ كل ما بها ، إلا أنها لم تقل شيئاً لعلها كانت تُكذب نفسها و لعلها كانت تعلم أنه ليس بالوقت المناسب لتطرح شكوكها و شكوك الجميع بالسطح و كلي غارق بقاع الخوف ، أشعر قلبي ينزوي بصدري يحاول التمسك بك يخشى أن تخبو شمعة ضيائك التي أشرفت ليله الحزين و أعادته إلى الحياة ، كنت أشعر الذنب يحوط بي و يثقل كاهلي فليس وحده من دفعك ! فقد دفعتك أنا الآخر ! إن كان دفعك هو بيده فقد دفعتك أنا بالضغظ المستمر عليك و مُطالبتك بما لا تحتملين ! فلم أسمع صرخات عينيك و خوفك ، حاولت إخباري لكنني لم أستمع ، و بينما كانت تمضي ساعات الانتظار الطويلة التي طارت بها ذكرياتي معك و هي لحظة جمعتني بك كي تُمسك بك كي تستحلفك ألا تُغادريني ، و كل ذرة بي تُسجدلربي و ترجوه أن يُعيدك إلى قلبي ، قطعت أمي شكها باليقين حين أتت الممرضة تتساءل

: أين هو الأستاذ ياسين ؟

هممت واقفا و تبعنتي أمي و توفيق ، فنظرت نحوي و بابتسامة بدت متفائلة

: إن زوجتك أفاقت و لا تكف السؤال عنك ؛ هي تريدك .

ركضت نحو الغرفة التي ترقدن بها وسط دهشت أمي التي أيقنت أن هناك شيء يحدث بيننا ، شيء يتخطى الصداقة أو الشراكة أو أي شيء غير الحب و العشق !

فتحت بابك على مهل ، كان قلبي متعجل رؤياك لكن خوفي كان أكبر مني ! بدت
الغرفة تتسع كلما اتسعت فتحت الباب ، تعلقت عيني بك و أنتِ مستلقية بسرير بوسط
الغرفة ، تقدمت نحوك و كان وجهك يتجه بالاتجاه الآخر نحو النافذة ، و عينيكَ
معلقة بعصفور يقف عليها يرفرف بجناحيه و يطير حولها ليعود و يحط عليها و هو
يُغرد بصوت رقيق ، كنت غارقة بالنظر إليه كأن روحك تتمنى لو أنها بصدرة و
ليست تترقد إلى هذا الجحيم ! وقفت أمام سريرك دون أن أقول شيء يـُحاول قلبي أن
يمتلاً بك و يعود من غرقه بالخوف ، تُحاول أنفاسي التعلق بصدرك و الارتواء
بأنفاسك ، هدأت لوعتي قليلاً ، حين انتبهت لوجودي فأدريت وجهك نحوي و بابتسامة
من قلبك الصافي ، ابتسامة أعادت لي روعي ، أعادت لي بعضاً من عقلي الذي
فقدته حين تلاعبت رياح الفقد بصدري ، ابتسامة ذابلة بعد ليلة عاصفة تنفس بها
قلبي الصعداء ، خانتني دمة تراقصت بين أحداقي حاولت تمالكها فلم أكن أحتمل أن
تغيبي عن حياتي مهما حدث ، و بصوت متألم لا يكاد يخرج عنك من شدة الضعف
.....

: ياسين

انحنيت نحوك و بصوت بدأ يعود لي

: قلب ياسين حين ينبض

حاولت أن تعتدي ، فأوقفتك

: لا تتحركي حبيبتني

: أين أنا ؟

ابتسمت لكي و أنا أضع يدي على رأسك

: أنت معي حبيبتني ، و أنا هنا إلى جوارك

حينها دلفت الممرضة تقدمت نحوك أمسكت يدك ، تأكدت من نبضك و تفقدت الأجهزة المتصلة بك ، و داعبتك قائلة

ان زوجك كاد يَجن لأجلك أمس ، أعتقد أنه يجب أن تطلبي إليه أن يرتاح قليلا ، يكفي ما أخذناه من دمائه لأجلك ، و ظل إلى جوارك لم يتحرك عن موضعه ثم نظرت نحوي

: لا تقلق ، بإذن الله ستكون بخير .

غادرت الغرفة ثم عدت و التفت إليك فوجدتك تبكين ، فقبلت رأسك

: خبرتك سابقاً لا يحتمل قلبي أن يرى دموعك

حاولت تمالكها وسألتك و أنا أضع كفي اليسرى على رأسك و أمسك يدك بيدي اليمنى بعد أن قبلتها....

: ما الذي حدث ؟

: حين عاد خبرته أنني أريد الانفصال عنه ، و حين وجدني أهم للمغادرة حين جنونه دفعني فسقط عن السلم ، و لم أشعر شيء بعدها !

: تلك غلطتي أنا

ابتسمت لي و أنت تضغطين كفي بيدك اليمنى و يدك اليسرى تمسك ببقعة دمك على قميصي

: كلا هذا ليس ذنبك ، أنت كنت موجود لأجلي

ثم بدا الألم على وجهك و أمسكت بطنك و أنت تلتفنين بوجهك نحو النافذة

: إن بطني تؤلمني بشدة

: لما لم تخبريني أنك حامل ؟

توقفت عن الحركة فجأة و عم السكون أرجائك ثم التفت نحوِي و الدهشة تعتليكَ

: ماذا ؟ حامـ

حينها اعتدلت و تساءلت بدهشة من رد فعلك

: ألم تكوني تعلمي أنك حامل ؟

: أنا حامل ؟

صمت لحظة ، مسحت وجهي بكفي و قد ضاق صدري

: بالوقت الحالي ، كلا فالسقطه كانت قوية و الجنين —

أمسكت يدي بقوة و أنت تجهشين بالبكاء و أخذت تتكومين بحضني و صرخاتك بدأت تتفلت عنك ، ضممتك إلي و حوطتك بذراعي و دموعك تبلل صدري و أحسها تسيل بين ضلوعي حاولت احتواء عاصفة حزنك ، لم أستطع أن أقول شيء فمن أين أجد الحروف التي قد تواسيك أو ترفع الحزن عنك!! بالرغم من كل ما مررت به من ألم و عصف الزمن بك ، إلا أن تلك الصفعة لك كانت هي الأقوى فلا يُعادل شيء بالكون شعور فقد أم لوليدها ! كنت تعتصرين نفسك بين ضلوعي و صرخاتك تتعالى و تتعالى معها صرخات قلبي ألماً و وجعاً عليك حبيبتي ، كل هذا الألم يسكنك و لا أملك أن أحرك ساكناً !! حاولت تهدئتك لكن لم أستطع حينها دلفت الممرضة و تبعها طبيب على صوت صرخاتك ، حاولوا ابعادك عن صدري لكنك كنت تتشبثين بي بكل قوتك و لم أشأ أن أفلتك من بين ضلوعي ، طلب إليها أن تُعد احدى الجرعات المهدئة ليحققك بها و حين فعل بدأت تغيبين عن الوعي و أنت ممسكة بي حتى غُدي عليك تماماً فانفلتت يديك عن ذراعي عنوة عنك و عني ! و غبت في سبات عميق ، طلبوا مني الخروج لم أشأ بالبداية ، إلا أن الطبيب أصر حرصاً على راحتك

، هممت للمغادرة و كلي معلق بك ، و حين التفت باتجاه الباب وجدت أمي تقف أمام نافذة الغرفة التي تطل على الممر ، تعلقت عيني بها لحظات ، ثم خرجت لأجدها واقفة أمامي و من عينيها علمت أنها كانت تقف منذ دلفت أنا إلى حجرتك ! لم تقل شيء و لم أقل شيء فقط تبادلنا النظرات و الصمت لدقيقة ثم اتجهنا نحو مكان الانتظار الذي كان توفيق لازال جالسا به و انضمت إليه ميس التي ذهبت إلى الفيلا بالصباح بعد الكثير من المكالمات التي لم تجيبها فذهبت للاطمئنان عليك و علمت ما حدث ، جلس أربعتنا و يحيطنا الصمت من كل اتجاه .

مضى الكثير من الوقت و لازلت نائمة فقد استيقظت لحظات و ظللت على وضعك ، فأعطاك الطبيب حقنة مهدئة أخرى ، خبرني أنك أصيبت بانهايار عصبي على اثر الصدمة من فقدان الجنين ، كان يظن الجميع أنك زوجتي ! فقد بدا هذا جليا من انخلاع قلبي عليك ! ثم حضر إلي طلعت بعد أن طلبته أن يأتي ببعض من رجال الحراسة الذين يعملون لدينا ، و مع اقتراب الشمس العودة إلى مغربها عاد جدي و لي لي و عمتي و سحر إلى المشفى للاطمئنان على حالتك الصحية ، و أتت لي لي لي بملابس غير التي كنت ارتديها فكانت ملطخة بدمائك حبيبتي ، و حين هممت لأخذها للحمام لتبديلها ، دخل إلى المكان زوج عمتي شوكت و ظهر من خلف كتفه كريم ! حينها لم أرى سوى تلك اللحظة حين وجدتك ملقاة

على الأرض غارقة بدمائك و صوت صرخاتك على فقد وَايدك يركض بعقلي ! وقفت لحظة غارق بينهما حين تقدم هو خطوات عن زوج عمتي و هو يتجه نحو جدي و نحو الممر الذي ترقدين بأخر غرفة به ! لم أتمالك ذاتي حينها و اندفعت نحوه ألقيت به على الكرسي من خلفه و أنا ألكمه على وجهه بضربات متتالية على غفلة منه و وسط دهشة أصابت الجميع ! هم توفيق و طلعت لإبعادي عنه لكن لم يستطع أحدا منهم ازاحتي ، فكان الغضب يملكني و الحنق و الضيق منه هو كل ما يستبد بي تلك اللحظة ، و لم يستطيعوا ابعادي عنه إلا بعد أن سالت الدماء من أنفه و فمه و أصيبت رأسه و سالت دماء جبهته ، حاول طلعت و توفيق الإمساك بي بإحكام حتى لا أجهز عليه مرة ثانية ، أوقفه زوج عمتي و هو يتفقد و يتفقد الدماء التي كانت تسيل من وجهه بغزارة وسط دهشة الجميع مما فعلته به و ثورة جنوني ضده ! حينها تمالك نفسه قليلا و بعينين بدأت تزيل عنها دهشتها ، و بحنق بدأ يملأ وجهه

: لا تخبرني أنك من تريد تركي لأجله يا صديقي !

عُلت عيون الجميع بيننا و لازال توفيق ممسكاً بي ، فبادلته النظرة بغضب

: أنت لم تكن يوماً صديقي !

صرخ بي و هو يتقدم خطوة فأمسكه زوج عمتي

: هي زوجتي و لن تقربها يا ياسين ؟

ابتسمت له بحنق ملاً صدري

: ليس بعد الآن ، فلتنظر أين تقف قدامك !

زاد الغضب بأحداقه تقدمت نحوه خطوة و توفيق يحول بيننا و بغضب ملاً صدري و أراد أن يرديه قتيلاً أمامي

: هي بكل حال من الأحوال تكركهك و أنت أكثر من يعلم هذا ! و الآن بعد أن قتلت
ابنك و حاولت قتلها ، أعتقد أنها ستقبل بجحيم سجنك ثانية
زاد الغضب به و كادت تشتعل أحداقه

: أحرق يا ياسين هي لا تُحبك ، فلا تجرؤ على فعلها

نظرت له وبعين تمتلأ نصراً بهواك أمام هزيمته بعشقتك ، فتحت كفي فتدلت من بين
أصابعي قلاذتك التي كانت تلتف حول عنقك و لم تفارقك منذ يوم عيد مولدك و هي
ملطخة بدمائك ، و لم تُفارق كفي منذ تركتها يدك بيدي ! فتعلقت بها عينه و عين
الجميع و هي تهتز بين أصابعي و يتأرجح قلبها يمينا و يسارا و يتأرجح معها كل ذرة
به و تنتفض الدماء بعروقه و لهاث أنفاسه الغاضبة قبل عينيه يتتبعها ، و لم يكسر
صوت الصمت الذي ساد الجميع و دهشتهم العارمة مما يحدث ، سوى بسمتي
الحانقة له و أنا أزيد بوقود صدره و عيني معلقة بعينه المعلقة بقلاذتك

: أعتقد أنك من بين الجميع يجب أن تُعيد التفكير بعشقها لي ! خاصة أنني لم أكن
أفارقها فقد سكنت قلبها و عقلها

ثم صمت لحظة و الغيظ و الحنق مما فعله بك يملئني فصبابته به

: حتى أنني سكنت صدرها بكل لحظة حتى التي جمعتك بسريرها كنت حاضرا !!

حينها لم يتمالك ذاته فأجهز عليّ و سدد لي لكمة قوية ، فأمسكت به من ملابسه و
ألقيت به إلى الحائط بجانبني فارتدى بالزاوية و روحتُ أعاود ضربه و ألكمه بوجهه و
قد رد لي الضربة مرة أو اثنتين لكن لم يمكنه التغلب عليّ و بالرغم من أننا كنا
نتقارب بالبنية الجسمانية إلا أن غضبي و كرهه له كان أعتى و هو ما كان يسيطر
عليّ لحظتها ، سددت له لكمات كثيرة بوجهه و صدره حتى أنني طرحته أرضا ، و
كاد غضبي يقتله حتى أنني روحت ألكمه بقدمي في صدره و بطنه ، كان يحاول
توفيق و طلعت أن يحولُ بيننا إلا أنهم لم يستطيعوا فقد كان بالزاوية و أنا من أمامه ،

حاولوا جذبي بعيدا لكن بثورتي لم يتمكن أحدا مني ، و حين يأسوا من التخليص بيننا و كاد يلفظ أنفاسه تحت يدي و سط صرخات أمي و عمتي حملني طلعت و توفيق و معهم رجلين آخرين من رجال الحراسة حتى رفعوني عن الأرض و أبعادوني عنه ، انحنى زوج عمتي و عمتي يتفقدونه خوفا من أن يكون فارق الحياة ، لكنه كان لازال يتنفس ، رفعه الطبيب بمساعدة زوج عمتي و طلعت إلى سرير متحرك ليقدما له الإسعافات التي يحتاجها ؛ أجلسني توفيق على الأريكة وسط ذهول الجميع الذي لم يكن غادرهم بعد ، اقتربت أمي لتتفقد الدماء التي كانت تسيل من أنفي و القلق يملأها و أنت احدى الممرضات و مسحت عن أنفي الدم و تأكدت من أنني لا أنزف سوى من أنفي بعد لكمته لي بوجهي ، ثم غادرت ، جلست أمي بقربي و جلس الجميع و الصمت يخيم على القاعة بكاملها بعد تلك الدقائق العاصفة ، التي أمطرت الجميع دهشة و فزع مما حدث ، و حين رفعت عيني و أنا أمسح الدم عن وجهي ، اصطدمت عيني بسحر و هي تنظر نحوي و كلها مطرقة لا تكاد تُصدق ما حدث ، لا تكاد تشعر بذاتها من هول الصدمة ، فتعلقت عينيها بي و سط صممتا الفادح و لم يكسره سوى كلمات جدي

: فليرفق الله بنا مما هو قادم ، فليكن هو الرؤوف بنا ، و يتفضل علينا برحمته و ليكن تدبيره بما هو أتى لنا و لا يكن علينا !

حينها همت لي لي من مجلسها و اتجهت نحوي ، أمسكت بيدي فتحتها و وضعت القلادة بكفي فقد سقطت مني حين بدأ العراك و قد التقطتها هي ، و أطبقت على كفي بابتسامة هادئة و عادت إلى مجلسها ، هممت واقفا و اتجهت إلى غرفتك كي أراك و أطمئن عليك فلم تكوني أفقت بعد ! ثم عدت و كان غادر الجميع و لم يبقى أحدا سوى ميس فأبت أن تُغادر و توفيق و عمتي تلك المرة فقد عادت أمي لتغتسل و ترتاح قليلا ، لكنني أصوتُ أن تُغادر و طلبت إلى طعت أن يُعيدها إلى المنزل فذهبت إلى الحمام أنا الآخر لأغتسل و أبدل ملابس بعد أن تمزقت من عراكٍ معه !

و قد طلبت من رجال الحراسة ألا يقرب أي أحدا غرفتك سوى الطبيب و تلك
المرضة التي اصطحبتني إلى غرفتك بأول مرة ، بعد أن أكدت عليها ألا تخبرك
شيء عما حدث ، و أن تهتم لك و تُخبرني إن سأل أي أحد عنك ، طلبت من ميس
ألا تُخبر خالتك شيء عما حدث حتى تستقر حالتك و تتحسن صحتك .

خرج كريم من المشفى بنفس اليوم فلم يكن به سوى بضع كسور خفيفة و
رضوض ، أخبرتني الممرضة أنه حاول معرفة التقرير الذي كتبه الطبيب عن حالتك
الصحية ، إلا أن الطبيب أخبره أنه لم يُعده بعد ، باليوم التالي تركت المشفى و معي
توفيق أثناء استغراقك بالنوم فقد أكد الطبيب أنه كلما طالت ساعات نومك كان أفضل
فهذا يجعلك تتخطين الوقت الأصعب ، تركتك مع ميس و أربعة من رجال الحراسة و
ذهبت إلى المصنع و طلبت إلى زوج عمتي التقدم ببلاغ رسمي بصفته المحام
الخاص بالمصنع ضد كريم بصفته المسئول عن المكتب الهندسي لإخلاله ببند العقد
بيننا و مطالبته بقيمة الشرط الجزائي ، و قد حرصت على أن يتقدم جميع من يدين
لهم بالمال ببلاغات ضده بنفس اليوم بعد أن أوحيت إليهم بطريق غير مباشر بأنه قد
يُغادر مصر هرباً من سداد أموالهم ، و بالفعل صدر ضده أمر بالضبط و الإحضار
و منعه من السفر ، و قد حرصت أن أشهد تلك اللحظة بنفسني حتى تهدأ نار غضبي
و تخمد ثورتي بعد كل ما حدث .

بعد يومين توقفوا عن إعطائك المهدئات و خبرني الطيب بأن حالتك في تحسن ، كاد قلبي يطير بين ضلوعي فرحاً حين دلفت إلى الغرفة و كنتِ مستيقظة و رأيتكِ تبتسمين من مزاح ميس و لي لي معكِ ، كان كلتاها يَ حيطان بسريركِ و يتشاكسون حتى يرسموا البسمة على وجهكِ و حين رأيتي خرجت بسمتك من قلبكِ ! فشاكستكِ ميس و لي لي تدفعها خارج الحجرة

: الآن أزهر ورد خديكِ !

انتظرت حتى خرجوا و أغلقت الباب لكن تلك المرة أغلقت معه ستائر النافذة المطلة على الممر ، و كانت تقف ميس أمامها بمشاكسة ، و تقدمت نحو سريركِ ببسمة ملئت قلبي

: أُحبكِ

زادت بسمتك و أنتِ تُحركين رأسكِ بألم على الوسادة التي كانت رأسكِ تستند إليها ، و دعبتني

: الأزلت تُحبني و أنا مدمرة هكذا ؟

زادت بسمتي و قد وصلت خطاي سريركِ ، فملت نحوكِ و شاكستكِ

: لأكون صريحاً ، كنت أُحبكِ أم الآن –

ثم صمت فتساءلت عينيكِ بصمت ' و الآن ' فزاد قربي و بعد أن وضعت القلادة حول عنقكِ مرة أخرى ، أمسكت يدكِ بكفي اليميني و وضعت كفي اليسرى على رأسكِ

: الآن فقد اكتشفت أنني أعشقتكِ ، أدوب بخلجان عينيكِ الصافية فقلبي يخفق بين ضلوعكِ ، فما فائدة العمر إن لم تتساقط أوراقه بأحضان هوائكِ؟! فقبل عشقتكِ لم أكن أنا كان غيري يسكنني ! و بعد عشقتكِ صرتُ أنا و كلي بات يعرفني ! فدونكِ أنا

الغريب دون وطن ! أنا الطريد دون سكن ! أنا الغريق دون أمل ! لا أين لي و لا كيف ! لا أعرف لي متى و لا يرتد لي طرف ! لا حلم لي و كلي صار بعدك طيف ! قلبي مؤطر الأسوار بهواك صفين من عشق و صف من اشتياق ، و زاد زُخرفه بغرقي في بحر عيناك ! استعصم بكِ النبض و تعبد بمحراب لقياك ! فترفقي بي مولاتي فماذا بعد الغرق بهيام الغرام في العشق بيديك سألاقي؟

أخذك الخدر و ترفقت يدك بيديو كاد يَغشى عليك ، فانفض قلبي فزع عليك تخوف عقلي أنك تتفلتين مني فتساءلت بقلق

: ماذا بكِ حبيبتي ؟ أنادي الطبيب ؟

: ليس لديه ما يداويني به مما تفعله بي !

ابتسمت منك و قد تنفس قلبي الصعداء و هدأ ، اقتربت منك و قبلتك بنعرك قبلة قصيرة أغمضت لها عينك و حين فتحتها كان وجهي بوجهك فتساءلت بدهشة
: ما هذا بأنفك ؟ لما يبدوا متورماً ؟

: يبدو أنني من لوعة الغرام اصطدمت بالشوق فتورم قلبي ، و قد فاض به التورم حتى وصل أنفي !

خرجت منك ضحكتك الطفولية التي اهتز لها قلبي و أزهرت بها ورود الحديقة ، و غرد لها عصفور سكن نافذتك ، سرقتني من ذاتي و أحكمت بها أسري في هواك ، و أخدمت جحيم الأيام الماضية ، و لم أنتبه من شرودي بضحكتك إلا على صوتك

: إلى أين وصلت ؟

: وصلت إلى حديقة القصر بأول يوم رأيتك فيه ، و أنت تجلسين بجوار جدي ، حين سمعت ضحكتك تلك لأول مرة

علا الخجل وجهك و زادت هُرة وجهك ، فملتُ نحوكِ و همست بأذنك

: تلك هي التي أسقطتني سريعاً بعشقتك !

رفعتِ عينك نحوي ثم أمسكتِ بقميصي ، و قرنتني إليكِ على مهل و قبلتني في
جبيني بحنان ، و أطلتِ بها حتى فقدت عقلي و لم يعيده لي ، سوى طرق لي لي
على الباب فقد أتت أمتي و عمتي للاطمئنان عليكِ .

بعد عدة أيام تحسنت حالتك الصحية لكن الطبيب لم يُقر بخروجك ، إلا أنني حين علمت بأن النيابة أفرجت عن كريم بضمانة مالية ، توجس قلبي و تلك المرة لم أرغب أن أترك شيء للصدفة ، فلن أتركه يقترب منك ثانية .

ذهبت إلى المشفى ليلا قبل أن يخرج كريم بالصباح من محبسه

: هيا حبيبي سنغادر الآن .

بادرتك بها بعد أن أيقظتك من النوم ، فسألنتي بقلق

: الآن نحن بمنصف الليل !

أجبتك و أنا أجمع أغراضك

: نعم الآن حبيبي ، يكفي دلال سنغادر ، هيا

: ما الذي يحدث يا ياسين ؟

: لا شيء ، لكن يكفي ملكتي المتوجة دلالا سنذهب إلى البيت

صمت لم تقولي شيئا رغم تراقص كل الأسئلة بين أحداقك ، لكنك صمتي و طلبت تغيير ملابسك فأخبرتكَ أنك جيدة هكذا ، فابتسمت

: إنها ملابس للنوم يا ياسين ؟

: أتلك بملابس للنوم ! إذن لما اعتقدتها ملابس السهرة

: لا تمزح دعني أبدل ملابسي !

أمسكت بك من ذراعك

: إن كانت سيئة أو تُظهر من جمالكِ شيء لم أكن لأجعلكِ ترتديها من البداية ، و حتى و إن كنتِ مريضة ، هي جيدة ايما و هيا الآن حبيبتى ، توقفي عن الدلال !

خرجت بك من باب المشفى الخلفي كان توفيق ينتظرنا بسيارته ، و بعد أن عبرنا عدة شوارع توقف على جانب الطريق فأنزلتك ، و كان طلعت ينتظرني بسيارتي على جانبه ، دلفت بها و تحدثت إلى كلاهما لدقائق ثم دلفت إلى السيارة و انطلقت بها ، و ذهب كلا منهما بطريق ، فزاد توجسك و خرجت عن صمتك

: ماذا يحدث يا ياسين لما كل هذا ؟ و إلى أين نحن ذاهبون فهذا ليس الطريق إلى بيت ميس !

: بلى هو الطريق إلى البيت حبيبتى !

صمت و حين وصلنا إلى البيت ، تساءلتِ بدهشة

: أو ليست تلك البناية التي بها شقتك ؟

: هيا حبيبتى و سأخبرك كل شيء حين نصعد !

هبطت من السيارة و أنتِ تُمسكين بي ، دخلنا إلى بهو البناية كان يجلس بها بعض رجال الحراسة الذين أتيت بهم ! تلفتي حولك حين رأيتهم ثم نظرتي نحوي بقلق لكنك صمتي ، استندت إلى ذراعي و اتجهنا نحو المصعد ، و ظللت متكأه إلى صدري حتى وصلنا باب الشقة ، زادت دهشتك حين طرقت الباب و بعد لحظات فُتح فلم تتوقعي وجود أحد ! و حين دلفنا اتجهت بك نحو الاستقبال أجلستك إلى الأريكة و تركت حقيبة ثيابك بالأرض ، حينها رفعت وجهك على صوت ي حدثني

: حمداً لله على سلامة زوجتك ياسين بك

ثم التفتت إليك ، و بابتسامة هادئة

: حمدا لله على سلامتك

أومأت لها و اعتدلت بالجلوس جوارك ، ثم طلبت إليها الذهاب و تحضير الطعام
فالتفت نحوي

: ما الذي يحدث ؟ و من تلك ؟

: تلك هي زينب و ستبقى معك هنا إلى أن تُصبحي بخير غير أنها ستعتني بك في
غيابي ، أما لما كل هذا ؟ فسأخبرك كل شيء .

قصصت عليك كل ما حدث منذ لحظة وجدتك غارقة بدمائك و نقلتك إلى المشفى و
حتى عدت و أخرجتك منها ، كنت تستمعين لي و أنت مطرقة لا تتفوهي شيء و
الدهشة و الخوف ملئوا محياك ، و بعد أن أنهيت حديثي ، بادرتني بحزن

: إذن الجميع الآن يعلمون !

: نعم الجميع و أولهم جدي و كريم ! لم يعد هناك أسرار الكل بات يعلم

أغمضت عينيك و قد فرت دمعة هاربة على وجهك

: لماذا تبكين الآن حبيبتي ؟

: ماذا تعتقد أنهم يظنون بي الآن ؟ يعتقدو—

وضعت اصبعي على فمك و بنظرة غاضبة

: ما يعرفونه أنك حبيبتي ، غير أنني لا أهتم لرأي أحد ، فيكفيني أنني أعلم من هي
المرأة التي أحب ، و ما الذي فعلت به بي أنت و عنادك و كبريائك الذي كاد يقتلني !
و ما لا تعلميه أن جدي كان يعلم ما بيننا من قبل أن نعلم نحن به
رفعت عينك نحوي و قبل أن تتفوهي بشيء آخر ، شاكستك

: لا أريد أن أسمع ما يُغضبني منك ، فأنا لن أقبل أن يتحدث أحدا عن حبيبي
بطريقة لا تُرضيني ، حتى و إن كان أنتِ
ابتسمتِ بضيق ، ثم نظرتِ نحوي بخوف

: لكن كريم !

هممت واقفا و أنا أنزع سترتي

: ليس بيده شيء حتى يفعله ، في خلال أيام سيعود إلى السجن ثانية بعد أن يتقدم
المشفى بتقريرك الطبي الذي يؤكد محاولته قتلك

: أخشى عليك منه هو لن يتوانى عن إيذائك

: لن يمسنى شيء ... الأهم أنكِ ستكونين هنا بأمان فأقسم أنه لن يقربك ثانية ، و إن
فعل لن يقتله غيري ، و لن يمنعني أحدا و لا حتى أنتِ

: ياسين -

: حبيبي كل شيء سيكون بخير ، ستظلين هنا إلى أن ينتهي كل شيء و ستظل
زينب معكِ ، يمكنني الوثوق بها فتوفيق هو من أتى بها ، و قد أثبت ببعض رجال
الحراسة من شركته ، و هم لن يُغادروا مدخل البناية كما رأيتهم ، الجميع يعلمون أنكِ
زوجتي و هناك من يترصد بكِ لبعض الخلافات بيننا على عمل ما ، لا تقلقي
حبيبي كل شيء سيكون على ما يرام

ثم هممت واقفا اتجهت إلى غرفة النوم ثم عدت و معي بعض الأوراق

: أريدك أن توقعي تلك الأوراق لأجلي !

أخذتِ الأوراق من يدي و وقعتها ، فسألتك بدهشة

: أنتِ لم تقرئها ! أو حتى تسأليني ما المكتوب بها ؟

أملت مؤخرة رأسك إلى ظهر الأريكة من خلفك ، و بعفوية سرقت قلبي و جعلتني أوقن بكل لحظة أن المرأة التي أحببت تستحق

: أنت قرأتها ، و هذا يكفيني ياسين كي أوقع على أي شيء تريد

غرقت بعينيك المرهقتين بجمال ساحر يغرقني ببحر حنانهم الجارف

: تلك الأوراق هي من أجل المحامي لرفع قضية طلاقك من كريم ، و أخرى لتوليه التحقيق بمحاولة قتلك

: أنتحدث عن الأستاذ شوكت زوج عمك ؟

: كلا محامي آخر يختص بهذا النوع من القضايا ، غير أن زوج عمتي لديه قضية المصنع ، و لا أريده يُمسك تلك القضية لأجل العلاقة بين عمتي و أم كريم فأنت تعلمين ما بينهم ، أردت أن أرفع عنه الحرج ، لكن المحامي الذي أتى به توفيق سينال منه و سينفذ كل ما أريد

: أعتقد أنه سيطلقني ؟

: لا يهم أن يقبل أو يرفض ! بكل الأحوال المحكمة ستُعطيكَ الحكم بعد تقريرك الطبي و محاضر القضايا الأخرى المرفوعة ضده ليس لديه خيار هممت واقفا و أنا أساعدك بالنهوض لتناول الطعام

: المهم الآن أن ميس لن تأتي إليك و لن تعرف مكانك هل هذا مفهوم ؟

التفت نحوي بضيق

: لماذا ؟

: حبيبتي أنا لن أجازف قد يتتبعها ليصل إليك ، إن كنتِ تبغين أن أقتله فسأجعلها تأتي إليك

انتفضتِ

: كلا ، كلا لا أريدها أن تأتي ، فقط لا تتهور

: حسنا هذا جيد ، هيا إلى الطعام الآن

: كلا لست جائعة فقط متعبة و أريد النوم

زادت بسمتي و أنا أُجسك إلى الطاولة رغماً عنك

: ستنامين لكن أولاً ستأكلين و هذا أمر لا نقاش به ! و أنا هو من سيطعمك فلا

تدلي و تُعبيني كما تفعل جنا

زادت بسمتك و جلستي إلى المائدة لم تأكلي الكثير بضع لقيمات لإرضاء ثم اصطحبتك إلى الغرفة ، وضعتك بالفرش و دثرتك بالغطاء ، كان يبدو عليك الإرهاق و التعب و الخوف يملئك ، إلا أنني خبرتك أنني سأظل إلى جوارك ، خلدت للنوم أغلقت الضوء و تركت باب الغرفة موارب ، خرجت إلى الشرفة أشعلت سيجارة و وقفت أراقب سكون الليل و تكاد أذناي تسمع جريان النيل ، جلست إلى الكرسي أكثر من ساعتين و النوم يُجافيني ، كلي يمعن النظر بنجوم الليل و هي تسابق نسيمات الهواء العليل ، و التساؤلات بعقلي تتسابق كدوامات تتقاذفها رياح التفكير بما هو قادم ! لم يستعديني من غفلتي سوى صرخاتك المفزعة ، ركضت نحو الغرفة كنت تصرخين كطفل صغير فقد أمه أم كطفل فقد طفله ! أضئت نور الغرفة و اندفعت مسرعا إلى السرير ضممتك إلى صدري و حوطتك بذراعي فتشبثت بهما كغريق يمسك بقشة نجاته ، وضعتي رأسك على صدري و دموعك تجري بمآقيك ، بعد دقائق بدأ يخبو فزعك و تهدأ موجة رعبك ، خبرتني أنه كابوس أفزعك طلبت إليك أن تخبريني به إلا أنك رفضت بفرع أكبر و زاد تعلقك بذراعي فصمت لم أشأ الضغط عليك ، اعتصرتك بين ضلوعي و أنا أهدأ من روعك إلى أن خمدت نيران فزعك و عدت لنوم لكن تلك

المرّة توسدت فحذي و كل ما بكِ ينتفض ، و أنا أربت على كتفك إلى أن غفوتِ و ظلت على حالي إلى أن غفوت أنا الآخر و أنتِ تتوسدين فحذي .

بصباح اليوم التالي التقيت المحامي أعطيته الأوراق ، و بنفس اليوم بدأ بالإجراءات لدعوى طلاقك من كريم غير أنه شرع بقضية اتهامك له بمحاولة قتلك أولاً عدت مساءً إلى البيت كان كل شيء بالبيت غير مستقر ، لم يكن الجميع راضياً عما حدث خاصة أعمامي إلا أنهم لم يتحدثوا أمامي بشيء ، خبرتني لي لي أنهم تحدثوا مع جدي و هو رفض تدخل أي منهم بالأمر ، لم يكن هو الآخر راضياً عما يحدث ، إلا أنه حاول تقبل الأمر فيعلم أنني لن أكف عنك و أنه لم يعد هناك مجال للتراجع ، و الأهم أنه حاول السيطرة على الأمور فهو الآخر كان يخشى رد فعل كريم ، يبدو أن الجميع كان يتوقع ما فعله لاحقاً إلا أنا !!

مرت عدة أيام هادئة لكن هدوئها بدا مخيف ، لم يهتم كريم بالقضايا الأخرى المقام ضده ، لم يكن يفكر بشيء سوى كيف يصل إليك ، كان يُفتش عنك بكل مكان ذهب إلى ميس يحاول ايجادك و تبعها بضع أيام على أمل أن تأتي إليك ، سافر إلى خالتك ، اقتحم مزرعة الخيل على أمل أنك تختبئين بها ، فتش عنك ببعض الفنادق ، كان يراقبني عن كثب فهو كالجميع يعلم أنني أعلم أين أنتِ ، إلا أنني كنت حريصاً حين كنت أتي إليك ، لكن ما زاد جنونه حين وصلتته دعوى طلاقك منه ، و بنفس اليوم تم القبض عليه لاتهامك اياه بمحاولة قتلك !

حضرت أمه إلى القاهرة بعد أن علمت أنه تم القبض عليه ، حاولت الوصول إليك لكنها فشلت ، لكنكما تقابلتما بالنيابة حين ذهبت لتدلي بشهادتك ضده ، أردت الذهاب معك إلا أنك رفضت ، ذهبت معك ميس و اثنين من رجال الحراسة ، لكنني لم

أحتمل فتبعكما بسيارتي دون أن تعلمي ، لتظرت خارجاً حتى ينتهي كل شيء ،
خبرتي ميس أن أمه حاولت التحدث معك لكنك لم تقولي لها سوى جملة واحدة
أفقدتها النطق ، ابنك قتل ابني ' و أدريت لها ظهرك و رحلت ، خبرتي عمتي أنها لم
تكن تعلم شيء عن أنه دفعك عن السلم أو أنك فقدت الجنين ، حينما شاهدتك
تُغادرين النياية غادرت إلى البيت و قد وصلت قبلك ، حين دلفت وجدتي أنتظر
فارتميت بين ذراعي و أجهشت بالبكاء حزنا و خوفا ، حزنا على كل ما مر بك من
ألم و ما تذكرتيه و أنت تدلين بشهادتك ، و خوفاً من القادم فقد أُرعبتكَ نظرات كريم
و وعيده لك حين التقاك بالنياية ، هدأت من روعك و خبرتك أنها مجرد تهديدات لا
تخرج عن كونها لإخافتك فقط ، إلا أنني اكتشفت لاحقاً أنها أكثر من تهديدات !!!

حين تركتك و عدت إلى البيت خبرني جدي أن والدة كريم أتت إليه ، تريد منه العون
لإخراج ابنها مما هو فيه ، خبرته أنها ستجعله يطلقك فكان من الخطأ قبولها
بزواجكما من البداية ، خاصة أنها كانت تعلم بإجبارك على زواجه ، قالت أنها
شاركت بكل ما حدث بصمتها على أفعاله من البداية ، و أنها كانت تتوقع أن ينتهي
زواجكما بأزمة ، لكنها لم تعتقد أن تكون بهذا الشكل ، جاءت ترجو جدي إخراجها من
السجن بأن تجعله يطلقك دون اللجوء إلى المحكمة ، و تنتازلي عن دعواك بمحاولته
قتلك ، و أنتازل عن دعوى المصنع ، و ستعمل هي على إنهاء باقي مشاكله وُعيده
مرة أخرى إلى إنجلترا و نهي تلك الخلافات ، بالبداية لم أوافق بالرغم من أن جدي
كان مرحبا كثير بهذا الحل ، و حين خبرتك بما حدث رحبت أنت أيضا و رجوتني أن
أقبل و أمام اصرارك و رغبتني بإنهاء كل هذا الصراع بأسرع وقت قبلت ، إلا أن أمه
وجدت صعوبة في اقناعه بهذا ، لذلك طلبت إلي الذهاب إليه !! لا أعلم أكانت
الحمافة أن تطلب !! أم أن الحمافة هي قبولي الذهاب !!!!!

بالفعل ذهبت لمقابلته ، و لا أعلم حتى الآن لماذا ذهبت إليه !!! أحقا توقعت قبوله
لتخطي الأمر ، أم فقط كنت أريد رؤيته و هو غارق بخسارته

: أنت !

بادرني بها حين دلف إلى غرفة مدير الأمن ، و وجدني من بانتظاره ، هممت واقفاً و بعد أن مرت صحاري الصمت بيننا بادرته

: كيف حالك يا كريم ؟

نظر نحوي بغضب و تحدث إلى العسكري خلفه

: أريد العودة إلى الحجز ثانية !

لم يجيبه تركه ثم خرج و أغلق الباب خلفه ، و قفت قبالته ثم جلست إلى الكرسي بجوار الطاولة و جلس هو إلى الكرسي المقابل لي

: أنا هنا لأجل الحديث عن ايما

رمقني بنظرة غاضبة

: زوجتي

: ليس لوقت طويل

: كلا ... لن يحدث .. هي زوجتي و ستظل إلى الأبد ملكي

اعتدلت بجلستي ، و بهدوء وضعت ساق على الأخرى

: لازلت لا تعي أن ما من أبد في هذه الدنيا ، كل شيء بالحياة يحتمل التغير و الانقلاب حتى على ذاته ، هي متقلبة ، فسبحانه من له الدوام

ثارت أحداقه من هدوئي ، ضرب الطاولة بكفه

: أنت من ورطني بكل هذا حتى يستطيع الحصول على زوجتي المصون ؟

زادت بسمتي و أنا أحرك رأسي يمينا و يسارا بروية

: هل تصدق نفسك ؟ هل حقاً تصدق أنني من فعل بك كل هذا ؟

: و هل يوجد غيرك ؟ أنت من فعل بي كل هذا ياسين !

هممت واقفا و أنا أُشير إليه بيدي

: دعني أصح لك ما تعتقد ، و أخبرك بما توقن به بداخلك ، لكنك تحاول الهروب منه كعادتك ، تحاول إلقاء اللوم على غيرك ، منذ الصغر و أنت ترتكب الحماقات و الأخطاء و تلقي بها على أكتاف غيرك !

: أحقا ، عشقك لزوجتي هو خطأي !

: كلا عشقي لها ليس خطأ أيا منا ، لكن كرهها لك فهو خطأك ، كان هذا تدبيرك و ليس من تدبيري

ثم صمت لحظة و اتكأت لحافة الطاولة

: أم الباقي لنكن صادقين أنا لست بريئاً تماماً منه ، لكن لنقل أنني وضعتك بأول الطريق فقط ، لكنني لم أجبرك السير به ! لا أنكر أنني ألقيت بالطعم لكنني لم أجبرك التقاطه ! قد أكون رتبت لبعض العوائق بمواعيد التسليم ، بعض العثرات مع المقاولين ، لكن لست أنا من أجلسك إلى طاولة القمار لتخسر بها أموال من المفترض أنها لإنجاز العمل ! ليس أنا من ورطك بتوقيع شيكات و ليس لديك رصيد يغطيها ! أنا حتى لم أقحمك من البداية بإدارة عمل لا تعرف عنه سوى اسمه !

ثم عدت و جلست إلى الكرسي أمامه و وضعت يدي فوقها

: ليس أنا من قتل عدنان و جعل إخوته يطاردوك

ركض الحنق بأحداقه ، فزدته

: فحقيقة لم أخطئ أن تقتل ابنك .. أنت تعلم أنها فوضاك وحدك ، تعلم كم أنت بارع بإفساد كل شيء ! بالحقيقة أنت لم تحتاج أي مجهود لإفساد حياتك ، أتعلم لماذا ؟ صمت لحظة و ابتسمت له

: لأنك قمت بهذا على أكمل وجه !

أطرقت عينيه إلى الطاولة و سألني و هو معلق النظر بها
: ماذا تريد الآن ؟

أجبت بهدوء كان ي زيد سخطه

: اعتبر أنني هنا لأجل صفقة بيننا ، صفقة سنختم بها الشراكة بيننا إلى الأبد !
رفع عينه نحوي و الغضب ينتفض بها

: أنت ستطلقها و أنا سأخرجك من هنا ، و أعيدك إلى إنجلترا إلى الأبد
ابتسم بغيظ ، و بدأ يخونه غضبه

: لن يحدث أنا لن أطلقها ، ايما زوجتي و لن أتركك تحظى بها ، بل و سأقتل
كلاكما لخيانتي يا ياسين

تمسكت بهدوئي مما زاد غضبه

: هي لم تخنك بما تمتلك منها ، أم الذي لا تمتلكه أنت فامتلكته أنا

هم واقفاً وضع كفيه على الطاولة و هو يميل نحوي و يود لو يقتلع رأسي

: لن أفلتها ، و لن تكون لك

اتكأت إلى ظهر الكرسي و شبكت ذراعي فوق صدري

: يبدو أنك لا تنتظر حولك جيداً ، شئت أم أبيت أنت ستطلقها ، أعتقد بكل تلك القضايا ضدك كم سيستغرق القاضي في التفكير قبل أن يطلقها منك خمس ثواني !! صمت لحظة ثم هممت واقفا قباليته ، و ملت نحوه و بنظرة حادة

: بعد إعادة التفكير بقاتل ابنه ثلاث ثواني ستكون كافية

تبادلنا النظرات الصامته بكره ملاً كلا منا تجاه الآخر ، ود كلانا لو قتل الآخر لحظتها و يا ليتني فعلت تلك اللحظة !!! و قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة دخل مدير الأمن ، و حين رأنا على هذا الوضع توجس قلقاً ، فأمر بإعادة كريم إلى محبسه ، خرج كلانا إلى الممر مغادراً بطريقه و كنا باتجاهين متعاكسين ، و قبل أن يغادر وقفت قباليته

: أعد التفكير إنه عرض لمرة واحدة ، و هذا فقط لأجل أمك لا شيء آخر بادلني النظرة بغضب

: أنت لا تستحقها

ابتسمت و أنا ألتفت مغادراً

: و هل كنت تستحقها أنت ؟

و بعد أن خطوت خطوتين ناداني

: ياسين

توقفت و لكنني لم ألتفت إليه

: أعلم أنك لم تقربها سابقاً !

فلم أجيب

: و أعدك أنك لن تقربها لاحقا ما حييت !

هممت مغادرا

: لنرى بهذا الشأن

غادرت و كلي كان مُتلهف لإصراره الرفض ، لا أعلم لما ؟ لكن نظراته خبرتني أنه إن خرج لن يكون هذا جيدا ، لم أكن أعلم أنه بكل الأحوال ي رتب لشيء ما ! و بالفعل أصر على رفضه ولم يقبل بأن ي طلقك دون اللجوء للمحكمة ، أقنعني جدي بالتنازل عن قضية المصنع لأجل أمه ، و يكفي ما ي لاقية من نتائج حماقاته ، غير ما قد ي وقع عليه من عقوبة للشروع بقتلك ؛ لم يمر وقت طويل حتى تم الحكم بقضية طلاقك منه ، و ثارت ثورته و أصابته حالة من الجنون باليوم الذي عُقدت به جلسة الطلاق لأن الحكم كان بطلاقك منه ، لا أعلم كيف له أن يتوقع غير ذلك بعد كل ما حدث !!

شعرت ذلك اليوم بسعادة ملأتني حتى العنان ، شعرت بأن عشقي لك فُك أسره لأول مرة ، غمرني الفرح و السرور حتى كادت تتوقف دقاتي ، بات طريق المستحيل بيننا الآن خطوة ، بعد أن انفكت عنك قيوده ما عدا يمنعني عنك شيء ، اعتقدت أن زمني ابتسم لي اعتقدته بات صديقي الذي لن يخونني ، إلا أن غدره بي كان أسرع من رأفته بحالي !!!!

مرت عدة أسابيع و أنا غارقا بسعادتي بمرور الأيام لتقربني إليك ، و أيضا غارق بين التجهيزات لإعادة العمل بالتوسعات ، لكن تلك المرة مع أكبر الشركات الهندسية و بالفعل كان بدأ العمل بها ، و كنت منهمكا بإنهاء بعض متعلقات العمل الأخرى ،

كانت تمر بضع أيام دون أن أظفر برؤيتك ، بذاك اليوم اتصلت بكِ و خبرتكِ أنني سأراكِ باليوم التالي ، و عدتُ إلى البيت منكم من كثرة الأعباء

: مساء الخير عدت متأخرا الليلة ؟

بادرتني بها أمي حين دخلت

: كان لدي بعض الأعمال الهامة

: إلى أين أنت ذاهب ؟

أغمضتُ عيني بإرهاق ، و كنتُ أنام بالمكتب منذ ما حدث من زوجتي المصون و لأحظي بقربك حين كنتُ تسكنين تلك الشرفة

: أعتقد أنني سأذهب للفراش

: أستظل تنام بالمكتب ؟

لم أجب فبادرتني بغضب

: لست مرتاحة يا ياسين فأنا لا أتحمل أن أراك هكذا، أعلم أنها أخطأت لكنها ندمت وهي زوجتك -

و قبل أن تكمل قاطعتها بحدة

: إذا لم تكوني مرتاحة يا أمي ، إذن سأريحك مني و سأبحث عن مكان آخر لأنام به

و قبل أن تقول شيء هممتُ مغادراً حاولت ان تستوقفني لكنني لم أتوقف !

؛؛؛

تركت المنزل و خرجت اعتقدت أنني سأذهب إلى توفيق ، لكنني لم أفعل ،
ظللت أقود السيارة وسط الشوارع على غير هدى ، فقط أطوفُ بها أحسست كلي
منهكا حتى رست مراكبي بشاطئك ، انتهت سبلي ببابك و تقطعت بي الأمانى و
الأوهام بين يديك !

جنئك و لا أعلم كيف و لا لما ؟ فقط أخذتني قدماي إلى بابك ، دققت الجرس ، أتت
زينب و فتحت لي الباب ، و جاء صوتك من الداخل يتساءل بقلق
: من بالباب ؟

: إنه ياسين بك قد جاء

تقدمت نحوي بلهفة و أنا أدخل إلى ساحة الاستقبال

: لقد عدت

: أعتقد أنه يجب أن أغانر أولا ، حتى أفكر إن كان باستطاعتي العودة أو لا ، و
يبدو أنني لا يمكنني المغادرة ، لا يمكنني الابتعاد عنك !
ابتسمت و قد هدأت نيران قلقك

: أتحدث بجدية ، خبرتني أنك لن تأتي اليوم سيتساءلون عنك ؟

جلست إلى الأريكة

: لا تقلقي لن يتساءل أحد عني ، و لكي يطمئن بالك فلقد ذهبت إليهم إلا أنهم
طردوني ! فلا يريدني أحد ! و أخشى أن تطردينني أنت أيضا ! فإن لم تكوني
تريديني حينها سأهيم على وجهي بالشوارع أبحث عن من يأويني !

علت ضحكك و أنت تهمين للجلوس إلى الكرسي

: يا الهي هل وصل بك الحال إلى أن تفتش عن من يأويك ؟

: يبدو كذلك فلم يعد يريدني أحد ! فماذا عسى أفعل ؟

رفعت حاجبك و شاكستني برقة

: أعتقد أن هناك أحد يمكنه أن يرأف لحالك أيها الشاب المسكين !

: هل لي أن أعرف من ؟

نظرتِ نحوي بدلال أسر قلبي و سلب عقلي

: لا أعلم إن كان يكفيك قلبي !

رفعت يدي إلى السماء

: إذن فقد غمرني ربي برحمته و فضله و أعطاني أكثر مما سألت

زادت بسمتك و فاض بوجهك الخجل ، و هممت واقفة

: إلى أين تذهبين ؟

: بالطبع أنت لم تأكل ! سأحضر لك شيء تأكله .

: كلا فلا أرغب بشيء

: و ان قلت لك لأجلي ؟

نظرت لك باستسلام

: حسنا ، لكن استريحي أنتِ و لنسأل زينب تعد لنا شيء ؟

زادت بسمتك بعين تغمرها السعادة و الحب

: و إن كنت أرغب بأن أعده لك بنفسي ؟ فستأكل الليلة من يدي

: يبدو أنني سأتوج ملك الليلة على عرش الكون

علت ضحكتك و أنتِ تتجهين نحو المطبخ

: أتمنى أن يظل هذا رأيك بعد الأكل

شاكستك و أنا أتبع خطاك

: فقط لا تتبعي وصفات لي لي في الطبخ

: كلا لن تصل إلى المشفى أعدك

اتكأت بذراعي إلى الجدار بجانبني

: إن كان على يديك فلا مانع لدي

ابتسمتِ و أنتِ تتظرين نحوي برقة خطفت قلبي ، و قفت أراقبكِ و أنتِ تُعدين الطعام

، عيني مُعلقة بكِ و بكل خطوة منكِ ثم تقدمت داخل المطبخ ، وقفت خلفك

: أحبك

: ياسين

: أنا فقط أرغب بأن أكون قريب منكِ ، فأحس الأمان و أنتِ قريبة مني .

ابتسمتِ و أملتِ رأسك ، فسألتك بحيرة

: ماذا هل قولت شيء مضحك؟

: كلا ، لكن أنا أيضا لم أشعر بالأمان سوى و أنتِ قربي

ثم أسبلتِ عينيكَ خجلا ، فشاكستك

: هل لي أن أطلب شيء ؟

نظرتِ نحوي بصمتٍ متعجبٍ و أملتِ رأسكِ قليلا و عينيكِ تتساءل عن مطلبي ،
فاقتربت منكِ تلمست بأناقلي اليمنى أمواج شعرك و تعلقت عيني ببحرك ، شعرت
بأنكِ أدركتِ مطلبي حين طالت نظرة شغفي بكِ ، اتكأتِ إلى حافة الطاولة من خلفكِ
، لم أقل شيء تزدت لحظات لم أعلم أزيد في قربي أم أكتفي ؟ فلا أشأ أن أغضبك
! لكن عينيك كانت مستسلمة لي ، فزاد اقترابي منك و على غير عادتك لم تمنعيني !
فزادت جرأتي و زاد الاشتياق بقلبي ، سافرت أصابعي بين خصلات شعرك حتى
وصلت جبينك ، لمع خجلك بين حنايا وجهك البسام ، أملتِ رأسكِ قليلا للأمام فتعلقت
عيني بشعرك فشعرت بكِ تحيطيني من كل اتجاه ، أسبلتِ جفنيكِ و رفعتِ يديكِ و
لمستِ بأطراف أناملك اليسرى صدري على مهل حتى منبت عنقي ، فملتُ نحوكِ
أغمضتِ عينيكِ ، حوطتكِ بذراعي اليسرى قربتكِ أكثر إلي على مهل ، التقت شفتكِ
السفلى بين شفتاي رُحت أُقبلكِ ، فالتفت يدكِ اليمنى حول عنقي ، و دثرتِ أناملها بين
خصلات شعري فزدت في احتضانك حتى أصبحت لصيقة ضلوعي ، كانت قبلة
طويلة هنا بها قلبي بلهفة اشتياقه إليك ، و إلى دغدغة شهوة قلبي و عقلي في عشقك
، قبلتك سابقا لكن تلك كانت غير أي منها ، تلك المرة شعرت بكِ لي وحدي لا
يُشاركني بكِ أحد ، حتى أنتِ كنتِ تختلفين عن سابقيها ، بكل مرة كنتِ تتمنعين ،
كنتِ أشعر أنكِ تبادليني القبلة خائفة أو مرغمة ، تلك المرة بادلتني القبلة باشتياق لي
، كانت تغمركِ لهفة عشق تغزوكِ شهوة للغرام بيننا ، شعرت بكِ تحلقين بي بين
النجمات ، تُسافرين بي إلى السموات ، تُغرقيني ببحور العشق و الغرام ، لحظتها
كانت كافية لكِ و لم تكفيني ! وفت برغبتكِ في الهوى و لم تُوفيني ! كفت قلبكِ من
الشوق ارتواء و لم تكفيني ! لكنني حاولت الاكتفاء لأجلكِ !

؛؛؛

تناولنا الطعام و جلسنا بالشرفة بعض الوقت ، ثم دخل كلا منا حجرتة للنوم ، و بعد أن استلقيت بالفراش أحاول النوم لم أستطع ، رغم سعادتي الغامرة لقربي منك و فرحي بقرب انتهاء كل هذا الصراع بأن تكوني لي ، فلم يُعد يفصلني عنك سوى جدار و بضعة أشهر حتى تنتهي عدتك منه و تكوني لي للأبد ، إلا أنني تفلقت بفراشي !! كانت تسري بباطني رعشة كلما تردد صدى صوته لي و نظراته ، لن تكون لك حاولت تجاهل قلقي و توجسي إلا أنني لم أستطع ، كان بصدري شيء ينبئني بأن شيء سيء سيحدث ! إلا أنني لا أعلم ما هو و هذا أكثر ما أرقني ، لكنني بالنهاية تغلبت على ظنوني و دفنتها داخلي فلا أشأ أن تُفسد سعادة قلبي بقربك ، و انقضت ليلتي و أنا على ذلك الحال ، تتقاذفني الأحلام و العشق و الشوق لما هو قادم بتحقيق أحلامي بأن تكوني لي تارة و خوفي و ظنوني تارة ، حتى علت الشمس سمائها و افترش نورها أرض الغرفة ، هممت خارجا و بعد أن فتحت باب الشقة أغلقتة و عدت إلى الداخل ، وقفت أمام باب غرفتك أمسكت مقبض الباب لحظات ثم أدركته بهدوء ، دخلت إلى الغرفة أسرق الخطوات ، كنت مستغرقة بالنوم ، اقتربت منك وقفت بضع دقائق أرقبك و أنت نائمة ، ثم انحنيت نحوك و طبعت قبلة على جبينك ، تفلقت لها لكنك لم تستيقظي ، ابتسمت منك و عدت أسرق الخطوات حتى خرجت .

قلبي مؤطر الأسوار بهواك صفين من عشق و صف من اشتياق
، و زاد تُحرفه بغرقى في بحر عيناك ! استعصم بك النبض ، و
تعبد بمحراب لُقياك ! فترفقى بي مولاتي ! فماذا بعد الغرق
بهيام الغرام في العشق بيدك سألاقي ؟

مرت ثلاث أيام متتالية لم أستطع الحضور إليك بسبب تأخري بالعمل ،
و لآلت الرعشة بباطني لا تفارقني !! و لا زلت أتغالب على خوفي الذي لا أعلم لما
أحكم أوتاده بي ، لعل قلبي كان يشعر بما هو قادم !

تحسنت الأمور كثيراً بالبيت حتى أنني تحدثت و سحر بضع مرات ، تقدم توفيق
لخطبة لي لي و قد رحبت أُمي و أقنعت جدي بالموافقة ، إلا أنه أصر على تأجيل
كل شيء لحين أن تُنهي دراستها ، التجهيزات بالمصنع كانت تسري بشكل جيد و
أسرع من المتوقع ، كل شيء هادئ ، و أبدى زماني بعض الرأفة بي فطلب جدي
إحضارك للتناول الغداء بالقصر ، و التحدث بشأن التجهيزات لزواجنا فهو يعلم أنني
لن أتراجع عن زواجي منك ، و قد أصبح وجودك بحياتي أمر واقع لا يمكن تغييره ،
أمر لا بد و أن يتأقلم الجميع معه ! كانت أُمي و لي لي سعيدتان بهذا خاصة لي لي
أم سحر فلم تكن سعيدة بما يحدث ، إلا أنها لم يكن لها حق الاعتراض ؛ و بالفعل
اتصلت بك صباح اليوم الرابع بعد أن وصلت المصنع كانت ميس تجلس معك !
تحدثت إليك لأخبرك أن جدي يريدك أن تذهبي للقصر بهذا اليوم إلا أنك خبرتني أن
لي لي سبقتني إليك و قد حدثت أُمي و طلبت إليك المجيء ، بالطبع اغتظت منهما
إلا أنني كنت سعيدا جدا بهذا ، إلا أن سعادتني لم تدم طويلا !!!!

انقضى يومي الطويل بين اجتماعات و لقاءات كثيرة كانت عيناى معلقة بالساعة ،
أخشى أن أتأخر على موعدك ، اتصلت بك أكثر من مرة كلما اختلست لحظات
بمفردي لأطمئن عليك ، و بأخر اتصال أجابت ميس الهاتف ، و راحت تُشاكسني و
طلبت مني أن أكف عن الاتصال و القلق ، أنك ستنتظريني بالموعد ملكة متوجة
باننتظار أميرها ، فابتسمت و أغلقت الهاتف و غادرت مكنتي لاجتماع مع العمال .

قبل الموعد .. أنهيت عملي و هممت مُغادراً متجهاً لأقياك ، حينها انتبهت أن هاتفني
نفذت بطاريته لكنني لم أعيله بالا ، غادرت المكتب و بعد أن وصلت باب المصنع

الخارجي و هبط درجة من السلالم الخارجية و لم يعد يفصلني عن سيارتي سوى
بضع خطوات ، استوقفتني أحد الموظفين لشيء يخص العمل ، حينها توقفت سيارة
أجرة بجوار سيارتي ، حين رفعت عيني نحوها وجدتك أنت من تهبطين منها بملابس
البيت و حافية القدمين !!

وقفت مطرق و قبل أن أهبط درجة أخرى ، ركضت أنت نحوي بخوف ملاً وجهك ، و
بعد أن بدأ يعود لي رشدي من مفاجأة قدومك على تلك الحال ! هبط درجة أخرى
فتلاقينا بالمنتصف كنت أمامي مباشرة ، لكنك كنت ترتفعين عني درجة من السلم و
كانت عينيك تمتلئ خوفاً و تزرّف الدموع ، أمسكت بيدي و كل ما بك ينتفض ، و
قبل أن يتقوه كلانا بشيء ، سمعت صوت مدوي هز الأرجاء التفت عليه الجميع ،
فزح الكون لحظات ثم سكن بعدها كل شيء ، و سقط كلانا أرضاً !!!!!!!!

سكن كل شيء وسكنت معه الحياة ، هداً الكون بصخبه ، توقف الزمان
بتلك اللحظة التي لم أكن أعي خلالها ما الذي يحدث ! فأخر ما رأيته الدماء تتفجر
من صدرك و تسقطين بين يدي ، و شيئاً خرج من صدرك و اخترق صدري بجوار
كتفي الأيسر ، حينها أحنيت رأسي أنظر لصدري رأيت الدم يخرج منه و بعدها لم
أشعر شيء ، لكنني لم أغب كلياً عن الوعي ، كنت بين الإفاقة و السكره ، عدت

بضع مرات للوعي و كنتِ بجواري ، حاولت يدي الوصول ليدك لكنني لم أستطع ، بكل مرة كنت أعود بها كانت تتعلق عيني بكِ كنتِ مستلقية بجواري ، لا تتحركين و أنفاسك تُغادرك ، يحاولون إيقاف الدماء التي تخرج منكِ بغزارة حتى غبت تماما عن الوعي ، و حين عُدت ثانية للوعي و فتحت عيني لم تكوني أنتِ بجواري !

كل جدي يجلس بجواري و يُمسك بيدي ! نظرت حولي وجددتي بغرفة تبدو كالعناية المركزة ، كنت لا أشعر بجزء كبير من جسدي ، و كان كتفي الأيسر مُعلق إلى صدري الذي بدأت أحس بأعلاه الألم ، لكنني لم أكن أكثرث حينها سوى لمعرفة أين أنتِ ؟ خبرني جدي أنكِ لم تخرجي من غرفة العمليات بعد ، حينها علمت أنني غبت عن الوعي ما يقرب الأربع ساعات ، دخل طبيب و كنت أعرفه فهو أحد أصدقاء جدي ، أمسك بيدي اطمئن على نبضي و تفقد صدري و كتفي اليسرى و شاكسني

: لم يستطع أحد ابعاد جدك من جوارك ، رغم أن هذا ممنوع و لا يجوز دخوله إلى غرفة العناية المركزة ، لكن من نحن كي نمنع حافظ باشا عن أعز أحفاده !
تساءلت ، و أنا أحاول النهوض

: ايما ! أين هي ؟

أمال رأسه و بدا على وجهه حزناً زاد ألمي

: لم تخرج بعد من غرفة العمليات ، إصابتك ليست سيئة فلم تستغرق وقتاً بالداخل أما هي .. فليكن الله معها ، لكن اطمئن ، بالداخل أكبر أساتذة الجراحة جدك استدعى كل طبيب بمصر لأجلكما

حاولت النهوض إلا أنني لم أستطع ، خبرني أنه تأثير المخدر أثناء العملية و أنه سيزول شيئاً فشيئاً

: ما الذي حدث ؟

نظر إليّ و بحيرة

: لا يمكن لأحد الجزم ، لكن من الحال التي وصلتما عليها فكانت رصاصة واحدة
اخترقت كلاكما ، أو بمعنى أدق فقد اخترقت صدرها من الجانب الأيمن و استقرت
بكتفك اليسرى

ثم نظر نحو جدي

: إن كانت تلك الطلقة موجهة نحوك و لم تعترض بجسدها مسارها كانت استقرت
بقلبك ، لكن هي حالت دونك و دونها ، غير أنك تحركت فاستقرت بأعلى صدرك
بالقرب من كتفك اليسرى ، لكنها كانت فقدت قوتها فلم تسبب ضرر كبير ، بإذن الله
ستكون بخير و بنهاية اليوم سنخرجك إلى حجرة عادية

سألته بقلق و خوف ملاً صدري

: هل حالتها سيئة إلى هذا الحد ؟

وضع يده على كتفي

: تفاعل يا ياسين و تمسك بالله ، و لتشكره على قضائه ، و من رحمته بكلاكما أنها
لم تُصيبك بالقلب فلكان نفذ قضائه بك ، و أنها اخترقت جانبها الأيمن بعيدا عن
القلب ، فلتدعوا لها الآن .

خرج بعد أن حاول ثانيةً إخراج جدي لكنه فشل ، ظل جدي صامتاً لا يقول شيئاً فقط
يضع كفيه فوق عصاه و اتكأ بذقنه إليها و هو مطرق الفكر ، لا أعلم أين حطت به
مراكب أفكاره ؟ لكن أعلم أين حطت بي أنا ، لم يكن هناك سوى شاطئ واحد فقط ،
و من غير كريم له يد بما حدث ! من غيره يريد قتل كلانا ! فقد فعلها سابقا و لم
يفعلها غيره الآن ، لكن كل ما شغل عقلي لم أتيت لحظتها ؟ كيف علمت ما نوى ؟

لما سافك قذري حينها لتتقذي عمري و يسرقك هو مني و يسرق معك روعي ؟ كان كلي لا يَحس ألم الطلقة التي استقرت بصدري إلا أنها اخترقت قلبي ، فلم أشعر سوى ألم قلبي و ضيق بصدري رهبةً و خوفاً من ضياعك ، عادت نيران الفقد تلوح لي بحرمانني منك و عادت رعشة خوفي تلتهب بباطني و تسحب معها روعي و تستنزف أنفاسي ، بعد وقت لم يكن بالطويل إلا أن ثقله على قلبي جعله يبدو دهرًا ، عاد الطبيب ليُخبرني أنك خرجت من غرفة العمليات و أنه يأمل بأن تستقر حالتك ، لم يطمئن قلبي بالقدر الذي كان يحتاجه فظل يدعو الله أن يُعيدك لي ، أن يُلطف بقلبي و عقلي فليس بي ذرة تحتل ضياعك تحتل غيابك عني ، و ظلت لحظاتها معا تجول أمام عيني ظلت عينيك الباسمة تبتُّ بي الأمل و تُهدأ من نيراني ، تُحيطني ضحكاتك و تطوقني يداك و تسري أنفاسك بين ضلوعي ، شعرت كفك على كتفي تُطبق عليها و عينيك تبتسم لي ، تُخبرني أنك هنا إلى جوارِي و لن تُفارقيني !

خرجت من العناية إلى غرفة عادية لكنني لم أمكث بها سوى بضع ساعات ، حين استعدت وعي بالكامل و استطعت الوقوف بعد زوال المخدر من جسدي ، ذهبت إلى غرفة العناية التي كنت ترقدن بها ، و بعد نوبة جنون أصابتنني حين منعوني رؤياك ، سمح لي الأطباء بالاقتراب منك لدقيقة واحدة ليطمئن قلبي ، أمسكت بيدك و قبلتها ثم أخرجوني ، كانت أمي مستاءة لرفض المكوث بالفراش فتراني بحال سيئة ، لكنني طمأنتها و خبرتها أنني بخير و أمام إصراري رضخت لتركي كما أشأ ، و حين رأيت ميس فكانت هي آخر من كان معك

: ما الذي حدث ؟ لما أتت إليّ بتلك اللحظة ؟

كانت تبكي و هي تقول لي

: كنا بالغرفة نختار من بين ثيابها ما الذي سترتديه لتلافيك ، حين رن هاتفها خرجت تركض لتجيب اعتقدت أنه أنت ، لكنه كان رقم لا تعلمه ! أجابت و حين سمعت صوت المتصل تسمرت بموضعها لم تُحرك ساكنا ، نظرت إليها و سألتها من ؟ فلم

تُجيبني ، كانت بعالم آخر كل ما بها كان متجمد و بعد دقائق بسيطة سقط الهاتف من يدها ، حين أمسكته و تساءلت من المتصل جاعني صوت كريم و هو يضحك فأغلقت الهاتف ، حين استعادت نفسها من حالة الصدمة التي كانت بها ، نظرت نحوي و قالت أن كريم خبرها أنك سترسل اليوم تحياتها إلى عدنان ! حاولت الاتصال بك عدة مرات لكن هاتفك كان مغلقاً ، فُجِن عقلها و خرجت تركض حتى دون حذاء ، رُوحتُ أفتش عن مفاتيح السيارة بحقيبتني بالغرفة ، و حين هبط لم أجدها سبقتني إليك ، و سبقت يد القدر إليها !

جلست أمام غرفة العناية التي ترقدن بها ، لم أفارق باب غرفتك لثلاث أيام متتالية كنت أقف بالساعات أمام نافذتها الزجاجية معلق بكِ و أنتِ مستلقية إلى الفراش ، لم يكن يطمئن الأطباء لحالتك الجميع كان متخوفاً لا يقول شيئاً ، باليوم الرابع أفقت لحظات بدا القلق على وجه الأطباء و هم يركضون دخولا و خروجاً من الغرفة ، تعلق كلي بنافذة الغرفة ، بدا أن حالتك تدهورت فجأة و كاد قلبك يتوقف ، كنت أتشبث بالزجاج بيدي و كلي يحاول التشبث بكِ يرجوكِ ألا ترجلي و تتركيني ، يتوسل إلى الله أن لا يحرم قلبي وجودك ، عيني لا يرف لها جفن و هي تراهم يحاولون إنعاش قلبك بجهاز الصدمات الكهربائية ، حينها لم أكن لأحتمل أكثر جلست إلى الأرض انزويت عن الجميع بجانب قدم جدي ، صمت لحظات و بداخلي بركان يصرخ ، أحسك تتسربين من بين يدي ، أحسك تخطين بعيداً عني و تأخذين روحي مني ! حينها بدأت أحس قلبي ماء يسيل بين ضلوعي ، أسمع بكاء صدري و صرخات نبضي ، وضع جدي رأسي على ركبته و هو يمسح بكفه على شعريّ حاول طمئنت كلي الملتاع عليكِ ، فما احتملت لحظتها و رُوحتُ أجهش بالبكاء ، كنت أبكي كطفل صغير راح يفقد أمه ، تلك كانت المرة الأولى بحياتي التي أبكي بها ! فيوم مات والدي نهائي جدي عن البكاء ، لكنه لم يستطع اليوم أن ينهاني !

و لم أفق من غياهب حزني إلا على صوت الطبيب يقول أن تلك الأزمة قد انقضت على خير ، و أن حالتك قد استقرت بالوقت الحالي لكنك عُدتي في غيبوبة ثانية ، فاستجاب ربي دعاء قلبي و أعادك لي ثانية .

باليوم السابع أفقت ، لم تكن حالتك مستقرة تماما إلا أنك أفقت ، أول شيئا تحدثت به كان اسمي ! كنت تخشين فقدانني كما استعمرني الخوف لشعوري بأن أفقدك ، فالإحساس بالفقد شعور مؤلم يُرهب القلب و يُغرقه بالحزن و الخوف ، سمح لي الأطباء رؤيتك ، لكن تلك المرة ليس رافة بي و إنما رافة بك ! فلم تُصدقي أنني بخير سوى بعد أن سمحوا لي بالدخول إليك و الاقتراب منك ، لم يتحدث كلانا بلسانه ، لكن تحدثت قلوبنا بضع دقائق ، لكنها كانت كافية لتُعيد كلانا إلى الحياة مرة أخرى ، كنت منهكة لم تستطعي الكلام بعد ، كنت تُشبهين زهرة شتوية رغم عصف الرياح بها إلا أنها لازالت تحتفظ بجمالها الخلاب و سحرها الخاص ، الذي يأسرني كلما ارتسمت ملامحها بين جفوني ! نظرة واحدة إليك كانت كافية لتُدمل جروحي ، و تُعينني إلى رُشدي ، و تغسل عن صدري لوعة أحزانه ، و تُعيد ضياء نجمك بسمائي .

مرت بضعة أيام و بدأت حالتك بالتحسن شيئا فشيئا ، كنت أستبسط زهو شمعتك من جديد ، إلا أن خروجك من العناية كان يكفيني ليهدأ قلبي ، و خاصة أن الرصاصة كانت قريبة من رئتك ، و هذا جعل الأمر أصعب لكن بكل الأحوال بدأت بالتحسن ، لم أكن أفارقك بالأيام الأولى ، لكن حين بدأت بالتعافي بدأت بالتغيب عن المشفى ، فكان لدي اتفاق لم أنهيه ، و وعدا لم أوفيه بعد !!!!

بالأسبوع الثالث زادت حالتك بالتحسن و زادت معها سعادتي لتحسن
 وضعتك الصحي ، سمح لك الأطباء بالحركة البسيطة داخل الغرفة ، كل تلك الفترة لم
 يقول أحداً شيء للآخر ، كنت أكتفي بمراقبتك أمامي و السعادة تتسرب إلى قلبي يوم
 تلو يوم لتحسنك و لمتاناً لربي لرفقه بي . غير أن إحساس الذنب قد تملك مني و
 أسكت الحروف بفمي ، و لكن بعد أن وفيت باتفاقي ! بدأت تزول عني رعشة باطني
 التي صاحبتني قبل الحادث و بعده ، بدأ يتبدد حصار عقلي و توجهه خوفاً عليك ،
 بدأ يعود كل شيء إلى ما كان عليه ، و بعد إصرار شديد منك وافق الأطباء على
 خروجك من المشفى بعد تأكيدهم بأن لا تبلي أي مجهود قد يضر بحالتك الصحية
 التي رغم تحسنها ، إلا أنها لازالت تحتاج رعاية طبية ، اتفقنا على ذهابك إلى
 المزرعة لتقضي بها تلك الفترة ، كان من المفترض أن ترافقك لي لي و ميس و أيضاً
 أمي ، بذلك اليوم مساءً حين غادر الجميع وجدتك تُشيرين لميس لتخرج كأن هناك
 اتفاق مسبق بينكما ، نظرت نحوها بتعجب و هي تهتم للمغادرة و تغمز لي بطرف
 عينها بابتسامة مشاكسة ، حينها اختليت بك في الغرفة اعتدلت بالسرير ، ابتسمت لك
 و اقتربت منك و قبلتك بجبهتك دون أن أقول شيء ، تعلقت يدك بعنقي.....

: هل لي أن أطلب شيء ؟

رفعت وجهي نحوك بتعجب على مهل و لازالت يدك متعلقة بعنقي

: اطلبي ما شئت حبيبتي و سألبي !

: ترفق به لأجلي ! فقلبه مهوق لم يُد يحتمل !

زادت دهشتي و علت كل تقاسيم وجهي ، أملت رأسي بالسؤال عما تعنين دون أن أتفوه بسؤال ، زادت بسمتك و قربتتي إليك ، و تهمسين بأذني

: ترفق بقلبي بين ضلوعك ، ترفق بحبيبي

رفعت طرف عيني نحوك و قبل أن أقول شيء بادررتي بحنان عينيك

:لم يَكُنْ خطأك هذا ما كتب الله لنا ! و من منا يمنع أمراً من الله كان مفعولاً ، فترفق بنفسك لأجلي لا أحتمل أن أراك هكذا

قبلت جبهتك و أطلت القبلة ثم ضمنت رأسك إلى صدري ، و تراقصت دمة بأحداقي إلا أنني اعتقلتها داخلي ، لكنني ظللت على صمتي ، كان كلي ساخناً مما حدث ، ماذا أقول و أنا أوقن أنه خطئي وحدي ، بكل مرة أقف بها على شفا فقدانك يكون خطئي و بيدي ! لكن أكثر ما زاد حنقي و غضبي من نفسي ، أنه حين وانتني الفرصة لقتله لم أظفر بها و هذا كاد يَكلفني أنت ! ثم انتبهت لشرودي هممت لترتكك تتامين فتمسكتِ بقميصي ، و طلبتِ مني و لازالتِ رأسك نائمة على صدري أن أظل جوارك حتى تغفين ، اتكأت إلى جانب الفراش و زدت بضمك إلى قلبي ، و بعد لحظات رفعت رأسك فجأة عن صدري فاندَهشت

: ياسين

: قلب ياسين

: تلك آخر ليلة لي بالمشفى

: هي كذلك رغم رفض الأطباء ، و رفضي مغادرتك فلازلتِ تحتاجين الرعاية ، إلا أنه أمام عنادك حبيبتتي سألبي ما ترغبي

: إذن لو طلبت أي شيء ستلبيه لي ؟

: اطلبي ما شئتِ مولاتي

: احكي لي قصة حتى أغفو

: ماذا ؟

نظرت بعيني و زادت بسمتك و زدت مشاكستك

: خبرتني أن أطلب ما شئت ! و الآن ملكتك تُريد أن تغفو على صوتك

ثم صمت لحظة و أعدت رأسك إلى صدري وبصوت بدا حزين

: تلك آخر ليالينا ، و لا أريد أنا أرى أو أسمع أو أحس بها شيء غيرك .

: آخر ليالينا !!!!

: أقصد هنا بالمشفى

ابتسمت و أنا أضمك إلى صدري

: صدقاً أنا لا أحفظ شيء كي أقصه ، لكن دعيني أخبرك قصة قصها لي جدي عنك

و عني ، كي يدُخبرني أنه يعلم بعشقي لك

رفعت وجهك نحوي بتعجب ، فشاكستك

: لا تتعجبي ، هذا هو جدي

ثم بدأت أقص عليك قصة الصياد و موجة ليله كما قصها لي جدي ، و بعد أن

أنهيتها وجدتك مطرقة ، فاستعادتك من شرودك

: أين حطت قلاعك يا موجة ليلي

ابتسمت لي و اندست بين أحضاني و غفوت حينها شعرت أمان كاد يدُغادرني ، و

حطت عن أكتافي أحزاني و مخاوفي ، ارتدت السكينة إلى صدري حين سكنتي بين

ضلوعي ، فشعرت روعي تعود إليّ ، فتركت كل جحيم الأيام السابقة خلفي و غفوت

إلى جانبك بجنة عشقك ، و لم أستعد وعي الذي فقدته بجنتك إلا حين أيقظتني ميس
بصباح اليوم التالي على فاجعة قلبي !

استيقظت بالصباح التالي من جنة عشقي بكِ على جحيم فقدانك !

استيقظت على صوت ميس

: أين ايما فتشت عنها و لم أجدها ؟

اعتدلت و أنا أحاول تدارك ما يحدث

: عن ماذا تتحدثين ؟ كانت نائمة إلى جوارى ، قد تكون بالحمام !

: استيقظ يا ياسين بحث عنها بكل مكان بالمشفى و لم أجدها حتى أن ثيابها قد
اختفت ! ايما غادرت !

و ألفت لي بورقة كانت على الوسادة بجوارى ، ما كتبتى بها أغرقني و أشعل بحور
غضبي ، و هاجت له عواصفي

“ يكفيك غرقاً و غربة ، أن الأوان كي ترسو مراكبك بشواطئ النهار ، يكفيك ما
لقبته على يد موجة ليلك ، أخبر ساكنك بين الضلوع كم أعشقه ”

حينها فهمت ماذا كنتي تعنين بأخر ليالينا ! أطبقت على الورقة بكفي بحنق و غضب
من كل ما تفعلينه بي ! حتى تكومت برحاي و ألقيت بها بوجه ميس و غادرت
المشفى و بركان يملئني منك ، طُفت الشوارع و عقلي يكاد يجن من دوامتك التي
تُلقيني بها ! حاولت الاتصال بك لكن هاتفك كان مغلق ، ظلت على هذا الحال كلي
مُشتتة يَجُن من صدمة اختفائك المفاجئ ، أحسست بصفعة قلبي تؤلمني و تُعيد
فتح جروحي التي اندملت بين بسمة عينيك و صفاء قلبك ، صرْتُ أفتش عنك بكل
مكان لم يكن يعلم أحد أين ذهبت ؟ و لماذا اختفيت ؟ و بكل لحظة كان يزيد حنقي و
غضبي مما تفعلينه بي و بقلبي ، لكنني لا أستطيع أن أكف عنك ! فكيف و أنت
تمتلكين قلبي ؟ تمتلكين روحي حتى أنني صرت أسأل عنك النجوم ، و أفتش عن
عينيك بكل الدروب ، و كلي يبحثُ عن هواك و يَجُوب الأرض يُناجي طيفك
بالطرقات ، لكن دون جدوى دون أمل فلم أجدك !

بعد ثلاثة أيام علمت أين سأجدك ؟ فقد أثمرت إحدى محاولة توفيق لإيجادك !! لم
يعرف أين أنت ؟ لكنه خبرني كيف سأجدك ! انتظرت طوال الليل مستيقظاً ، فما
كنت تُخططين له حبيبتي أفرع قلبي و أوقف أنفاسي ، فلا يحق لك أن تفعلني هذا بي

! لا يحقُ لكِ أن تتخذي قراراتٍ قلبي عنه ! ليس لكِ الحق بالرحيل و كلي يسكنك !
لكن كما كنتِ ترتبين لي شيئاً تصعقي به قلبي ، رتبتُ لكِ مفاجأة صغيرة !

انتظرت حتى حل مساء اليوم التالي ، و ذهبت للقاءك فلم أكن أستطع ايجادك قبلها ،
ذهبت مبكراً و اختفيت عن الأنظار ، ختُ إن رأيتني تُعاود الهروب و تلك المرة
أخشى أنني لن أجدك ، و بالموعد المحدد ظهرتِ بالمكان ، و قفت أرقُبكِ من بعيد
أمسكتِ هاتفك ، روحتي تتفقدية لحظتها و صلتني منك رسالة لم تكتبي بها سوى
' أحبك '

عاودت الاتصال بكِ و عيني مُعلقة بكِ فأجبتني ، سألتكِ بغضب أين أنتِ لم تُجيبني
! خبرتكِ كم أحبك و لم تُجيبني ! استجديتكِ كي تعودي و لم تُجيبني ! فصمت لحظات
فقولتِ

' أحبك '

ثم أغلقتِ الهاتف و أمطرت عينيكِ جبينك بالدموع ، و هممت واقفة و أنتِ تمسحينيها
عن وجهكِ ، و لكنها تأبى أن تتوقف ثم اتجهتِ إلى صالة المغادرين بمطار القاهرة
الدولي !!

انتظرت بضع دقائق حتى اختفيتِ عن ناظري و عند النداء الأخير على ركاب الطائرة
المغادرة إلى لندن صعدتِ إلى الطائرة ، و بعد أن أغلقتِ الأبواب و استعد الجميع
لإقلاع الطائرة ...

: أعتقد أن هذا المقعد الفارغ بجوار النافذة يخصني ، فأعلم أنكِ تخافي المرتفعات

بادرتكِ بها و أنا أهم للجلوس بالكرسي المجاور لكِ ، حينها توقف كل ما بكِ و كانت
لازالتم دمعاتكِ تتساقط على جبينك ، تجمد كلكِ و أنتِ تنتظرين نحوي ، و أنا أربط
حزام الأمان استعداداً للإقلاع ، أغمضتِ عينيكِ و فتحتها مرتين متتاليتين

: ياسين .. ماذا تفعل هنا ؟

رفعت طرف عيني و بابتسامة من جانبي تساءلت

: أو ليست تلك الطائرة متجهة إلى لندن ؟

ثم اعتدلت بمجلسي و قد بدأت ترتفع الطائرة ، فأمسكت بيدك فأعلم كم تخشين المرتفعات ، ابتسمت و أنت تحاولين تشتيت انتباهك عنها

: إذن فأنت متجه إلى لندن ؟

: لا يهمني إلى أين ستوجه فأنتِ معي ، و هذا يكفيني لأذهب إلى الجحيم بمأرادي

: أنت مجنون

: و هل اكتشفتها توأ ؟

ثم التفت نحوي

: ألا تستسلم أبداً ؟

: لم أستسلم حين كان يقف الكون بأسره بيننا ! أعتقدين أنني سأستسلم الآن و قد أصبح ما يفصلنا خطوة ستنقضي بعد بضعة أيام و تنقضي معها عدتك !

دمعت عينيك

: هو لن يتوقف عن إيذائك ، اذا ظللنا معاً لن يتوقف عن محاولات قتلك ، أنت مخطئ لأنك تحمل ذاتك ذنب ما حدث ! بالحقيقة هو ذنبي كل ما حدث لك و ما سيحدث هو ذنبي وحدي ، و لهذا يجب أن أبتعد عنك

: ابتعادك عني هو قتلي ايما

: أخشى عليك ، لن أحتمل أراك تصاب بمكروه بسببي

قبضت على كفاك

: و هل بعد غيابك عني جحيم ؟

: ياسين ، إن ظللنا معا سيحاول قتلنا ثانية

: و إن ابتعدنا سيموت كلانا حبيبتي

صمت و نظرت أرضاً مطرقة ، فداعبتك

: لا يمكنك الرحيل حبيبتي فنحن صرنا نتشارك كل شيء ، الحب و العشق و القدر ،

حتى الطلقة التي أصابتنا تشاركناها ، و لا تنسي أن دمائي تجري بشرابيناك ، فكيف

لك أن ترحلي و تأخذي دمائي بعيدا عني ؟

: هذا ما يبقيني أتتفس

رفعت يدك نحوي و قبلتها

: أحبك ، و خبرتك سابقاً لن أبتعد عنك ، و لن أترك تذهبين إن كنت بكل الأحوال

ميت فأختار الموت بين يديك

انتفضت و وضعت أصابعك على فمي

: لا تتفوه بها

: لا تتركيني

تبسمت عينيك الدامعتين ، و اقتربت من أذنك و همست لك

: خبرتك سابقاً أن كل سبلك ستنتهي عندي ، أيتها الحمقاء متى ستفهمين أنت لي ..

!!

طفت بجفونك نظرة عشق أعادت لي قلبي المسلوب بجحيم فقدانك....

: أعلم أنك كنت ستنزلين بلندن ترانزيت فقط ، أخبريني إلى أين كنت ستتجهين ؟

زادت بسمتك و أنتِ تمسحين دموعك ، فزدت مشاكستك

: هيا ايما أخبريني ، فبكل الأحوال سأعلم ، هل تعتقدين حقاً أنك ستهربين مني ؟

حمقاء حبيبتي افعليها و سأجوب الأرض أفنش عنك ليل نهار بصحو و منامي ،

فترفقي بي حبيبتي ألا يشفق قلبك الصغير على قلب حبيبك ؟ ترفقُ معذبتني فقد

أرهقتِ قلبي عشقاً و شوقاً إليك ، فلا تُرهقي عقلي موت و غربة بغيابك !

ارتسمت ضحكة حانية بوجهك ، و تلمستِ بأطراف أناملك لحيتي برقة طار لها عقلي

...

: بوخارست

: لما تعشقين الأشياء الصعبة ، ألم تكن دبي أقرب حتى أنني أفهمهم دون مترجم !

انطلقت منك ضحكةٌ مجهدة ، فزدت مشاكستك

: أتضحكين ، دعيني أخبرك سرا فقط عديني أنك لن تخبري أحدا

نظرتِ نحوي بعينين ضاحكة

: هيا ايما أتحدث بجدية ، عديني لن تُخبري أحداً

اعتدلتِ ، و أشرتِ إلى قلبك بجدية مصطنعة

: حسنا أقسم لن أخبر أحدا

اقتربت منك مفتعلاً الجدية و بصوت خفيض

: أنا لا أعلم من الإنجليزية سوى what is your name ؟ و اذا طلبت إلى تهجئتها ، فأنا هو من سيقطع علاقته بك و إلى الأبد ، هل نحن متفقين ؟

حينها انطلقت منك ضحكتك الطفولية التي أعشقها ، فزاد قربي منك و همست بأذنك ...

: تلك ما قتلتي ببابك

روحٍ تتماكين ذاتك من الضحك الذي أجهد صدرك المتعب ، و اقتربت من أدني و همست لي بعذوبة صرعت قلبي بين أنفاسك

: لو تعلم كم أهواك

ثم قبلت جيبني ، و أسندت رأسك إلى كتفي و أنت تمسكين بيدي ، قبضت بكفي على يدك و أسندت رأسي على رأسك ، و شرد عقلي بأن لا شيء بعد اليوم سيقف بيننا ، كل ما تخشينه حبيبي بعد يومين سيتحول إلى غبار تحمله رياح القدر بعيدا عنا ، فقد وفيت عهدي و سددت جانبي من الاتفاق مع إخوة عدنان !!!

فوعدي لهم هو أن يخرجوك من دائرة انتقامهم و يؤولوا ذلك الانتقام حتى تنفك عنك قيوده ، في مقابل أن يرفع جدي يده عن كريم ليفعلوا به ما شاءوا ! وقد وفيت جانبي من هذا الاتفاق حين تركتك بالمشفى ، و بالفعل تقابلنا واتفقنا على كل شيء، لكن المفاجأة المدوية لي أن جدي اتصل بهم يوم الحادث و خبرهم أن كريم لم يعد تحت حمايته بعد محاولته قتلي ، لكنه طلب إليهم ألا يقتربوا منه بالوقت الحالي حتى لا تتجه الشكوك نحوي ، لكن بالنهاية اتفقنا على كل شيء ، فبالنهاية لابد و أن يٌسدد كلا منا دينه بهذه الحياة ، كما أخذ لابد أن يعطي و كما أعطى لابد أن يأخذ .

حين انتبهت من شرودي وجدتك غفوت على ذراعي ، ابتسمت و قبلت رأسك ، فلتهنئي حبيبي و تأمينين دون خوف ، فلن يمسك مكروه بعد الآن ، أمسكت يدك و وضعتها على قلبي حتى يطمئن و يأنس بك من وحشته و خوفه ابتعادك

فارتحلي حبيبي كما تشائين و سأرتحل الكون وراءك ، فإن سافرتي إلى النجوم
ستجدين هناك ، و إن دلفتِ إلى القمر سأكون بانتظارك ، و إن عبرتي البحور
سأكون شرعك ، و إن طويتِ الكون سأكون دليلك ، و إن سكنتي القمر سأدور
بفلكك ، فأنا طريدك دونك غريب بلا وطن تائه بلا قدر قلبي مؤرخ بك ، فارتحلي
كيف تشائين فروحي معلقة الأطراف بعشقتك و نبضي معتقل بقلبك ، و كلي يدور
بفلك هواك !

غفوت و أنتِ إلى جوارِي ، حين داعبت سلاسل الشمس وجهي مع أول ضياء تلقي
به على الكون ، كنا لازلنا بالسماء ، حينها أفقت و فتحت عيني لأجلك لازالتِ نائمة
على كتفي ، كنتِ نائمة إلى جوارِي كحمامة بيضاء تفتش كتفي مرسى بعد طول
تعب و ترحال ، ابتسمت و رفعت رأسي شكرا لله الذي حقق لي ما كنت أبغي ، حقق
لي كل ما حلمت ! ها أنا تشرق شمسي لأجلك تغفين إلى جوارِي و تتوسدين كتفي و
تلتحفين ذراعي و تفتشين صدري وطناً ، نظرت إليك و قلبي يتراقص فرحاً و عيناي
معلقة بطفلي النائمة على كتفي ، الساكنة بشرياني ، ابتسم من تلك الحمقاء ، فلازلتِ
حمقاء حبيبي تعتقدين أنني سأتركك و روعي معلقة أنفاسها بعينيك ، فلن تُغادريني و
إن ركضت خلفك ما بقي من عمري و زدته ألفاً عليه ، سأظل على وعد الهوى على
وعد قلبي بالسكنة بين أضلعك ، فليس لي وطن سواك و ليس لي حياة دون هواك ،
أنتِ لي ... ”

تمت بحمد الله

بقلمي شمس الحياة

Sania zayed

٢٠١٥ / ٦ / ١٣

